المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كليـة الدعوة و الاعـلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة و الاحتساب

التنصير في منطقة جبال النو با

حقيقته وتأثيره و مواجهته

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير

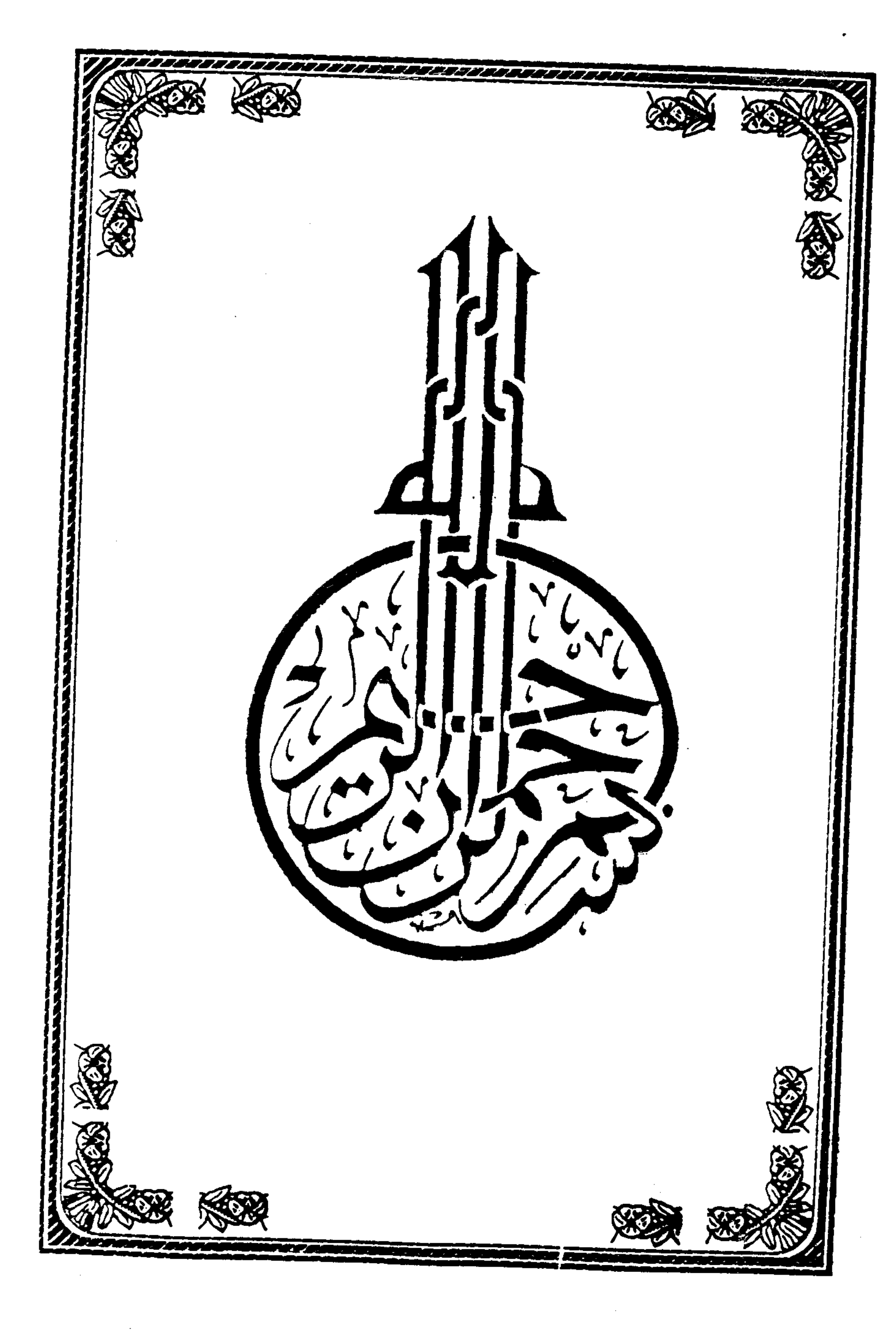
إعداد

الطالب / نور الدين عوض الكريم إبراهيم بابكر

إشراف

الدكتور / يوسف محيي الدين أبو هلالة

١٤١٤هـ / ١٩٩٤م


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .. وبعد :

فإن الناظر إلى أحوال العالم الإسلامي اليوم يجدها في أسوأ وضع شهده عالمنا الإسلامي في تاريخه ، وقد تكالبت عليه قوى الاستعمار والشر وأحاطه المنصرون من كل جانب بحركاتهم ومؤسساتهم التنصيرية النشطة التي مدت أذرعها ومخالبها في جميع أصقاعه المختلفة فلم يكد يسلم منها بلد أو قطر إسلامي .

وكان من تلك البلاد التي ألقى فيها التنصير بثقله إفريقيا مستغلاً حاجة الإنسان فيها إلى الطعام والكساء والدواء ، حيث إن الدخول في النصرانية أصبح ثمناً للحصول على مقومات الحياة. وكان من بين أقطار تلك القارة البكر « السودان »[١] الذي ركز عليه المنصرون باعتباره بوابة الإسلام إلى بقية دول القارة الإفريقية فأرادوا أن يسدوا ذلك المنفذ الإسلامي إلى تلك البلاد . فحينما دخل المنصرون مع المستعمر الإنجليزي للسودان عام « ١٣١٥ هـ ـ ١٨٩٨ م) اتخذ المستعمرون عدة إجراءات لمنع انتشار الإسلام وتثبيت النصرانية منها :

---

(١) يعتبر السودان أكبر قطر في أفريقيا والوطن العربي من حيث المساحة إذ تبلغ مساحته مليون ميل مربع أي ما يساوي مجموع مساحة أوروبا تقريباً وتحده من الشمال مصر ومن الجنوب كينيا وأوغندا وزائير ومن الغرب ليبيا وتشاد وجمهورية أفريقيا الوسطى ومن الشرق البحر الأحمر وأرتريا وأثيوبيا .

أولاً : قسموا السودان إلى عدة مناطق بعد أن كان متوحداً في دولة إسلامية واحدة [١] ففصلوا جنوب السودان عن شماله وفصلوا منطقة جبال النوبا بغربي السودان عن بقية أجزاء القطر بحجة أن أغلب سكان هذه المناطق ليسوا عرباً وليسوا مسلمين [٢].

ثانياً : جعلوا هذه المناطق مناطق نفوذ للإرساليات والكنائس المختلفة لتعمل فيها [٣].

ثالثاً : منعوا دخول السودانيين من شمال السودان إلى هذه المناطق والإقامة فيها إلا بتصريح أو إذن خاص من الإدارة الاستعمارية وحددوا فيها مدة إقامتهم حسب قانون الجوازات والإقامة الذي فرضته الحكومة . وكانوا يمنعونهم من إظهار شعائرهم الدينية أمام الناس أو الصلاة في جماعة [٤].

---

(١) هي الدولة المهدية في ذلك الوقت « ١٢٩٨ ـ ١٣١٥ هـ » ـ « ١٨٨١ ـ ١٨٩٨ م » .

(٢) مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١٠٨ ، صادرة عن المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، العدد السادس ، رجب ١٤١٠ هـ .

(٣) د . إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، دار العلوم ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م ، ص٨٢ ، ٨٦ .

(٤) د . مصطفى الخالدي ، و د . عمر فروخ : التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣ م ، ص٢٣٨ .

ـ مجلة الأمة ، ربيع الثاني ، ١٤٠٢ هـ ، ص٣٤ .

ـ مجلة الدراسات الأفريقية ، رجب ، ١٤١٠ هـ ، ص١٠٨ .

رابعاً : أوكلوا مهمة التعليم وإدارة الشؤون الدينية والاجتماعية في هذه المناطق للكنائس وقامت الحكومة بدعمها [١] .

وتركز الدراسة على النشاط التنصيري في منطقة جبال النوبا . هذه المنطقة من العالم الإسلامي التي كانت تحكمها في يوم من الأيام دولة إسلامية هي مملكة تقلى الإسلامية [٢].

وجبال النوبا تقع في جنوب ولاية كردفان بغربي السودان وتنحصر بين خطي عرض ١٠,٣٠° و ١٣° شمالاً ، وخطي طول ٢٩° و ٣٢° شرقاً وتشترك في حدودها الجنوبية مع إقليم جنوب السودان ويحدها شمالاً كردفان ومن الشرق مديرية النيل الأبيض ومن الغرب إقليم دارفور وتضم أربع محافظات إدارية [٣].

أهمية الموضوع :

تنبع أهمية الموضوع من كونه يتعرض لعائق من أكبر عوائق انتشار الإسلام في العصر الحاضر ألا وهو النشاط التنصيري المحموم في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي ، فهو أكبر سبب من أسباب الصد عن

---

(١) بحث جماعة الفكر والثقافة الإسلامية ، الخرطوم ، ١٤٠٣ هـ : « الإسلام في السودان » ص٢٥٧ .

- الخالدي وفروخ ، مرجع سابق ، ص٢٤٨ .

(٢) بروفسور يوسف فضل حسن : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م ، ص٩٩ .

- علي حسن عبد الله : الحكم والإدارة في السودان ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٦ م .

(٣) مصلحة المساحة السودانية ، الخرطوم سنة ١٩٤٦ ، تعديل ١٩٧٦ ، طبوغرافيا نمرة ج (٦٢٥ ، ٤٧) انظر كتاب الحكم والإدارة في السودان .

سبيل الله . فلما لم يجد المنصرون قبولاً لدينهم من قبل مدعويهم أصبحوا يمنعون غير المسلمين من الدخول في الإسلام ويغرونهم بشتى أنواع المغريات بالإضافة لمحاولتهم سلخ المسلمين عن دينهم وقطع صلتهم بربهم ، وتركهم في حيرة وضلال . ولذلك كان من المهم البحث في موضوع كهذا ، وذلك للآتي :

أولاً : أن الإجراءات الاستعمارية الصارمة التي اتخذت ضد الإسلام في هذه المنطقة كانت أكثر شدة عما كان في غيرها من مناطق السودان [١].

ثانياً : إندماج النوبا وتأثرهم بالثقافة الإسلامية العربية ، فكان مما يغيظ الإدارة الاستعمارية أن ترى النوبا يلبسون الملابس العربية ويتكلمون اللغة العربية ويتبعون العادات العربية فاتخذت عدة إجراءات لمنع انتشار الإسلام في أوساطهم كما سيتضح - إن شاء الله - من خلال هذا البحث كان منها على سبيل المثال إعاقة ومنع تحركهم إلى الشمال وحبسهم في مناطقهم [٢].

ثالثاً : إن منطقة جبال النوبا شهدت زحفاً إسلامياً كبيراً قبل دخول الاستعمار إليها [٣] .

---

(١) الإسلام في السودان ، مرجع سابق ، ص٢٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ٢٥٧ .

(٣) الإسلام في السودان ، ص٢٥٧ .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى تتبع التنصير في منطقة جبال النوبا على الشكل الآتي :

١ ـ بيان دور الاستعمار في نشر النصرانية وخطته الرامية لتنصير المنطقة وذلك من خلال الدراسة النظرية .

٢ ـ الكشف عن واقع التنصير في المنطقة ، وبيان حقيقة ممارساته وأنشطته فيها .

٣ ـ بيان الآثار السلبية والنتائج العكسية المترتبة على الوجود التنصيري في المنطقة .

٤ ـ البحث في سبل مقاومة التنصير وإفساح المجال للدعوة الإسلامية في هذه المنطقة .

أسباب اختيار الموضوع :

١ ـ عدم وجود دراسات سابقة في الموضوع لأن منطقة جبال النوبا لم تنل حظها من الدراسة والبحث وبالذات في هذه الفترة التي أخذت مادتها موضوعاً للبحث .

٢ ـ حاجة المنطقة الملحة لمثل هذه الدراسة وخاصة بعد زيادة المؤثرات الاجتماعية والاقتصادية التي تعرضت لها المنطقة في الآونة الأخيرة .

٣ ـ الاهتمام النصراني الكنسي العالمي المتزايد بهذه المنطقة وهو اهتمام قديم بدأ يتجدد في الآونة الأخيرة في مجال البحث العلمي بالكتابة عن تاريخ النصرانية في المنطقة كان آخرها مؤلف حديث بعنوان « تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان

الحديث »[1] لمؤلفه القس الإيطالي جونتاني فانتيني ، والذي اختار هذا العنوان لمحاولة الربط بين تلك الممالك الهالكة وبين حاضر السودان اليوم بسياج نصراني يتخذ من البحث العلمي مطية له .

٤ - إن بلاد السودان -بما فيها منطقة النوبا برقعتها الواسعة وحدودها الممتدة في غرب ووسط وشرقي إفريقيا -تمثل معبراً مهماً ومدخلاً مباشراً للدعوة الإسلامية إلى القارة الأفريقية .

٥ - إن عدداً كبيراً من سكان المنطقة وثنيون مما يجعلها منطقة تحد وصراع بين الإسلام والنصرانية .

أهم الدراسات السابقة في الموضوع :

على حسب إطلاعي وبحثي في الدراسات ذات الصلة بالموضوع وجدت هناك دراسات شبيهة إلى حد ما بموضوع دراستي ، وفيما يلي استعراض لهذه الدراسات :

أولاً : الدراسات التنصيرية في العالم الإسلامي :

١ - الصراع الفكري في اندونيسيا وأثره في الدعوة الإسلامية :

رسالة ماجستير مقدمة في كلية الدعوة والإعلام ١٤١٠ هـ من الباحث محمد إدريس عبد الصمد وتتكون الدراسة من تمهيد وثلاثة أبواب . تناولت موضوع التنصير في مبحثها الأول من الفصل الأول من الباب الأول فقط ، فتحدثت عن حركة التنصير في اندونيسيا بإيجاز في فترة ما قبل الاستقلال ثم أثره بعده .

---

(١) طبع في الخرطوم ، ١٩٧٨ م ، دون ذكر اسم دار النشر .

كذلك تحدثت الرسالة عن أساليب المنصرين في نشاطهم ومجال عملهم . أما أكثر الرسالة فكان يدور حول الغزو الفكري والأفكار المستوردة من علمانية وشيوعية ورأسمالية وديمقراطية وقومية وصهيونية . وأثر هذه التيارات على الدعوة الإسلامية .

ثم في الباب الثالث : تحدث الباحث عن الفكر المنسوب للإسلام (كالشيعة والصوفية) وجهود الدعاة في مواجهة الأفكار المنحرفة [١].

٢ ـ التنصير ووسائل الإعلام في أندونيسيا :

بحث مكمل لدرجة الماجستير مقدم في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة قدمها الباحث سهيري الياس نور الدين . والبحث يتكون من مقدمة وأربعة فصول تحدث الباحث في الفصل الأول عن التنصير في أندونيسيا ووسائله ، ثم تحدث في الفصل الثاني عن واقع الإعلام في أندونيسيا ، والفصل الثالث عن أثر التنصير على وسائل الإعلام وأهدافه وأشكاله المختلفة ، ثم في الفصل الرابع تحدث عن موقف المسلمين من التنصير . كما كشف الباحث على خطط المنصرين للإستيلاء علي وسائل الإعلام المختلفة مركزين على التلفاز كوسيلة فعالة وأنهم لما تم لهم ذلك استخدموه في أغراضهم التنصيرية الخبيثة مما كان له الأثر الكبير في زيادة نسبة المنصرين في أندونيسيا زيادة كبيرة . وتطرقت الدراسة إلى ذكر عدد من الإذاعات التنصيرية العالمية والتي لها فروع في معظم دول العالم فهي تناولت النشاط التنصيري من

---

(١) بحث غير منشور .

خلال وسائل الإعلام وأهملت الجوانب والوسائل الأخرى [١] .

٣ ـ التبشير في بلاد الشام :

وهي رسالة الماجستير المقدمة من الباحث عبد الرحمن الشهري عن « التنصير في بلاد الشام » في كلية الدعوة والإعلام ١٤٠٤ هـ حيث تناول الباحث تاريخ التنصير في المنطقة وعرض لأنشطة التنصير المعاصرة ولكنه اشتكى عدم وجود المراجع والمصادر التي كتبت عن التنصير باللغة العربية وبين افتقار المكتبة العربية لهذا النوع من المصنفات .

وتتألف الرسالة من خمسة فصول : الفصل الأول عن التبشير في لبنان وتطرق فيه للنشاط الكاثوليكي والأرثوذكسي والبروتستانتي ، والفصل الثاني : التبشير في سوريا ، والفصل الثالث : التبشير في الأردن . وفي الفصل الرابع : التبشير في فلسطين ، وأخيراً الفصل الخامس عن وسائل التنصير المستخدمة وهي : الطب والتعليم والمرأة والاجتماعات والإعلام . وختمها بملحق للجداول والإحصائيات [٢].

٤ ـ أصول التنصير في الخليج العربي :

وهي رسالة ماجستير للأمريكي كونوي زقلر ، والرسالة قدمت في جامعة برنستون الأمريكية عام ١٣٩٧ هـ وقد قام الباحث بجولة ميدانية في المنطقة تعرض فيها لنشاط البعثة العربية الأمريكية في الخليج التابعة للكنيسة الإصلاحية

---

(١) بحث غير منشور .

(٢) بحث غير منشور .

البروتستانتية الأمريكية (RCA) منذ عام ١٨٨٩ م حتى انسحابها عام ١٩٧٣ م الموافق ١٣٩٣ م .

والرسالة جاءت في مقدمة وخمسة فصول تناول فيها نشاط البعثة في هذه المدة ، ففي الفصل الأول تحدث عن بداية نشاط البعثة « ١٨٨٩ ـ ١٩١٤ » وبين أن هدف البعثة بناء على خطتها الأصلية هو الدعوة إلى النصرانية في البلاد العربية باتخاذ عدة طرق ووسائل . والفصل الثاني تحدث فيه عن نشاط البعثة في الفترة (١٩١٥ ـ ١٩٣٣ م) والفصل الثالث والرابع عن نشاط البعثة في فترة ما بعد البترول (١٩٣٣ م ـ ١٩٧٣ م) ثم الفصل الخامس كان تقويماً لنشاط البعثة في هذه المدة [١] .

ثانياً : دراسات تنصيرية في إفريقيا :

٥ ـ التبشير في القرن الأفريقي ومقاومته :

رسالة ماجستير مقدمة في كلية الشريعة بجامعة الإمام عام ١٤٠٢ هـ من الباحث سيد أحمد حاج عبد الله والرسالة تتكون من تمهيد وثلاثة أبواب . تحدث الباحث في الباب الأول عن الحملات التبشيرية للمنطقة وآثارها في القرن الأفريقي وخططهم من أجل العمل على زيادة رقعة ميادين التبشير وحجمه . وفي الباب الثاني تحدث عن أساليب التبشير في مجال السياسة والإدارة والتعليم ومجال العمل الاجتماعي . وفي الباب الثالث

---

(١) بحث منشور باللغة العربية ، ترجمة مازن صلاح مطبقاني ، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

تحدث عن مواجهة التنصير وتناول الباحث دور العلماء والدعاة في هذه المواجهة وكذلك دور المدرسة والمسجد . ثم تطرق إلى جهود رابطة العالم الإسلامي والرئاسة العامة للإفتاء والدعوة والإرشاد في تنشيط هذه المواجهة . ثم ختمها الباحث ببعض المقترحات لمعالجة المشكلة [١] .

ثالثاً : دراسات تنصيرية في السودان :

٦ ـ التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل :

رسالة دكتوراة مقدمة في قسم التاريخ بجامعة القاهرة ١٩٧٨ م قدمها الباحث د . إبراهيم عكاشة علي وهي دراسة تاريخية لفترة ما قبل الاستقلال (١٩٠٠ ـ ١٩٤٧) تناول فيها النشاط التنصيري في إقليم جنوب السودان ودور المستعمر في التنصير وفي دعم الكنائس . وجاءت الرسالة في سبعة فصول تحدثت معظمها عن خطط الاستعمار ودوره في نشر النصرانية في جنوب السودان ، ثم الفصل الأخير عن حركة التصدي الوطنية في تلك الفترة .

والرسالة عبارة عن سرد تاريخي لما كان يحدث أكثر من كونها تتعرض للحاضر ولمعالجة مشكلة واقعية ، إذ اعتمد الباحث في مادته على الوثائق التاريخية [٢].

---

(١) بحث منشور ، دار العمير للثقافة والنشر ، جدة ، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦ م .

(٢) بحث منشور ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٢ م .

ما توصلت إليه من الدراسات السابقة :

باستعراضنا للدراسات السابقة في الموضوع نجد الفروق الآتية بينها وبين دراستي :

أولاً : دراستي تختص بمنطقة معينة محصورة تختلف عن تلك التي بحثت سابقاً والتي تمثل الدراسة في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي . إذ أن بعض هذه الدراسات تناولت التنصير في مناطق مختلفة من حيث الظروف السائدة فيها مع المنطقة التي أبحث فيها .

ثانياً : دراستي تتناول التنصير من حيث كشف حقيقته وتأثيره على المنطقة ، بينما لم تكتمل هذه العناصر في دراسة من الدراسات السابقة وإن كان قد اتفقت معها من حيث الإطار العام لموضوع التنصير والأساليب والوسائل التي قد تختلف من زمن لآخر ومن مكان لآخر حسب ما تقتضيه المصلحة . فهو يلبس لكل عهد لباسه .

ثالثاً : دراستي تعتبر دراسة ميدانية عن التنصير في العصر الحاضر مع بعض الإشارات واللمحات لتاريخ التنصير في المنطقة وهي دراسة آمل أن تكون شاملة ، بينما نجد أن بعض الدراسات السابقة ركزت على جوانب معينة : فالدراسة الرابعة اقتصرت على الناحية التاريخية فقط .

والدراسة الثالثة تحدث عن الموضوع باعتباره أحد التيارات الفكرية الوافدة كالعلمانية والرأسمالية والشيوعية . وكذلك نجد الدراسة السادسة تحدثت عن التنصير من خلال وسائل الإعلام فقط وأهملت الوسائل والأساليب الأخرى . وبعضها

تناول مناطق عامة مما ينتج عنه تشتت الجهود وعدم التركيز وذلك كما في الدراسة الأولى التي تناولت الخليج والجزيرة العربية .

ولعل الباحث بفضل الله تعالي في دراسته هذه سيقوم بعرض أنشطة التنصير المختلفة في منطقة جبال النوبا وكشف حقيقته وتأثيره والجهود المبذولة لمقاومته والتي يأمل أن تضيف شيئاً جديداً لسابقاتها من الدراسات التي أجريت في بعض البلاد الإسلامية ولكي تضع الدعاة المسلمين أمام مسؤوليتهم تجاه دينهم وإخوتهم في العالم الإسلامي .

الاستدلال على مشكلة البحث :

لا شك أن الإسلام قد واجه في جميع أزمانه منذ فجره الأول وبواكير الدعوة الإسلامية ، كثيراً من القوى المناوئة له ، فدخل معها في عراك شديد على مختلف المستويات وفي مختلف مراحل الدعوة وأعصارها .

وما يواجه الإسلام في عصرنا الحاضر من عداوة وأفكار وتيارات ومذاهب هدامة لا تقل ضراوة عن سابقتها إن لم تكن أشد . بل قد كثرت القوى التي تواجه الإسلام في عصرنا الحاضر وإزدادت فعالية أدواتها في محاربته . وكان من بين تلك التيارات المعادية للإسلام النشاط التنصيري المكثف في جميع أنحاء العالم .

وبالنظر إلى واقع المنطقة تبين للباحث أن التنصير قد كثف أنشطته وجهوده فيها فسلخ أبناءها عن دينهم الحنيف وأدخلهم في النصرانية ، بل جعل منهم قساوسة ومنصرين يسلكون مسلكه في عداوتهم للإسلام .

وأذكر بعض الشواهد على ذلك :

منها ما يسمى بالأب فيليب عباس غبوش هذا الرجل الذي ولد لأب مسلم ، بل كان أبوه من جنود الحكومة السودانية ويدعى عباس ، فأخذه المنصرون فنصروه وغيروا اسمه إلى فيليب وذهبوا به إلى أوروبا فتعلم في مدارس اللاهوت هناك ، وعاد ليكون قسيساً كبيراً في المنطقة ويلقبه أصحابه بـ« الأب » وله نشاط كبير معاد للإسلام [١] بالإضافة إلى نزعته العنصرية .

ومثله أيضاً المدعو « قاما حسن » وهذا كان وزيراً إقليمياً فكيف يتصور أحدنا أن « عباس » ينجب « فيليب » وحسن يلد « قاما » .

وقد نشرت صحيفة الأمة [٢] في مقابلة مع مدير المركز الإسلامي في مدينة بابنوسة بغربي السودان أن أحد أبناء المنطقة ويدعى أنجلو أبو راسيين الذي أشهر إسلامه بعد أن كان يدير مركزاً مسيحياً قال إن بناء الكنائس العشوائية في جبال النوبا بالمواد المحلية قد تضاعف في عامين فقط من « ٢٣ » إلى « ١٥٠ » كنيسة في مقابل « ٤٠ » مسجداً بالمنطقة . فإذا كان هذا هو الوضع قبل عشر سنوات فكيف يكون حاله الآن ؟

---

(١) كان من المعارضين لتطبيق الشريعة في السودان (١٤٠٣ - ١٤٠٥ هـ) وقبض عليه بتهمة البغي والخروج على الدولة المسلمة ثم أطلق سراحه بعد تدخل مجلس الكنائس العالمي ، وكذلك اتهم بمحاولة انقلابية سنة ١٤٠٦ هـ .

(٢) العدد ٤ ربيع الآخر ، ١٤٠١ هـ - فبراير ١٩٨١ م ، رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر .

ويذكر الدكتور يوسف الخليفة أبو بكر وكيل الشؤون الدينية والأوقاف في خطاب موجه إلى الدكتور عبد الله نصيف بتاريخ ٢٤ / ٤ / ١٩٧٩ م ما نصه :

« إن النشاط التبشيري يقوم على المشروعات الاقتصادية والعلمية والاجتماعية ، وتدعمه مؤسسات وهيئات دولية فعلى سبيل المثال لا الحصر هيئة سودان ايد Sudan aid الكاثوليكية لديها الآن (٨٠٠) مشروعاً في شكل مراكز صحية ومعاهد علمية تدريبية وتربوية . وجامعة هارفارد بالولايات المتحدة لديها مشروع يسمى التأثير عبر الحضارة Studies cross cultural في غربي السودان يعمل به عدد من الأساتذة من علماء الاجتماع والاقتصاد والطب والزراعة ظاهره عمل علمي وباطنه عمل تبشيري نصراني يهيئ المنطقة لغزو حضاري . أ . هـ[١].

صياغة مشكلة البحث :

من خلال متابعة الباحث لما يجرى في المنطقة ولما ينشر ويكتب عنها في الجهات ذات الاهتمام بالدعوة الإسلامية تبين له أن هناك عاملاً مهماً كان له الأثر العظيم في إعاقة إنتشار الإسلام في المنطقة ، ومن هنا يتبين أن البحث هو محاولة الكشف عن هذا العامل وهو النشاط التنصيري المكثف في المنطقة باعتباره تياراً مناوئاً للإسلام .

---

(١) تقرير لجنة مشروع المركز الإسلامي ببابنوسة ، رمضان ، ١٤٠٩ هـ .

تساؤلات البحث :

حسب طبيعة البحث فإنه يجيب على التساؤلات الآتية :

١ - ما هو التنصير وما حقيقته ؟

٢ - ما دور السياسة الاستعمارية في تثبيت أركان التنصير في المنطقة ؟

٣ - ما هي الإرساليات والكنائس العاملة ؟ وإلى أي مدى بلغ نشاطها ؟

٤ - ما أثر وكالات الإغاثة العالمية والتنمية الدولية والأجنبية في التنصير ؟

٥ - ما أثر هذه الأنشطة وانعكاساتها على المجتمع ؟

٦ - ما هي وسائل التنصير المستخدمة ؟

٧ - ما هي الجهود المبذولة لمقاومة التنصير في المنطقة ؟

حدود البحث (المكانية والزمانية) :

يتناول البحث الدراسة في مجتمع النوبا بمنطقة جبال النوبا بالسودان ، وهي تقع في جنوب ولاية كردفان وفي مساحة قدرها ٣٠,٠٠٠ ميلاً مربعاً . ويحدها من الغرب إقليم دارفور وتشترك في حدودها الجنوبية مع إقليم جنوب السودان . ومن الشرق مديرية النيل الأبيض وتضم أربع محافظات إدارية هي :

١ - محافظة الدلنج .

٢ - محافظة كادوقلي .

٣ - محافظة تلودي .

٤ - محافظة رشاد

أما الحدود الزمانية في دراسة ميدانية تمت في وقت إجراء الدراسة .

منهج البحث ونوعيته :

لما كان هذا البحث من البحوث الوصفية فإن أنسب المناهج له هو المنهج المسحي ، ولما في منهج المسح من جهد علمي منظم للحصول على بيانات ومعلومات عن الظاهرة موضع الدراسة ومحل البحث في فترة زمنية معينة . وقد استخدم الباحث منهج البحث بالعينة لصعوبة استخدام المسح الشامل .

كما استخدم الباحث أيضاً المنهج التاريخي التحليلي لدراسة الأحداث التي صنعها الاستعمار لتحقيق أهدافه في المنطقة ولإنجاح خطته التنصيرية فيها .

مصادر البحث ومراجعه :

يستقي هذا البحث معلوماته من مصادر ومراجع عدة كانت موارد أصيلة لمادة البحث . وقد قام الباحث بإجراء مسح شامل لما توفر له منها سواء كانت كتباً عربية ، أو أجنبية ، أو مقالات في الدوريات والمجلات والصحف ، أو نشرات ووثائق ، أو مصادر شفهية كما في المقابلة ، أو مكتوبة من خلال الاستبيان . وقد استخدم الباحث الاستبيان والمقابلة للحصول على المعلومات التي لم تمكن متوفرة في المصادر الأخرى ، إذ قام الباحث بإجراء عدد من المقابلات بهدف جمع المعلومات عن مادة البحث ، وقد كانت لدى الباحث أسئلة مكتوبة ومعدة سلفاً تلقى على المبحوث فيجيب عليها ويقوم الباحث بتسجيلها عبر جهاز للتسجيل .

أو يدونها في دفتر كما كان يرغب بعض المبحوثين في ذلك .

كذلك قام الباحث بإجراء استبانة [١] شملت نوعين من الأسئلة :
أسئلة مقيدة ؛ وهذه كانت تحتاج من المبحوث إلى إجابات محددة .
وأخرى مفتوحة كان يجيب عليها المبحوث بحسب رأيه .

وقد تم اختيار عينات الدراسة على أساس علاقتهم بالعمل الدعوي والإسلامي سواء كانوا يقومون بذلك بجهودهم الفردية أو ممن ينتسبون إلى مؤسسات إسلامية ودعوية بالإضافة إلى المسئولين في مجال الشئون الدينية بالمنطقة ومن لهم علاقة بالمنصرين .

ولتنفيذ ذلك قام الباحث بزيارات ميدانية وجولات في المنطقة شملت مدن الأبيض ، والدلنج ، وكادوقلي ، وبعض الأرياف القريبة [٢] . كما شملت الجولة والزيارة مدينة الخرطوم العاصمة التي كان بها عدد كبير من أبناء المنطقة سواء كانوا في مواقع العمل والمسؤولية ، أو مهاجرين إليها من مناطقهم من المسلمين والنصارى .

هذه هي مجمل المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث ، وقد أثبتها الباحث مفصلة في نهاية الصفحات بدءاً باسم المؤلف ، فعنوان الكتاب ، فصفحة المادة المستفادة ، فالطبعة عدداً ، وداراً وسنة ، ومكاناً أما إن كانت مقابلة فيتم الإشارة إليها أيضاً باسم من تمت مقابلته

---

(١) والاستبانة هي وسيلة للحصول على إجابات عن عدد من الأسئلة المكتوبة في نموذج يعد لهذا الغرض ويقوم المجيب بملئه بنفسه ، انظر طلعت همام ، ص١٠٦ ، سين وجيم عن البحث العلمي .

(٢) لم يتمكن الباحث من زيارة الأرياف البعيدة لانعدام المواصلات ، ووعورة المنطقة وعدم الاستقرار وتردي الأمن بالمنطقة بسبب التمرد ضد السلطة الذي تقوده الكنائس بالمنطقة ، الأمر الذي أدى إلى نزوح معظم أهالي تلك الأرياف إلى المدن .

وصفته ، ومكان المقابلة ، والتاريخ . ويأتي ذكر اسم المرجع في نهاية الصفحة بعد ترقيم نهاية النص المنقول أو المتصرف فيه برقم متوافق مع المرجع ، كما تم إدخال النص المنقول حرفياً بين علامتي تنصيص « ..... » ، كما تم أيضاً وضع الكلمات الشارحة والموضحة في بعض المواطن بين قوسين .

تقسيم البحث :

جاء هذا البحث في خمسة فصول تسبقها مقدمة وفصل تمهيدي وتعقبها خاتمة .

المقدمة :

تناولت موضوع البحث ، وأهميته ، وأسباب اختياره ، وأهداف الدراسة وقيودها ، وأهم الدراسات السابقة في الموضوع ، ومنهج البحث ومصادره ومراجعه ، وتقسيم البحث وفي الختام الشكر والعرفان .

الفصل التمهيدي :

وتضمن التعريف بالمنطقة وشمل ثلاثة مباحث ، المبحث الأول عبارة عن تعريف موجز بالمنطقة من حيث موقعها ومساحتها وتضاريسها وطبيعتها الجغرافية ، ونوعية التركيبة السكانية للمنطقة والقبائل التي تقطنها واللهجات المتداولة عند تلك القبائل ، والمبحث الثاني تحدث عن تاريخ دخول الإسلام في المنطقة وتسربه إليها بعد دخوله السودان ، وفي المبحث الثالث تحدث الباحث عن تاريخ دخول النصرانية للمنطقة والتي كانت على يد المستعمر إذ أن المنطقة كانت لا تعرف النصرانية قبل ذلك .

الفصل الأول :

وجاء هذا الفصل تحت عنوان السياسة الاستعمارية لتنصير المنطقة واشتمل على ثلاثة مباحث ، المبحث الأول بعنوان ، السياسة الاستعمارية تجاه التعليم مبيناً خطط الحكومة الاستعمارية المختلفة للتعليم بالمنطقة والتي هدفت إلى تكريس هيمنة المستعمر ونشر مبادئه النصرانية ، وفي المبحث الثاني تحدث الباحث عن سياسة المستعمر التي اتخذها حيال الدعوة والدعاة وتواجدهم بالمنطقة ، وفي المبحث الثالث كان الحديث عن الوجود العربي والإسلامي بالمنطقة والذي حاول المستعمر طمس معالمه ومحوه .

الفصل الثاني :

يتحدث عن المؤسسات التنصيرية العاملة في المنطقة ويشمل أربعة مباحث ، المبحث الأول يتحدث عن نشاط إرسالية السودان المتحدة ، والمبحث الثاني تحدث عن نشاط إرسالية جمعية التبشير الكنسي ، بينما تحدث المبحث الثالث عن بعض المؤسسات والكنائس التنصيرية الأخرى ، والتي غالباً ماتتستر تحت مسميات شتى كمنظمات الإغاثة وإعادة التعمير ومكافحة الجفاف وغيرها ، أما المبحث الرابع فكان الحديث فيه يدور حول النشاط الفردي .

الفصل الثالث :

يتكون هذا الفصل من أربعة مباحث ، وكان يدور حول وسائل التنصير المستخدمة في المنطقة والتي شملت الإغاثة ، والتطبيب والتعليم والخدمات الاجتماعية ، والإعلام .

الفصل الرابع :

ويتحدث هذا الفصل عن تأثير التنصير على مجتمع النوبا ويشمل ثلاثة مباحث ، المبحث الأول تحت عنوان التأثير العقدي ، ثم يليه المبحث الثاني عن التأثير الثقافي ، ثم المبحث الثالث عن التأثير الاجتماعي .

الفصل الخامس :

وهو الفصل الأخير في البحث ، وجاء الحديث فيه عن طرق مواجهة النشاط التنصيري في المنطقة والحد منه ، ويتكون من أربعة مباحث : المبحث الأول عن دور الجهود الفردية في مواجهة التنصير ، والمبحث الثاني يتحدث عن الجهود الجماعية ودورها في المواجهة ، أما المبحث الثالث فكان عن دور الجهات الرسمية والحكومية في المواجهة . ثم المبحث الرابع وهو عن جهود العالم الإسلامي ودوره في مواجهة التنصير في هذه المنطقة .

ثم تم ختم البحث بخاتمة تضمنت ملخص الدراسة ، وأبرز النتائج التي توصل إليها الباحث ، والتوصيات والمقترحات التي رأى الباحث ضرورة الأخذ بها . وقد تم تزويد البحث أيضاً بملحق لصور بعض الخرائط والوثائق .

ولإعانة القارىء على مطالعة البحث وجزئياته بسهولة تم وضع فهرس للمصادر والمراجع حسب الترتيب الأبجدي للمؤلفين ، وفهرس للأعلام والأماكن ، وفهرس لموضوعات البحث .

شكر وعرفان

لله عظيم الشكر أولاً ، فهو صاحب الفضل وأهل لكل ثناء ، ويطيب للباحث في ختام هذه المقدمة وهو يقدم ثمرة هذا الجهد ، أن يقدم جزيل الشكر وجميل العرفان للقائمين على أمر هذه الجامعة ، وكذلك الشكر موصول للقائمين على إدارة كلية الدعوة والإعلام على ما بذلوه وما زالوا في سبيل خدمة العلم وطلابه ، فأتاحوا لنا فرص الدراسة ومواصلة تعليمنا العالي في هذه الجامعة على يد نخبة من الأساتذة الأجلاء ، فلهم كل التقدير والاحترام .

واعترافاً من الباحث لأهل الفضل بفضلهم ، يتقدم بالشكر أجزله لكل من كانت له عليه يد بيضاء ، حتى خرج هذا البحث بصورته هذه ويخص بالشكر الأستاذ الجليل فضيلة الدكتور يوسف محيى الدين أبو هلالة ، المشرف على هذا البحث والذي بذل جهده ووسعه في توجيه وإرشاد الباحث ، حتى استوى هذا البحث على سوقه وأينع ثمره ، فله من الله حسن الجزاء والمثوبة .

كما لا يفوت الباحث أن يتقدم بالشكر والتقدير لكل من الأستاذ : عبد السلام سليمان سعد نائب المدير التنفيذي لمنظمة الدعوة الإسلامية لإفريقيا ، والأستاذ : النور كبسور مدير بعثة المنظمة السابق بالدلنج على ما بذلوه من جهد ومساعدة للباحث أثناء الدراسة الميدانية لهذا البحث . وكذلك الشكر موصول للإخوة الزملاء من الطلاب الذين وقفوا مع الباحث تشجيعاً ومعاونةً وفي مقدمتهم الزميل ربيع محمد القمر الحاج .

والشكر موصول كذلك للمناقشين الكريمين الذين قبلا قراءة البحث ومناقشة الباحث وتقويمه .

ومهما أوتيء المرء من علم ومعرفة سيظل إنساناً معرضاً للخطأ والنسيان ، إلا أصحاب العصمة من الأنبياء والرسل ، ولذلك فإن ما كان من صواب وسداد في هذا البحث فمن توفيق الله سبحانه وتعالى ، وما كان من زلات وهفوات فمن نفسي ومن الشيطان وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

فصل تمهيدي

التعريف بالمنطقة

ويشمل المباحث الآتية :

المبحث الأول : تعريف موجز بالمنطقة من حيث الموقع السكان، القبائل ، واللهجات المتداولة .

المبحث الثاني : تاريخ دخول الإسلام إلى المنطقة .

المبحث الثالث : تاريخ دخول النصرانية إلى المنطقة .

المبحث الأول

تعريف موجز بالمنطقة من حيث الموقع ، والسكان والقبائل ، واللهجات المتداولة .

أ ـ موقع جبال النوبا :

تقع جبال النوبا في جنوب ولاية كردفان ، بغربي السودان وتنحصر بين خطي طول (٣٢° و ٢٩°) شرقا ، وخطي عرض (١٣°و ٣٠,١٠°) شمالا، وتشترك في حدودها الجنوبية مع إقليم جنوبي السودان وتحدها من الشرق مديرية النيل الأبيض ، ومن الغرب إقليم دارفور وتضم مساحة قدرها (٣٠,٠٠٠) ميلا مربعا [١].

وهذه المساحة بما فيها من السطح الجبلي تمتاز بتربة خصبة قابلة للإنتاج الزراعي والحيواني كما تتمتع بالعنصر البشري النشط ، مما يجعلها قابلة للتوسع في مختلف أوجه الأنشطة الاقتصادية ، كما تقع منطقة جبال النوبا ضمن مناخ السافانا الغنية ، الأمر الذي يجعلها عرضة لهطول كمية كبيرة من الأمطار على جبالها ، تتراوح بين ٦٠٠ - ٨٠٠ ملمتر في السنة ، ويبدأ هطولها في وقت مبكر من العام

---

(١) علي حسن عبد الله : الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٥ ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ١٩٨٦ م .

وتستمر لمدة ستة أشهر [١] ويشكل مظهر السطح في المنطقة الذي تكثر فيه الجبال قلاعا وكتلا صخرية قرانيتية بعضها يشكل جبالا منعزلة وأحيانا تشاهد سلاسل جبلية متصلة ، يصل ارتفاع بعضها إلى أكثر من (٣٥٠٠) قدم فوق سطح البحر كجبال تلودي وهيبان، وتتراوح تربتها بين تربة صلصالية مشققة ، إلى تربة طينية مختلطة بالرمال ، كما توجد مناطق سهلية تعرف باسم «البطحة» وهي من أصلح الأراضي الزراعية ، إذ تنمو فيها الحشائش والأشجار، وتتخللها كثير من الوديان التي تنحدر مياهها بقوة وسرعة من الجبال ، كخور أبي حبل الذي يأتي من الجبال الشمالية، ويجري شرقا مسافة ١٩٠ ميلا ليصب في النيل الأبيض ، عند الجزيرة أبا ، أو يغور في الرمال قبل المصب [٢] .

ويقدر عدد جبالها بتسعة وتسعين جبلا ، تمتد جنوبا وشرقا إلى النيل الأبيض وغربا إلى دارفور، وتتخللها كثير من الينابيع بجانب السهول التي تنمو فيها أشجار السنط والعرديب والتبلدي [٣].

ومنطقة جبال النوبا غنية بمواردها الزراعية ، ويأخذ فصل الربيع فيها شكلاً واضحاً ، وتعد أكثر ملاءمة للاستقرار من منطقة جنوب السودان ، التي كانت طبيعتها الاستوائية ونباتاتها وأدغالها الكثيفة

---

(١) تعليم اللغة العربية في جبال النوبا ، ص١٤ ، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة ، سلسلة الدراسات الميدانية (٢) ، إعداد الدارسون بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، ١٩٨١ م .

(٢) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، ص٢٣ ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٢ م .

- انظر المعهد الدولي لتعليم اللغة العربية ، ص١٤ ، مرجع سابق .

(٣) جغرافية وتاريخ السودان ، ص : ١٢٧ ، مرجع سابق .

ووحوشها الكثيرة ، حائلا دون نشوء استقرار أو بناء حضارة [١] وتعد الطبيعة في غرب السودان «كردفان ودارفور» عنصرا مساعداً للاستقرار إذ توجد في جنوبها السافانا الغنية ، وفي شمالها السافانا المتوسطة والفقيرة ، وقد أدى هذا المناخ الطبيعي المتنوع ، والأرض الغنية بالوديان والهضاب والأعشاب المتنوعة الصالحة للرعي إلى عمران تلك المناطق [٢].

ب ـ السكان والقبائل :

يبلغ عدد سكان جبال النوبا نحو المليون وثمانمائة ألف نسمة [٣] ويقطن النوبا متفرقين بين هذه الجبال على سفوحها وقممها، ويشاركهم السكن في الوديان والسهول بعض القبائل العربية التي تمثل أقلية منصهرة فيها ، ويعايش النوبا الآن القبائل العربية المجاورة والتي تشاركهم الحياة في تلك المناطق في ود ووئام، وخير مثال لذلك العلاقات الحسنة السائدة بين النوبا، وعرب الحوازمة ، وروابط حسن الجوار القائمة بينهم ، وبين عرب المسيرية [٤] . ويتصف سكان نوبا الجبال بالبشرة السوداء، وبالقامات المتوسطة ، والأجسام الممتلئة ، والأخلاق الرضية.ويبلغ مجموع قبائل جبال النوبا (٩٩) قبيلة موزعة على

---

(١) حسب الله محمد أحمد : قصة الحضارة في السودان ، ص : ١٩٨ ، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ م .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٩٨ .

(٣) علي حسن عبد الله : الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٥ .

(٤) المصدر نفسه ، ص : ٥٧ .

مناطقها الأربع : الدنج ، وكادوقلي ، وتلودي ، ورشاد [١] وهذه هي المناطق الإدارية الكبيرة في المنطقة.وكل منها يشمل عددا من الجبال نذكرها كالآتي : [٢]

ا ـ منطقة الدلنج :

وتشمل الجبال الآتية : ١ - الكـور ، ٢ - الصبي ، ٣ - كـجـرية ٤ - تيمن ، ٥ - النيمانج ، وهي أكثر الجبال من حيث الكثافة السكانية وتسمى القبائل بأسماء الجبال التي تقطن فيها .

٢ ـ منطقة كادوقلي :

أهم الجبال فيها :

- جبل ميري برة
- جبل ميري جوة .
- جبل شيبون .

٣ ـ منطقة تلودي :

وهي تتبع لمنطقة كادوقلي، وتقع في جنوبها جبال «الليري» .

٤ ـ منطقة رشاد :

وهي منطقة جبال تقلي المسلمة ، وهم من سلالة رشيد الجعلي أبو جريدة الذي قدم من المغرب وأخذت المدينة «رشاد» اسمها من اسمه وتعرف هذه المنطقة بشرق الجبال ، ولها مجلسها المحلي الخاص ومقره

---

(١) مصطفى أبو بكر : مدير المركز الإسلامي بيانوسة بجنوبي كردفان في مقابلة مع مجلة الأمة الصادرة عن رئاسة المحاكم الشرعية بدولة قطر ، العدد ٤ ربيع الثاني ، ١٤٠١ هـ ٢ / ١٩٨١ م ، ص : ٦٩ .

(٢) الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٦ .

ابو جبيهة وتضم الجبال الآتية :

١ - جبل دلامي .

٢ - جبال الكواليب .

وللنوبا تقاليدهم وطقوسهم الخاصة فيما يتعلق بالزواج والزراعة والسبر وألعاب القوى إذ يمارسون لعبة المصارعة وخاصة في أعيادهم ومناسباتهم، وكذلك الرقص وأهم أنواعه : رقصة «الكمبلا» ويشتغل معظم السكان بالزراعة ويمتهن المهن والحرف الأخرى نسبة قليلة منهم .

جـ ـ الأصول العرقية للنوبا وعلاقتهم بنوبة الشمال :

يدعي النوبا أنهم سكنوا هذا الإقليم منذ مراحل تاريخية بعيدة ولايعرفون موطنا لهم غيره إلا أن الدراسات اللغوية ، والاجتماعية أشارت إلى أن الانتقال إلى هذه المنطقة قد تم من مناطق أكثر عمقا في الجنوب من مناطق القبائل الحامية النيلية ، أو من مناطق قبائل البانتو لأن الدلائل الآن واضحة في علاقة بعض لغات جبال النوبا بلغات البانتو والسواحلية [١].

ومعنى هذا أن النوبا لهم جذور زنجية تشترك فيها مع قبائل جنوب السودان ، كالشلك ، والدينكا ، ذات الأصول الأفريقية حيث تغلب عليهم الصفات الزنجية بشكل واضح [٢].

ويرى البعض أن مجموعة النوبا استقرت في جنوب كردفان ، بعد أن نزحت منها السلالات الزنجية ، وتركت لهم الجبال ليقطنوا فيها ، بعد

---

(١) مذكرة تعليم اللغة العربية في جبال النوبا ، ص : ١٥ .

(٢) صلاح الدين علي الشامي ، السودان دراسة جغرافية ، ص : ٢٦٧ الناشر : منشأة المعارف بالإسكندرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٣ م .

قدومهم من الشمال [١].

بينما يرى البعض الآخر أن طائفة من هذه السلالات الزنجية آثرت الاستقرار في منطقة الجبال ، وهذا ما يفيد ويوحى بأن النوبا الحاليين هم نتاج تفاعل عناصر وافدة من الشمال ، مع تلك السلالات الزنجية التي كانت مستقرة في المنطقة [٢].

وعلى العموم يمكن القول : بأن قبائل النوبا وجماعاتها لم ترتبط بأصل واحد ، بل تعددت أصولهم العرقية ، وكذلك تعددت المناطق التي وفدت منها ، سواء كان ذلك قديما، أو حديثا ، وشكلت مجتمع النوبا الحالي بثقافاته ولغاته المتباينة .

أما علاقة نوبا الجبال بنوبة «الشمال» أو النوبيون الذين يقطنون شمال السودان فقد دار حولها كثير من النقاش والحوار بغية الوصول إلى مسلمات وحقائق واقعية ، ولكن لم تستقر رؤى الباحثين والدارسين لذلك الموضوع ، على رأي محدد، والراجع والله أعلم أنه لاعلاقة بين المجموعتين .

ويفرق البعض بين اسم الجماعتين فيطلقون كلمة «النوبا» على سكان الجبال ويجمعونها في كلمة «نوباويون» والمفرد نوباوى ويطلقون لفظ «نوبة» بالتاء المربوطة على سكان الشمال ، وتجمع «نوبيون» والمفرد منها «نوبي» [٣].

---

(١) Macmachael H.A : The tribes of northern and Central Kordofan (Cambridge, 1912) P. 4.

(٢) Henderson, K.D.D, The Making of the Modern Sudan, The Life and Letters of sir. Douglos Newbold (London, 1953) P. 4.

(٣) الشاطر بصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، ص : ٣٦٦ ، من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م .

ولكن الرأي الذي يقول بأن نوبا الجبال ونوبة الشمال أصولهم واحدة تنقصه العلمية والموضوعية ، إذ أن المشاهد لنوبة الشمال يجدهم من السلالات القوقازية ، أي من نوع الجنس المسمى بجنس البحر الأبيض المتوسط، بينما تغلب الملامح والسحنة الزنجية على نوبا الجبال [١].

كما أن الثقافة النوبية في الشمال تختلف تماما عن الثقافة النوباوية في جنوب كردفان ، فالنوبة في الشمال يمارسون الختان للأولاد والبنات ، ويغتسلون من الجنابة ، ولايطئون نساءهم في الحيض [٢] وهذه كلها عادات لايعرفها النوباوين في جنوب كردفان .

بل العكس من ذلك فنوبا الجبال يمارسون عادات لايعرفها النوبيون في الشمال ، مثل خلع القواطع [٣] وخرق الشفة السفلى للنساء لتعلق عليها الحلي [٤] وكلتا العادتين زنجية خالصة .

د ـ اللهجات النوباوية المتداولة :

تنتشر بين قبائل وجماعات النوبا المنعزلين في الجبال حوالي (٥٣) لغة محلية [٥] لتشكل لغات التخاطب بين أفراد القبيلة الواحدة أو

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، سكانه وقبائله ، ص : ٢٨٨ ، الطبعة الأولى القاهرة ، ١٩٥١ م ، ط . لجنة التأليف والترجمة والنشر .

(٢) محمد بن أبي طالب الأنصاري الدمشقي (ت ٧٣٩) : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص٢٦٩ ، مكتبة المثنى ببغداد ، بدون تاريخ .

(٣) هي عادة أفريقية قديمة ما زال يعمل بها بعض النوبا إلى هذا اليوم حيث يقومون بخلع أسنان الذكور إذا بلغوا سناً معيناً .

(٤) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، سكانه وقبائله ، ص : ٢٨٨ .

(٥) الشيخ مصطفى أبو بكر : مجلة الأمة ، ص : ٦٩ ، ربيع الثاني ، ١٤٠١ هـ .

عدة قبائل ، إذ أنك تجد لكل قبيلة لغتها الخاصة بها أو قد تشترك القبيلتان في لغة واحدة وقد أخذ كثير من سكان الجبال طريقه للتحدث بالعربية ، واعتنق بعضهم الدين الاسلامي [١] بل وأن اللغةالعربية المكسرة هي لغة التخاطب المشتركة بين هذه المجموعات .

ويمكن القول بأن هذه اللغات المحلية في مناطق التعدد والتداخل اللغوي في السوان ، في حالة انحسار مستمرة بين المجموعات التي تتحدثها تاريخياً ، إذ تنحسر هذه اللغات عن الكثير من مجالات استخدامها بصورة تدريجية وتسير في اتجاه التناقص الكمي المتواتر لعدد المتحدثين بها [٢] وهذا جاء كنتاج طبيعي لانتشار اللغة العربية في هذه المناطق وحلولها محل اللغات المحلية .

هـ - عقائد النوبا :

لقد بات من الحقائق المتفق عليها في المجتمعات المختلفة حضرية أو بدائية ، منعزلة أو منفتحة ، هي شيوع التدين بين هذه المجتمعات ، وذلك من خلال الرحلات الكشفية والجغرافية التي جابت مختلف بقاع الأرض في القرن الثامن عشر الميلادي ، ومن خلال الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية ، ولقد وجدت جماعات إنسانية من غير علوم أو فنون وفلسفات ، ولكن لم توجد قط جماعة بغير ديانة مهما كان شكلها [٣] .

---

(١) علي حسن عبد الله : الحكم والإدارة في السودان ، ص : ٥٦ .

(٢) تعليم اللغة العربية في جبال النوبا ، ص : ٣ .

(٣) صديق عطا المنان التوم : التعليم الديني في منطقة جبال النوبا ، ص : ٥٣ ، بحث غير منشور موجود بالمركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، بدون تاريخ .

وعلى هذا يمكن القول : بأن التدين غريزة في نفس الإنسان أنى ومتى وجد ، إما بوحي إلهي أو يتخذه وسيلة للمصالحة مع الطبيعة ومظاهرها خوفا من شرها أو خطبا لودها، ولهذا نجد أن الإنسان قد عبد كثيرا من مظاهر القوى الطبيعية بأشكالها المتعددة ، كالشمس والقمر الأنواء والأرواح ، التي جسدها في شكل أصنام ، وإلى غير ذلك من أنواع المعبودات .

وكذلك نجد الإنسان النوباوي الوثني قد بهرته القوى الخارقة التي تسيطر على حياته ، فهو يرى مظاهر الطبيعة التي تتمثل في الشمس الدافئة الحارقة ، والقمر الساطع ، والنجوم اللامعة والأمطار التي يعتمد عليها في كل شيء في حياته والأنواء والبرق والرعد والصواعق التي تفتك أحيانا بالنفس والمال ، ويرى خضرة الحشائش ، وشاهد ميلاد الحيوان وتناسل الإنسان ، وينوم فيرى الأحلام والأضغاث ، ويموت فيذهب إلى عالم غير معروف ، من هذه المظاهر ينتج الإيمان لدى الإنسان النوباوي بأن هناك قوى عظمى تسير هذا الكون وأن هذه القوى لابد أن تكون آتية من مكان عظيم هو مكان مهبط الأمطار في السماء العليا .

ومن مظاهر الانسان التنفس والظلال وانعاكسات الأحلام لذلك اعتقد بعض النوبا الوثنيين « .. أن للإنسان قوى عدة يمكن أن تنفصل عن جسمه ويمكن أن تتجزأ إلى أربعة أو خمسة أجزاء، وعندما ينام الانسان فإن جميع خلاله وأرواحه تفارق جسده عدا واحدة ، تظل فيه لتحفظ الحياة عليه ، وتتفسح تلك الأرواح والظلال في العالم الفسيح في صورة قط أو كلب أو فأر، أو أي حيوان آخر ولهذا يحذر بعض النوبا

«كقبيلة النيمانج» من قتل حيوان بالليل مخافة أن يقتل روح إنسان فيه ، ويموت الإنسان عندما تخرج آخر تلك الأرواح ، وهي ما تسمى «قشين» [١].

وهكذا وسط هذا العالم المشبع بالأرواح والأشباح يسرح الإنسان النوباوي الوثني ، بتفكيره، وخياله ، ويتلمس الطرق التي يرضيها بها ويحاذر أن يقع فيما يغضبها، ويتصور النيمانج أن هناك إله واحد كبير وأعظم وهو الذي يحكم العالم ، ويطلقون عليه «أبرادي» (Abradi) ولكن نادرا، ما يتجهون إليه في دعواتهم وعباداتهم، لأنهم في اعتقادهم ليس مسؤولا عنهم على نحو ما .

وبالرغم من أنهم يرون أنه قد خلق الأرواح بإرادته إلا أنه ليس له صلة بها ، باستثناء بعض الأرواح التي له بها صلة حميمة [٢].

وفي تصور النوبا الوثنيين للموت يعتقدون بموت الجسد فقط أما روحه «قشين» "Qeshin" فإنها خالدة تعيش بعد مفارقتها للجسد، مدة مساوية للعمر الذي عاشه الشخص متفسحة في الكون الواسع في عالم الأرواح ، وتتحول بعد هذه المدة ، إذا قدمت لها القرابين إلى «كوني» "kwuni" أو آبدي "abdi" وهو مايطلق عليه كلمة «كجور»، أو جسد امرأة فيطلق عليها لفظ «كجورية»، وذلك بعد أن يؤدي طقوساً وأسباراً معينة ، وتصبح تلك الأرواح وسائط بين الإله الأعظم «أبرادي» وبين الناس ويستطيع الانسان الكجور بواسطة قوة هذه الأرواح أن يتنبأ بالمستقبل وأن يأتي بالخير ويدرأ الشر .

---

(١) صديق عطا المنان التوم : التعلمي الديني في جبال النوبا ، ص : ٥٤ ، مرجع سابق .

(٢) المصدر نفسه ، ص : ٥٥ .

ويختص كل كجور بجانب معين من الأعمال كالحرب والزرع والمطر والإنجاب والعلاج ، ويقدم لهم الناس الهدايا والقرابين [١] ولكن هذا لايعني أن جميع النوبا يدينون بالوثنية والخرافات بل هناك الديانة الإسلامية والنصرانية ، ولكن أكثر السكان من الوثنيين تليها في نسبة السكان الديانة الاسلامية ، ثم النصرانية ، التي وجدت المجال خصبا في هذه الأرض المليئة بالجهل والخرافات ، تدعمها الكنائس والارساليات الغربية .

---

(١) صديق المنان : التعليم الديني في جبال النوبا ، ص : ٥٥ .

المبحث الثاني
تاريخ دخول الاسلام إلى المنطقة

أ - تاريخ دخول الاسلام إلى السودان :

عرف العرب بلاد النوبة والسودان [١] قبل ظهور الاسلام بوقت طويل، وهذه حقيقة من الحقائق التي أكدتها الكشوفات الجغرافية والروايات التاريخية ، ذلك لأن البحر الأحمر لم يكن يوما من الأيام حاجزا كبيرا يمنع الاتصال بين شواطئه الشرقية الآسيوية ، وشواطئه الأفريقية ، إذ لا يزيد عرض البحر عن مائة وعشرين ميلا من الساحل الغربي عند السودان، وتصغر هذه المسافة بحيث تصبح عشرة أميال فقط عند مضيق باب المندب ، وهذه مسافة ليس من الصعب اجتيازها بالسفن الصغيرة في ذلك الوقت ، حيث سلكت السلالات العربية ذلك الطريق إلى أفريقيا منذ آلاف السنين [٢].

فقد هاجرت جماعات من الحضارمة إلى بلاد البجة في القرن السادس الميلادي ، وكذلك سبقتهم هجرات من السبئيين في القرن الخامس الميلادي ، إلى الساحل الغربي من البحر الأحمر، ثم انتشروا على امتداد شواطئ أفريقيا الشرقية ، إذ كانت الرابطة بين ساحلي البحر الأحمر قوية ، والعبور من باب المندب كان أمر سهلا ميسورا، فقد كان

---

(١) يطلق لفظ بلاد النوبة والسودان الشرقي سابقاً في كتب التاريخ ويراد بها حالياً جمهورية السودان التي تقع جنوب مصر .

(٢) مصطفى محمد مسعد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ص : ١٠٧ ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ م .

المضيق متاخما لبلادهم في اليمن [١].

ويشكل السودان بموقعه الجغرافي المتميز الذي يتمتع به ، معبرا رئيسياً لهجرات بشرية عديدة ، وتيارات حضارية متباينة ، كما جعل منه موقعه مركز تفاعل وتلاقح بين المؤثرات الحضارية الوافدة من جانب وبين الموروثات المحلية من جانب آخر .

ويذكر الدكتور عبدالفتاح مقلد الغنيمي [٢] أن هناك أربع معابر عبر بها العرب إلى بلاد السودان قبل الاسلام وهي : برزخ السويس وشبه جزيرة سيناء ، معبر البحر الأحمر ، وباب المندب ، والمعبر المصري المباشر ، حتى كونت مايمكن أن يطلق عليه مجتمعات شبه عربية ، قبل ظهور الاسلام وانتشاره في تلك المناطق .

ولقد ازدادت تلك الموجة من الهجرات العربية إلى بلاد السودان وازداد تأثيرها واتسع مداها بظهور الإسلام وخاصة بعد ما فتح العرب المسلمون مصر ووقعوا اتفاقية الهدنة مع النوبة عام ٣١هـ الموافق

---

(١) أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي : ت ٨٤٥ ، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، ص١٤١ ـ ١٤٢ ، تحقيق الدكتور / عبد الرحمن عابدين ، الطبعة الأولى ١٩٦١ م ، عالم الكتب ، القاهرة .

(٢) انظر الإسلام والعروبة في السودان ، ص : ٢٤ ، وما قبلها ، دار العربي للنشر والتوزيع القاهرة ، ١٤٠٦ هـ ، ١٩٨٦ م .

٦٥١م [١].

وعرفت هذه الهدنة باتفاقية «البقط» والتي وقعها الصحابي الجليل عبدالله بن سعد بن أبي السرح ، حين كان واليا على مصر من قبل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، مع ملك النوبة «قليدروس» والبقط معناه : ما يقبض من سبي النوبة لكل عام ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم [٢] وكان من شروط هذه الاتفاقية صيانة المسجد الذي بناه المسلمون في دنقلا وإنارته وإسراجه وتكريمه، وحماية التجار، وغيرهم من المسلمين الذين يطرقون بلادهم وكذلك اشترطوا عليهم دفع ثلاثمائة وستين رأسا من أوسط عبيدهم وهو الذي يعرف «بالبقط»، وبذلك وضع عبدالله بن سعد بن أبي السرح الأساس الذي مهد الطريق لما حدث فيما

---

(١) انظر المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، جـ١ ، ص٢٠٠ ، دار صادر بيروت بدون تاريخ .

- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، ص١٤٣ ، مرجع سابق .
- الإمام البلاذري » أبو العباس » : فتوح البلدان ، ص ٢٣٨ ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٣٩٨ هـ ، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان .
- أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي تـ ٣٤٦ : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جـ١ ص٢١ ، ، ط دار الفكر ، لبنان ، ١٣٩٣ هـ ، ١٩٧٣ م ، الخامسة بتحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد .
- أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها ، مكتبة المثنى ، بغداد ١٩٢٠ ، ص١٨٨ .

(٢) المقريزي : المواعظ والاعتبار ، جـ١ ، ص١٩٩ ، مرجع سابق ، انظر نص المعاهدة ص٢٠٠ .

- انظر ربيع محمد الحاج : معاهدة البقط وآثارها على بلاد النوبة ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .
- رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ١٤١١ هـ .

بعد من تغلغل العرب المسلمين في هذه البلاد [١] حيث تسرب العرب أفرادا وجماعات في يسر وبطء إلى بلاد البجة ومملكتي النوبة « المقرة – وعلوة » المسيحيتين سعيا وراء المرعى وطلبا للتجارة والرزق، وكان توغلهم هذا عن طريقين أساسين [٢] أولهما : من مصر عن طريق نهر النيل ، وثانيهما من الحجاز عبر البحر الأحمر عن طريق موانيء باضع وعيذاب وسواكن ، التي كان منشأها وازدهارها متصلين إلى حدما بهيمنة المسلمين على معادن الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية واشتغالهم بنقل البضائع الهندية والحجيج بين تلك الموانيء وصعيد مصر .

وهناك طريق ثالث دخلت منه بعض المؤثرات الاسلامية والعربية إلى السودان ، وكان ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، وبعد قيام الدول الاسلامية المستقلة عن الخلافة العباسية في كل من مصر والمغرب وذلك هو الطريق الغربي أو الشمالي الغربي [٣] فإن هذا الطريق قد ساهم بدور كبير وفعال في إثراء حركة الهجرة العربية إلى تلك المناطق من قلب القارة الأفريقية ذلك لأن الطريق الشمالي الغربي ، أو الطريق الليبي قد وفدت منه جماعات عربية أخرى ، استطاعت أن تتجه عبر السهول والبراري الواقعة بين اقليم النوبة واقليم تشاد نحو دارفور

---

(١) المقريزي : البيان والإعراب ، ص١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٢) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص١٣ .

(٣) المقريزي : البيان والإعراب ، ص١٤٧ .

ـ يوسف فضل ، مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص١٣ .

ـ مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة في القرون الوسطى ، ص١٨٨ .

ذلك لأن الكثرة العظمى من القبائل العربية نزلت إلى تلك المناطق في غرب السودان ، إلى برنو ووداي واستقرت بها حيناً من الوقت ، ثم تحركوا شرقا إلى كردفان ودارفور ، بل إن بعض قبائل البقارة التي قدمت إلى السودان ، تؤكد أن أجدادهم جاءوا من تونس إلى الأقطار الواقعة إلى الغرب من دارفور بعد أن أقاموا فيها فترة من الزمن ، ثم أخذوا يهاجرون إلى كردفان ودارفور ، بغربي السودان [١] ، وكذلك كان الأمر بالنسبة للعرب ، الذين نزحوا من الأندلس أثر سقوط آخر الممالك الإسلامية (مملكة غرناطة ١٤٩٣) ، إذ اتجه بعض من هؤلاء إلى شمال إفريقيا ، وواصل البعض الآخر هجرته جنوباً نحو إقليم تشاد ، ومنه إلى الأقليم الغربي للسودان في دارفور [٢].

أمـا عن اتصال الاسلام بالمجموعات الشرقية التي تقطن الأجزاء الشرقية من السودان، فيبدوا أنه تم منذ الأيام الأولى للإسلام ، إذ اتصل المسلمون بالساحل الغربي للبحر الأحمر منذ حياة الرسول ﷺ عندما هاجر الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم إلى الحبشة ، حيث كانت تشمل أرض الحبشة كل من سكن الصحراء الشرقية وأرض البطانة الواقعة على الساحل الغربي للبحر الأحمر [٣] وقد ذكر ابن حوقل [٤] : أن أكثر البجة أسلموا اسلام تكليف وضبطوا بعض شرائط الاسلام وظاهروا

---

(١) عبد الفتاح الغنيمي : الإسلام والعروبة في السودان ، ص : ٢٥ ـ ٢٦ .

(٢) عبد الفتاح الغنيمي ، المصدر نفسه ، ص٢٥ ـ ٢٦ .

(٣) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية : ص٢٣ .

(٤) أبو القاسم محمد بن علي بن حوقل ت ٣٥٠ هـ ، كتاب صورة الأرض ، ص٥٥ ، من منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

بالشهادتين ودانوا ببعض الفرائض فسامحهم عبدالله بن سعد ولم يقاتلهم .

ثم توالت هجرات المسلمين إلى تلك المناطق في أزمان متفاوتة دامت بضعة قرون، حيث تدفق العرب في أعداد كبيرة حتى وقفوا على أبواب النوبة والبجة في سهولة وبطء ، ويسر ، انفتح بعدها المهاجرون العرب على الجماعات الوطنية من نوبة وبجة ، فعايشوها واختلطوا بها وصاهروها ، وتبوأ أبناؤهم الوظائف القيادية في المجتمع، مستفيدين من نظام الوراثة عن طريق الأم ، الذي كان سائدا في ذلك الوقت ، في أجزاء كبيرة من السودان الشرقي وقد أسهم التجار المسلمون ، الذين توغلوا في الساحل الشرقي في إنعاش المراكز التجارية ، وخاصة أن المنطقة تذخر بكثير من مناجم الذهب والمعادن ، مما جذب القبائل العربية إليها ، حيث كان فيها مجمع لقبائل ربيعة ، الأمر الذي أدى إلى انتشار الاسلام في تلك المنطقة وتعميق التعريب فيها [١].

يقول ابن خلدون [٢] ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلاد النوبة والبجة فاستوطنوها وملكوها فدافعهم النوبة، فعجزوا ثم ساروا إلى مصانعتهم بالصهر ، فاستولى أعراب جهينة على ملكهم مستفيدين من عادة الأعاجم في تمليك الأخت وابن الأخت ، وفي أثناء تدفق العرب نحو أرض المعدن ، نجح عبدالله بن عبدالحميد العمري (٨٥٥ - ٨٧٢) في توطيد نفوذ العرب السياسي تحت قيادته وربما وضع بذلك نواة أول إمارة عربية في أرض المعدن ، وبعد فترة تمكنت قبيلة ربيعة بزعامة

---

(١) كتاب صورة الأرض ، ص٥٥ - ٥٦ .

(٢) عبد الرحمن ابن خلدون المغربي وآخرون ، كتاب العبر جـ٥ ، ص٩٢٢ ، جـ٢ ، ص٥١٦ دار الكتاب اللبناني ، ١٩٦٨ .

بشر بن مروان (٩٤٣) ، الذي اشتهر بصاحب المعدن من بسط نفوذها على أجزاء كبيرة من تلك المنطقة بعد أن تحالف مع قبائل مضر، ويمن وتصاهرت مع القبائل البجاوية . وفي الوقت نفسه استقر فرع آخر من ربيعة في الجزء الشمالي من بلاد النوبة ثم تم توحيد الفرعين على يد أبي عبدالله محمد المشهور بأبي زيد ابن بشر، فأصبح لربيعة مكانة سياسية ونفوذ في المنطقة وخاصة بعد أن تمكن ابن هذا الزعيم وهو أبو المكارم هبة الله ، من ارجاع الثائر الأموي الوليد بن هاشم ، إلى الفاطميين بعد أن ألقى القبض عليه ، فكافأه الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، وخلع عليه لقب كنز الدولة ، فكان في هذا اعترافا ضمنيا به وبمكانته السياسية [١].

ويعتبر العهد المملوكي (١٢٥٠ - ١٥١٧ م) نقطة تحول حاسمة في علاقة مملكة النوبة «أو المقرة» بمصر الاسلامية إذ بدأ ملكهم داود بالإعتداء على مصر، فأرسل له المماليك حملة عسكرية تبعها عدد كبير من المجموعات العربية ، كقبائل بني بكر وعمر ، وبني شريف ، وبني شيبان ، وبني الكنز ، وبني هلال وغيرها ، وقيل : إن هذا الجيش الذي أرسله السلطان قلاوون لغزو النوبة عام ١٢٨٩م كان يضم مالا يقل عن أربعين ألفا من الأعراب [٢].

---

(١) المقريزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، ص : ٤٤ ـ ٤٦ .

ـ يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، ص١٣ ـ ١٤ .

(٢) المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك ، جـ١ ، ص : ٧٤٩ ، نشر وتحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ، ١٩٣٩ م .

ـ يوسف فضل ، المقدمة : ص١٤ ، مرجع سابق .

وقد كانت حملات سلاطين مصر، من أهم الأسباب التي أضعفت السياج السياسي لنظام الحكم في بلاد النوبة ، ومهدت لغلبة العرب الذين استطاع روادهم من بني الكنز، اعتلاء عرش النوبة في سنة ١٣٢٣م [١] معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الأم ، وعلى تأييد النوبة المستعربين ، والعرب الذين صاحبوا الجيوش المملوكية ، فانتقلت السلطة داخل الأسرة الحاكمة من فرع نوبي مسيحي خالص ، إلى فرع نوبي مسلم مستعرب ، وبسقوط مملكة المقرة المسيحية في أيدي المسلمين انهار السد المنيع الذي كان لعدة قرون ، يحول دون توغل العرب في حوض النيل الأوسط ، ومن ثم انزاحت القبائل الساخطة على نظام الحكم المملوكي في مصر إلى بلاد النوبة ، ثم إلى المراعي الواسعة عبر صحراء العتمور.

وهكذا أطبق العرب المسلمون على السودان من كل الجهات ، وكانت النتيجة الحتمية أنه منذ القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل ظهرت عدة ممالك ومشيخات إسلامية في حوض النيل الأوسط، وكان لظهورها أثر كبير وخطير في تطور الحياة الاجتماعية والسياسية مما ساعد على زوال بعض الأسس ، التي قامت عليها المملكة المسيحية في علوة ومن ثم تسرب الاسلام بقوته الروحية إلى مملكة علوة ، ونتيجة لضغوط هذه المشيخات حصل أن سقطت علوة وعاصمتها سوبا، في أيدي المسلمين ودخل السودان في مرحلة جديدة من تاريخه [٢] .

---

(١) مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ، ص : ١٥ .

(٢) مهدي رزق الله : السلطة السنارية ودورها في الحياة الإسلامية السودانية ، ص١٦٩ ، مقال بمجلة الدارة التي تصدر عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الأول ، السنة السادسة عشرة ، ١٤١٠ هـ .

وقد وردت بعض الروايات المحلية في سقوط سوبا ، منها انه اتحد الزعيمان : عمارة دونقس ، زعيم قبيلة الفونج وعبدالله جماع ، زعيم قبيلة القواسمة ، ومؤسس مشيخة العبدلاب، وقادهما هذا التحالف إلى قتال ملك علوة وتغلبا عليه ، وظهرت في أرض السودان، دولة سنار الاتحادية الاسلامية التي عرفت فيما بعد بالسلطنة الزرقاء ، أو سلطنة الفونج ، والتي تولت بدورها نشر الإسلام ورعايته في السودان [١].

ب ـ دخول الإسلام إلى منطقة النوبا :

دخل الاسلام إلى منطقة جبال النوبا، منذ قيام سلطنات تقلي القديمة ، والمسبعات في جنوب ولاية كردفان، وشقت المؤثرات العربية والاسلامية طريقها إلى تلك المنطقة وكان ذلك في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي ففي الجزء الجنوبي الذي تقع فيه جبال النوبا قامت مملكة تقلي الاسلامية في القرن السادس عشر، وازدهرت في القرن الثامن عشر .

وقد أعقب هجرة العرب الذين بلغوا سهول كردفان خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر استقرار ثم تزاوج مع السكان الأصليين عن طريق المصاهرة، أو التسري ، ومن القبائل العربية والمستعربة التي ارتبط اسمها بتلك المنطقة أولاد حميد والحوازمة ، وكنانة والكواهلة والهبانية .

(١) مهدي رزق الله : السلطة السنارية ودورها في الحياة الإسلامية السودانية ، ص١٧٠ .

وبانتشار الاسلام والثقافة العربية على شواطئ النيل ، وفي سهول كردفان أخذت بعض المجموعات المسلمة والأفراد تشق طريقها تدريجيا وفي عسر شديد إلى جبال النوبا ، مبتدئة بالمناطق غير الوعرة كجبل تقلي، الواقع في الشمال الشرقي [١] .

أما تأسيس مملكة تقلي ، فقد جاء على يد رجل من الزهاد من مشائخ الجعلية ، ونزل وسط جبال تقلي عام ١٥٣٠م، وتزوج بابنة ملك جبال تقلي ، وجذب الناس إليه بورعه وطيب أخلاقه، ثم ورث ابنه المسمى جيلي أبو جريدة الملك والرئاسة وسار على نهج والده في الدعوة إلى الإسلام وإقامة حكم الشريعة في تلك المناطق بعد أن وسع نفوذه فيها [٢].

ولم تكن مملكة تقلي في حجم مملكة الفونج ، أو سلطنة الفور، ولكن كان لها شأن خطير في تاريخ العروبة والإسلام في السودان ، لأنها مكنت للعناصر العربية من التوغل في هذا الجزء الشمالي الشرقي من جبال النوبا ، وإلى الشمال والجنوب من بلدة رشاد ، مع أن هذه الجبال كانت دائما قلعة تحتمي بها جماعات النوبا البعيدة عن الثقافة العربية والديانة الاسلامية [٣].

---

(١) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية ، ص٩٩ .

ـ انظر حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٨٠ ، من منشورات دار البحوث والنشر بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ، ١٤١١ هـ ، ١٩٩١ م .

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص : ١٠٠ ـ ١٠١ .

ـ انظر محمد عوض محمد : السودان الشمالي سكانه وقبائله ، ص ٢٥٨ ـ ٢٥٩ .

(٣) المرجع السابق ، السودان الشمالي سكانه وقبائله ، ص٢٥٨ .

والظاهر أن أمراء تقلي، كانت لهم سياسة مرسومة لنشر الاسلام والعروبة في هذه الجهات الوعرة ، وكانت هذه السياسة ترمي إلى تحقيق هدفها عن طريقين : الأول كان بنشر الاسلام والثقافة العربية ، والتزاوج بين القبائل النوباوية ، والثاني : كان بتشجيع القبائل العربية على الهجرة والاستيطان في هذه المنطقة وهذه هي الطريقة التي كانت أكثر فاعلية في نشر الاسلام من سابقتها [١].

وكذلك ازدهرت في تلك المنطقة ونمت مملكة المسبعات وهي من قبائل كردفان وبسطت نفوذها في هذا الجزء من السودان وكان لها دور في نشر الاسلام في كردفان ، وحينما جاء الحكم التركي للسودان، وجد أن ما يقارب من ثلث النوبا ، قد دخلوا في الاسلام، بينما ظلت بقية السكان على وثنيتهم ، وإن كانوا يودون أن يعيشوا وفقا لنمط الحياة عند المسلمين [٢].

---

(١) محمد عوض محمد : السودان الشمالي سكانه وقبائله ، ص٢٦٠ .

(٢) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٨٠ ، مرجع سابق .

المبحث الثالث

تاريخ دخول النصرانية للمنطقة

أ ـ ما النصرانية وما المسيحية ؟؟

النصرانية : كلمة تطلق على الديانة التي جاء بها عيسى عليه السلام ، وآمن بما جاء بها من عقائد وشرائع وأخلاق ، جمع من أتباعه وحوارييه سمّوا بـ« النصارى » وهذا اللفظ هو الذي استخدمه القرآن الكريم في أكثر من موضع ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ الذين قالوا إنا نصارى ﴾ [1] وقوله جل ذكره ﴿ ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً .. ﴾ [2].

وكلمة « نصرانية » ليست مرادفة لكلمة « مسيحية » كما يتوهمه البعض[3].

وكلمة « مسيحية » مصطلح متأخر ، استبدله النصارى وسموا به أنفسهم ، وثبتوه في أذهان المسلمين ، بدلاً من كلمة « نصرانية » وراج هذا الاصطلاح في فترة استعمار البلاد الإسلامية وخضوعها لهم ، وذلك كان لأهداف معينة يعلمونها هم . والمتتبع لكتب التراث الإسلامي ومؤلفات المسلمين ، لن يجد في مفرداتهم استخداماً لكلمة « مسيحي » أو مسيحية بل وردت كلمة « نصارى » ولذلك الصحيح أن يقال لهم « نصارى » [4] .

---

(١) سورة المائدة ١٤ ، ٨٢ .

(٢) سورة آل عمران ٦٧ .

(٣) محمد عثمان صالح : النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير ، ص١١ ، دراسة مقارنة حول الاصطلاحات والدلالات ، نشر مكتبة ابن القيم ، ١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م .

(٤) المصدر السابق ، ص٢٤ ، النظرية والتغير .

ـ انظر عبد العزيز بن عبد الله بن باز : مجموعة فتاوي ومقالات متنوعة ، جـ٥ ، ص٤١٦ نشر مؤسسة البشائر العالمية للتجارة والتوزيع ، الرياض ، ١٤١٣ هـ .

والتنصير : هو الدعوة إلى الدخول في النصرانية ، وليس التبشير كما يستخدمه النصارى في العصر الحاضر ليوهموا المسلمين بدعوتهم ، حيث إنهم يقصدون بالتبشير تبليغ تعاليم النصرانية على ما هي عليه للمسلمين [١].

وعلى هذا الأساس فإن موقف المسلمين من المصطلح « تبشير » بمعنى تنصير هو الرفض التام وعدم القبول ، لذا لا يقبل أن يستخدم مصطلح « تبشير » إلا من لا يدرك أبعاد ما يريده المنصرون ، من فرض لهذه المصطلحات المبهرجة المنتقاة ، من بين عدد من العبارات ليسهل استخدامها عند المسلمين حتى إذا شاعت وألفتها الأجيال المقبلة من المسلمين انتقلوا لخطوة أخرى تكشف مزيداً من أهدافهم الصليبية .

وينبغي لعلماء المسلمين وطلاب العلم أن يفضحوا هؤلاء القوم ببيان وكشف معاني مثل هذه العبارات والمصطلحات حى لا تكون شراكاً لعوام الناس .

ب ـ تاريخ دخول النصرانية إلى للسودان :

دخلت النصرانية إلى السودان في وقت مبكر جداً ، قبل أن تحرف تعاليمها وتطمس مبادئها ، التي تبشر بنبوة خاتم المرسلين نبينا محمد ﷺ وكانت النصرانية إذ ذاك هي الديانة صاحبة الزمام والمطلوب اتباعها شرعا قبل البعثة المحمدية ، فكان هدف المبشرين هو التبشير بدين الله الخالص ، فعرفت النصرانية طريقها إلى السودان عبر الجهود الفردية من قبل بعض القساوسة النصرانيين ، ولعلنا نذكر قصة أول

---

(١) النصرانية والتنصير ، ص٤٢ ، مرجع سابق .

سوداني نصراني وهو وزير مالية مملكة مروى الذي كان يدين باليهودية ثم ذهب حاجاً إلى القدس، وهناك اتصل بالنصارى ونال المعمودية ، ثم رجع إلى بلاده وبذلك أصبح هذا الوزير أول سوداني نصراني وكان ذلك في سنة ٣٧م [١].

وتزامن ذلك أيضا مع دخول عدد من النصارى إلى بلاد النوبة فارين بدينهم من مصر بعد أن تعرضوا للاضطهاد من قبل الحكام الرومانيين في ذلك الوقت ، واختلطوا بالنوبيين فكانت نتيجة اختلاطهم بهم وتأثيرهم عليهم ، أن اعتنق بعض النوبيين الديانة النصرانية ، ولكن أيضا كان هذا التأثير في النطاق الضيق والمحدود [٢].

أما إقامة الديانة النصرانية ديانة رسمية للممالك النوبية فيعود تاريخها إلى سنة ٥٤٣م وتم في سنة ٥٨٠. [٣] وأصبحت الممالك السودانية الثلاث : نوباديا ، والمقرة ، وعلوة ، كلها تدين بالديانة النصرانية.

وكان دخول النصرانية إلى هذه الممالك في النصف الأخير من القرن السادس الميلادي ، إثر الصراع المذهبي على طبيعة المسيح ، الذي ساد تلك الفترة ، وانقسام الوحدة النصرانية ، بعد اعتناق الإمبراطورية الرومانية للنصرانية ، وجعلها الديانة الرسمية للدولة فقد كان

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٤٠ الخرطوم ، ١٩٧٨ م .

(٢) مكي شبيكة : السودان عبر القرون ، ص٢٢ ، دار الجبل ، بيروت ، سنة ١٩٩١ م .

- انظر الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات سودان وادي النيل ، ص٩١ ، مرجع سابق .

(٣) جونتاني فانتيني ، ص٤٠ .

الإمبراطور «جستنيان (٥٢٧ - ٥٦٥)» على مذهب الكنيسة الملكانية (البيزنطية) فأراد أن يدخل القبائل الوثنية القاطنة على أطراف الإمبراطورية الرومانية في حظيرة الدولة، ولهذا سعى إلى اجتذاب النوبة للنصرانية، ليتسنى له السيطرة على وادي النيل الأوسط [١].

ففطن القائمون على أمر الكنيسة المرقسية «الأرثوذكسية» لمراد الامبراطور، فاستعانوا بزوجه الامبراطورة «ثيودورا» التي كانت تخالفه في المذهب، وتدين بمذهب الكنيسة المرقسية، فسارعت إلى إرسال «لونجينوس» إلى بلاد النوبة، ويقال إن «جوليان» عرض عليها مشروعا تنصيريا لبلاد النوبة، فسرت به ووعدته بالمساعدة وأخبرت زوجها بما عزمت عليه، فساءه أن يكون «جوليان» على رأس هذه البعثة لأنه من الحزب المعادي لقرارات «خليقدونية» [٢] ولهذا عزم أن يرسل سفارة إمبراطورية خاصة تحمل هدايا لملك النوباديين وخطابا لحاكم طيبة البيزنطي، فعلمت زوجه بذلك فحررت رسالة إلى حاكم طيبة طلبت إليه حجز سفارة زوجها حتى تصل سفارتها هي إلى بلاد النوبة قبل سفارة زوجها وهددته بالقتل إن لم يفعل، فنفذ أمرها وحجز سفارة زوجها مبررا فعله لرئيس بعثة الإمبراطور، بعدم وجود وسائل النقل ورواد الطريق وطلب منه الانتظار حتى يقوم بتدبير الدواب

---

(١) مصطفى مسعد، الإسلام والنوبة، ص٥٦.

(٢) مجمع خليقدونية عقد في سنة ٤٥١ م، وفيه أقر المؤتمرون الصيغة الغربية البابوية حول طبيعة المسيح، القائلة بأن للمسيح طبيعتان بشرية وإلهية على خلاف مذهب الكنيسة المرقسية المصرية القائلة: بأن للمسيح طبيعة واحدة بشرية فقط.

والمرشدين الخبراء بمسالك الصحراء [١].

وأصدرت ثيودورا أمرا بتعيين القس لونجيوس اسقفا لبلاد نوباتيا سنة ٥٦٦م [٢] وهي مملكة النوبة التي تقع شمال «المقرة» .
أما مملكة المقرة فقد اعتنق ملوكها النصرانية على المذهب الملكاني، حيث وصلت إليها بعثة الإمبراطور جستنيان، عن طريق درب الأربعين الصحراوي [٣].

وفي سنة ٥٧٨م ، بعث ملك علوة رسالة إلى ملك نوباتيا يعلن فيها رغبته في الدخول في النصرانية ، ورجاه أن يسمح للأسقف «لانجنيوس» بالسفر إلى مملكته لتعميده هو ورعاياه ، وفي هذا الوقت كان لانجنيوس ، قد رحل إلى الاسكندرية ، وبعد رجوعه من مصر سنة ٥٨٠م وجد رسالة ثانية تنتظره من ملك علوة وسافر إلى علوة عبر طريق شاق ، وعمد ملكها وبالتالي دخلت آخر ممالك النوبة السودانية في الديانة النصرانية [٤].

وإذا نظرنا إلى أي حد تأثر النوبيون بالمسيحية ، وهل كان اعتناقهم لها على نطاق واسع ، أو شمل بعض طبقات الشعب دون بعضهم الآخر ؟

---

(١) انظر مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ، ص٥٧ - ٥٨ .
- انظر الشاطر بصيلي ، تاريخ وحضارات السودان ، ص٩٦ - ١١٨ .
(٢) مصطفى مسعد ، ص٥٩ .
(٣) الشاطر بصيلي ، ص٩٦ - ١١٨ .
(٤) مصطفى مسعد ، ص٦١ .

يجيب على هذا السؤال يوحنا الإفسس قائلا :

إن جوليان ولونجنيوس بدءا بتعميد الملوك ثم الأمراء ، ثم بعض أفراد النوبيين ، ومن غير المعقول أن يتم تعميد النوبيين جميعا ، في المدة القصيرة التي قضاها كل منهما في بلاد النوبة ، ولابد أن قرارا صدر من ملوك النوبة ، باعتبار النصرانية دين الدولة الرسمي فاعتنقها الناس لا عن فهم واقتناع ولكن الناس على دين ملوكهم [١].

وهذا دليل واضح على أن النصرانية التي دخلت السودان هي نصرانية ملوك الروم ، وليست النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام ، بدليل أنه آمن بها الملوك قبل الرعايا خوفا على ملكهم ، ثم تبعهم رعاياهم ، وقد حاول الاستعمار في الآونة الأخيرة أن يمحو هوية السودان الإسلامية وثقافته باعتبار أن السودان كان قطرا نصرانيا وقد تبنت هذا الرأي أيضا الكنائس القبطية الأرثوذكسية ، إذ أنهم يرون أنفسهم أحق الناس بالسودان تاريخيا ، وهم يرون أن السودان يجب أن يعود مسيحيا كما كان ، ويرون أن التدفق الإسلامي وافد على السودان ويقولون : إنه جاء في نبوات الكتاب المقدس أن أرض السود الطوال يجب أن تعود نصرانية [٢].

وأيضا قد حاول الاستعمار الحديث جاهدا أن يطوي سجل تاريخ الإسلام في السودان ، وأن يمحو ثقافته تعويقا لحركة الإسلام من الانسياب إلى إفريقيا وقطعا لكل آصرة تربط حاضره بماضيه الاسلامي.

---

(١) مصطفى مسعد ، الإسلام والنوبة ، ص٦٦ .

(٢) الشيخ حامد عبد الرحمن الحمدابي ، موظف بالشؤون الدينية والأوقاف ومدير مكتب أوقاف كادوقلي سابقاً ، في مقابلة معه بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٤١٣ هـ .

ومازالت المؤسسات الكنسية التي خلفها تواصل هذه الجهود ، وكان آخرها مصنف حديث بعنوان «تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث» ، لمؤلفه القس الإيطالي جونتاني فانتيني [١]. والذي اختار مؤلفه هذا العنوان لمحاولة الربط بين تلك الممالك الهالكة وبين حاضر السودان اليوم ، بسياج نصراني يتخذ من البحث العلمي مطية له ، ونحن لانشك أن النصرانية سبقت الاسلام إلى السودان بحوالي قرن من الزمان ، ولكن هناك فرق واضح بين دخول الديانتين حيث إن النصرانية فرضت بالقوة فدان بها الملوك قبل رعاياهم خوفا على ملكهم من أباطرة الرومان ، والنصارى أنفسهم يشهدون بذلك يقول (ج. فانتيني) : اعتنقت بلاد النوبة بشكل عام النصرانية من سنة ٥٤٣م - ٥٨٠م، على يد بعض المبشرين القادمين من القسطنطينية وكان الملوك أول من اهتدى إلى الديانة النصرانية فجعلوها ديانة رسمية ثم تبعهم رعاياهم [٢].

وفي واقع الأمر أن الدافع الرئيس لحكام الرومان هو بسط نفوذهم السياسي لا نشر المسيحية وقد صرح المؤرخ المصري يوحنا نيكيو سنة

---

(١) ولد بإيطاليا سنة ١٩٢٣ م ورسم قسيساً سنة ١٩٤٧ ليعمل قساً بالسودان ، تعلم اللغة العربية بلبنان ، نال دكتوراة اللغات والحضارات الشرقية بجامعة نابلي ، انضم لعضوية جامعة روما للتقنيات الأثرية بالسودان (١٩٦٧ م - ١٩٧٠ م) وعضو لجمعية الدراسات النوبية بوارسو ومن الملاحظ أن مؤلفاته كلها تدور حول نبش رفاة النصرانية المندثرة ، وله بالإضافة للمصنف المذكور أعلاه : « الحفريات بمكان فرس » باللغة الإنجليزية » ، « منابع تاريخ النوبة » بالإنجليزية ، ومقالات في الصحف عن تاريخ النصرانية .

(٢) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٤٣ .

٦٩٠م ، أن ملك نوباتيا طلب من الامبراطور الروماني أن يبعث له المبشرين لنشر تعاليم الإنجيل في بلاده ويعلق أحد العلماء المتبحرين في تاريخ بلاد النوبة ، فيقول : إن الامبراطور القسطنطيني كان يحرص على بسط نفوذه السياسي [١].

ويقول فانتيني : وفي سنة ٥٦٨م، قصد مدينة القسطنطينية وفد من قبائل القرعان ، وطلبوا من الامبراطور البيزنطي عقد معاهدة معه سائلين أن يتعلموا مبادئ الديانة النصرانية حسب معتقدات الامبراطور المذكور فوافقهم على ذلك [٢].

ويقول : إن وفدا من شعب مملكة «المقرة» قصد القسطنطينية سنة ٥٧٣م حاملا الهدايا إلى ملك الروم ، وطلب عقد معاهدة معه [٣] .

ومن هذه الأدلة يتضح لنا جليا أن ملوك النوبة تظاهروا باعتناق النصرانية خوفا من ملوك الرومان ، وعلاوة على هذا فإن النصرانية التي دخلت السودان واعتنقها ملوك النوبة هي النصرانية التي غلبت عليها وثنية الرومان ، لذا لم يكن الفرق كبيرا بين ماكان سائدا في بلاد النوبة قبل دخول النصرانية وبعد دخولها .

ومن ذلك العهد وبنهاية القرن السادس الميلادي انتشرت المسيحية في بلاد النوبة ، ولكن من حسن حظ النوبة أنها لم تستمر على هذا الانحراف عن دين الله فترة طويلة من الزمان إذ أن الله سبحانه وتعالى قد بعث في هذا الوقت محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام

---

(١) فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية ، ص٤٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٨ .

مبشرا ونذيرا إلى البشرية جمعاء ، قاصيها ودانيها، أبيضها وأسودها فهب تيار الدعوة الخاتمة ليعيد الناس إلى دعوة الإسلام في مصر بقيادة عمرو بن العاص رضي الله عنه ومن هناك هبت رياح الاسلام على النوبة فبعد إسلام مصر أصبحت بلاد النوبة مسلمة بعد حين وما جاورها من الديار [١].

ج - تاريخ دخول النصرانية إلى منطقة جبال النوبا :

نشطت حركة التنصير الحديثة في السودان المعاصر وبصورة مكثفة في فترة الحكم التركي للسودان ١٨٢١م ، وربما يعزي ذلك إلى الشعور بالأمن والاستقرار الذين بسطهما الحكم التركي بعد التغلب على حركات المقاومة الوطنية ، وذلك لأن ميلاد حكومة مركزية لأول مرة في السودان نتج عنه استقرار نسبي في الأمن والنظام العام [٢] هذا فضلا عن نظرة محمد علي باشا المتساهلة مع التنصير إذ قد أصدر أوامره للولاة في الخرطوم ، بتقديم كل عون للإرساليات النصرانية ، وأعفائها من الضرائب ، وتوج ذلك بمنح الإرساليات الإذن في سنة ١٨٣٨م ببناء كنيسة في الخرطوم [٣] فكان ذلك دافعاً قويا للأقباط النصارى للتدفق إلى السودان بأعداد كبيرة .

---

(١) جعفر أحمد صديق ، انتشار الإسلام في السودان في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، ص٤٠ رسالة ماجستير غير منشورة ، أم القرى ١٤٠٨ هـ ، قسم التاريخ والحضارة .

(٢) محمد عمد بشير ، تطور التعليم في السودان (١٨٩٨ - ١٩٥٦) ، ص٤٩ ، ترجمة هنري رياض ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٠ م .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٩ .

وفي أيام محمد علي باشا أيضا ، أرسل البطريك بطرس الجاولي (١٨٠٩ - ١٨٥٧) بعض القساوسة إلى الخرطوم والأبيض ، وبعض المراكز في السودان الشمالي [١].

ثم وصلت دفعة أخرى من القساوسة من كلية مازا الإيطالية - النمساوية ، سنة ١٨٥٧م ، وكان من بين هؤلاء القساوسة المطران دانيال كمبوني [٢] الذي ركز كل جهده للتنصير في أفريقيا والسودان حيث تجول في جنوب السودان وشماله ، ثم استقر به الأمر في جبال النوبا [٣] ، والتي كانت بعيدة عن التأثير النصراني الذي ساد مملكتي علوة والمقرة ، في القرن السادس الميلادي حيث انحصر نطاقها في مناطق السودان الشمالية والوسطى .

وظلت غالب مناطق السودان ، بعيدة عن دائرة النفوذ النصراني في ذلك الوقت وربما كان السبب في ذلك هو تلك الصعوبات التي واجهت انتشار النصرانية في السودان ، والتي تمثلت في اللغة القبطية واللاتينية ، اللتين كانتا لغة الأديرة والكنائس وقتها ، فأسهمتا في

---

(١) جونتاني فانتيني ، ص٢٢٦ .

(٢) دنيال لويجي كمبوني ، ولد في بلدة « ليمون » في إيطاليا ، سنة ١٨٣١ ، وتخرج في معهد « مازا » سنة ١٨٤٩ ، ونذر حياته للتنصير في أفريقيا ، وباشر في سنة ١٨٥٠ دراسة اللاهوت ، ثم رسم كاهناً في سنة ١٨٥٤ م ، وتوجه إلى السودان ١٨٥٧ م ، وباشر نشاطه التنصيري الذي بلغ مداه إلى الخرطوم وبربر والأبيض والدلنج ، وجنوب السودان ، وقد أسس بعض المؤسسات التنصيرية منها « جمعية راهبات أمهات السودان » وتوفى في السودان سنة ١٨٨١ م ، وقد أسست عدة مدارس باسمه ، ما زالت موجودة حتى يومنا هذا .

(٣) ج . فانتيني ، ص٢٣٣ .

تشكيل عقبات أمام استيعاب مضامين النصرانية ، كما أن الزمن لم يمهل النصرانية إذ لم يمض أكثر من قرن على انتشارها في السودان حتى ظهرت رسالة الإسلام في الجزيرة العربية ، ودخل العرب المسلمون مصر ، فقطع ذلك على النصرانية فرصة ازدهارها وتطورها إذ انكمش رهبانها داخل أديرتهم ، وانشغل الناس عنها بالدخول في الدين الجديد الذي بات ينافسها بل وفقدت عطف ومساعدات المواطنين [١].

والراجح أن ذلك قد أعاق انتشار النصرانية في غالب مناطق السودان ، لاسيما مناطق العزلة الحضارية « جنوب السودان - جبال النوبا، والإنقسنا » إذ لم تنتشر النصرانية في هذه المناطق إلا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي بل ويمكن القول : بأن الإسلام سبق النصرانية إلى هذه المناطق .

وفي عام ١٨٥٩م ، رجع دانيال كمبوني إلى بلاده لتدهور صحته ثم عاد في ١٨٧٣م إلى الخرطوم ، وهو يقود دفعة من المرسلين المساعدين له وكان في صحبته كذلك اثنان من الأفارقة من الذين تخرجوا في كلية مازا ، ومن القاهرة ، وكان اثنان من القساوسة قد ذهبا إلى الأبيض منذ سنة ١٨٧١م ، ليؤسسا فيها مدرسة وكنيسة لأداء عملهما هناك ، بأمر الأب كمبوني [٢] ثم لحق بهما الأب دانيال كمبوني ، هناك وبدأ العمل في جبال النوبا ، وأسس مزرعة ومركزا تنصيريا في الدلنج في سنة ١٨٧٨م ، ليعمل فيها النصارى الجدد من السودان ، مع عائلاتهم

---

(١) حسب الله محمد أحمد ، قصة الحضارة في السودان ، ص١٥٧ .

(٢) جوفياني فانتيني ، ص٢٣٥ ـ ٢٣٧ .

ويتدربوا على الزراعة [١] وكان كل ذلك يتم مصحوبا بالدعم والتشجيع من الخديوي اسماعيل باشا ، الذي كان في صورته دعما لمحاربة تجارة الرقيق [٢] ولكنه كان دعما فعلياً للتنصير .

ومن هنا يتضح أن النصرانية انتشرات في جبال النوبا في فترة العهد التركي المصري في السودان ، اثر قدوم الأب دانيال كمبوني ودعم سلطات العهد التركي المصري له ، متمثلة في الكولونيل غردون باشا البريطاني حاكم عام السودان ، وقتها من قبل الأتراك [٣] وهو كان من المتصلين بحركة التنصير في السودان وكانت قضية التنصير في السودان تشغله إلى درجة أنه كتب بها رسالة إلى أخته واستمر غردون في دعمه للتنصير حتى قامت الثورة المهدية في السودان وقتله جنود المهدية [٤].

ولقد كان من المتوقع أن يزدهر التنصير في جبال النوبا أكثر من ذلك إلا أن قيام الثورة المهدية حالت دون ذلك فقد أسهم اندلاعها في تطويق المد النصراني في جبال النوبا ، إذ دمر مركز التنصير في «الدلنج» وأسر المبشرون العاملون في المنطقة فأصبحوا رهائن المهدي والخليفة عبدالله ، زهاء عشر سنوات ، وقد مات بعضهم في معسكرات المهدية ، ونجح البعض الآخر في الهروب إلى مصر في سنة ١٨٩٢م ، وتعد

---

(١) جوفياني فانتيني ، ص٢٣٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٣٩ .

(٣) مصطفى الخالدي وعمر خروج ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢٣٩ ، الطبعة الخامسة .

(٤) المصدر نفسه ، ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

فترة المهدية إلى حد كبير فترة التصفية للوجود النصراني في منطقة جبال النوبا [١] بيد أن التنصير ازدهر مرة أخرى في المنطقة ، بعد وقوع السودان تحت الحكم الانجليزي سنة ١٨٩٨، إذ استأنفت الكنيسة الكاثولوكية نشاطها في جبال النوبا ، سنة ١٩٠٦م [٢] وتلى ذلك وصول إرسالية السودان المتحدة ، وجمعية التبشير الكنسي اللتين اسهمتا في تعميق الوجود النصراني في جبال النوبا ، وسنتعرض باذن الله إلى ذكر أنشطة هذه الإرساليات بالتفصيل في الفصل الثاني من هذا البحث .

---

(١) فانتيني ، ص٢٣٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٥٧ .

الفصل الأول

السياسة الاستعمارية لتنصير المنطقة

١ ــ المبحث الأول : السياسة الاستعمارية تجاه التعليم .

٢ ــ المبحث الثاني : السياسة الاستعمارية تجاه الدعوة والدعاة.

٣ ــ المبحث الثالث : السياسة الاستعمارية تجاه الوجود العربي والاسلامي.

المبحث الأول
السياسة الاستعمارية تجاه التعليم

في هذا المبحث سيتناول الباحث السياسة التعليمية التي انتهجتها الإدارة البريطانية في منطقة جبال النوبا أثناء احتلالها للسودان في الفترة مابين (١٨٩٨ - ١٩٥٦م) وهذه السياسة التعليمية التي وضعها المستعمر ترتبط ارتباطا مباشرا بالنشاط التنصيري في البلاد وهي جزء من سياسة عامة وضعها الاستعمار في المنطقة وعرفت بـ(سياسة النوبا) وقد وضعت على قرار «سياسة الجنوب» أي سياسة المناطق المقفولة والتي تقوم أصلا على عزل النوبا عن المؤثرات العربية الإسلامية وتطويرهم على نهج يرتكز على معتقداتهم وثقافتهم المحلية [١].

وأهم جوانب هذه السياسة هي :

أ - حظر نظام التعليم الشمالي «السائد في شمال السودان» وتبني نظام تعليم مسيحي .

ب - إيكال مسؤولية التعليم في النوبا إلى الإرساليات المسيحية [٢].

وبناءً على ذلك فقد قامت الحكومة الاستعمارية بتوقيع اتفاقية مع الفرع الاسترالي والنيوزيلندي من إرسالية السودان المتحدة في

---

(١) كمال عثمان صالح : التبشير والسياسة التعليمية في جبال النوبا ، ص١١٧ ، مقال بمجلة الدراسات الأفريقية الصادرة عن المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

(٢) الإسلام في السودان ، ص٢٥٧ ، بحوث جماعة الفكر والثقافة الإسلامية الخرطوم ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

سبتمبر ١٩١٩م ، وطبقا لهذه الاتفاقية فقد تقرر الآتي [١] :

١ - أن تقوم الإرسالية بفتح مدارس في المناطق الوثنية وأن تساعد قسم التعليم على أن يدرس التلاميذ النوباويين بلغتهم المحلية .

٢ - أن توفر الإرسالية المعلمين وأن تدفع أجورهم ، وأن تكون لها الحرية في تدريس الديانة النصرانية .

٣ - أن تتخذ الحكومة من الإجراءات ما يكفل حضور التلاميذ ، وأن تقوم بتفتيش المدارس وتقديم النصح فيما يختص بإدارتها .

٤ - أن تقدم الحكومة للإرسالية المساعدات على هيئة منحة متساوية لكل تلميذ يحضر .

اقترحت السلطات في المديرية أن تكون منطقة « هيبان » في الجبال الشرقية الموقع المناسب لكي تمارس فيه الإرسالية نشاطها التعليمي والتنصيري ، وذلك لموقعها الوسط ، ولأن سكانها لادينيين .

قامت الإرسالية بفتح مدرسة أولية في هيبان سنة ١٩٢٣م ، وكانت هذه المدرسة هي الأولى من نوعها لتعليم أبناء النوبا ، وافتتحت مدرسة أولية مماثلة ١٩٢٤م ، في منطقة « عبري » ، وحصلت الإرسالية بعدها على مبلغ خمسين جنيها استرلينيا كمنحة مقابل تكاليف التعليم في هاتين المحطتين [٢].

ولما تبين للحكومة عجز الإرسالية المالي مما يعيقها عن توسيع رقعة نشاطها قررت في عام ١٩٢١م فتح مدارس أولية « كُتَّاب » ، في كل من مناطق تلودي ، الدلنج ، كادوقلي ، ورشاد، بشرط ألا يدرس فيها

---

(١) الإسلام في السودان ، ص٢٥٨ ، مرجع سابق .

(٢) كمال عثمان صالح ، مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١١٨ ، العدد الأول ، ١٤٠٥ هـ .

التعليم الديني ، ولكن كان أغلب تلاميذ هذه المدارس من النوبا العرب أو المستعربين فطلبت سلطات المديرية في خطاب أرسلته إلى مدير التعليم في ١٥/٦/١٩٢٤م . أن يدرج التعليم الديني الاسلامي في مناهج المدارس فسمح لهم بشرط أن تكون فصول الدراسة الدينية خاصة بأبناء المسلمين وأن لايتلقى أبناء غير المسلمين تعليما دينيا إلا بموافقة أولياء أمورهم ، فترك الأمر للآباء ومدراء الكتاتيب ولكن هذا الأمر لم ينفذ بل كان أولياء أمور التلاميذ غير المسلمين ينظرون إلى تعليم القرآن على أنه يحسن اللغة العربية لأبنائهم .

وبهذه الطريقة أصبحت مدارس « الكتاب » مراكز مزدهرة لنشر التعريب والإسلام في أوساط الشباب من النوبا، وفي محاولة لإنهاء هذه الظاهرة قررت الحكومة أن يكون لمدراء هذه المدارس السلطة في قبول أبناء المدن فقط ، أما الذين يأتون من الخارج عربا كانوا أو نوبا ، فيرفع أمرهم لمفتشي المراكز، كما منع مفتشوا المراكز من قبول أي طالب وثنى في مدارس الكتاب ، ولكن هذا الإجراء لم يحقق ماكانت تصبو إليه الحكومة ، إذ أن كثيرا من أبناء النوبا تمكنوا من دخول هذه المدارس في وقت سابق ، فلم تجد الحكومة بدا لوقف خطرالتعريب في نظرها على أبناء النوبا إلا بإغلاق هذه المدارس فأصدرت أمرا بذلك في عام ١٩٣١م [١].

ولاشك أن اغلاق مدارس « الكتاب » في وجه الشباب النوباوي الراغب في التعليم العربي كانت ضربة قوية لطموحات هذا الشباب وإن انضمام هذا الشباب لهذه المدارس إنما يؤكد الرغبة الأكيدة لأبناء النوبا

---

(١) الإسلام في السودان ، ص٢٦٠ ، مرجع سابق .

في الاندماج مع إخوانهم في شمال السودان والانضمام تحت اللواء الاسلامي والعربي، ولكن الغرور والغطرسة التي تصرفت بها الحكومة حالت دون ذلك إذ أن الحكومة الاستعمارية تعتقد إنها هي الجهة الوحيدة التي لها حق إقرار ماهو صالح أو ضار للنوبا .

وفي فبراير من عام ١٩٢٧م كتب السيد جيلان تقريرا مطولا عن التعليم الإرسالي في المنطقة وتناول بالنقد والتقييم تجربة إرسالية السودان المتحدة في التدريس باللغة المحلية وأوضح في هذا الخصوص أن التجربة لم تكن ناجحة مشيرا في هذا الصدد إلى التقرير الذي كتبه مسؤول تعليم المديرية عام ١٩٢٥م والذي جاء فيه لقد استنتجت أن التلاميذ في مدرستي عبري وهيبان لا يعتقدون أن الحرف المكتوب والرمز تمثل ألفاظا درسوها يمكن لهم ترديدها، ولم يخطر ببالهم أن هذه الألفاظ عبارة عن كلمات وجمل منتقاة من داخل لغتهم إن الانتقال من الألفاظ إلى المعنى لا يمكن تحقيقه إلا بجهد كبير من المعلم ، إن عقولهم لايمكن أن تعمل لتحويل الكلمات إلى معنى ، إني أعتقد أنه من المستحسن عدم التدريس كتابة بهذه اللغات ، إلا حين اختيار مجموعة من اللغات ، ويبدو لي أن من العسير أن نأخذ في الاعتبار أننا يجب ألا نحاول تدريس كتابة هذه اللغات أو عدم تدريسها قبل أن نقرر مقاربتها من اللغات المرئية [١].

وتبين من هذه الصعوبات الفنية - بالإضافة لكون كل مجموعة من النوبا لها لغتها الخاصة بها - أنه لايمكن التعليم باللغات المحلية .

---

(١) خطاب من جيلان حاكم جبال النوبا إلى السكرتير الإداري بتاريخ ٢٥ / ٢ / ١٩٢٧ ، رقم الملف ج ، ك ، د ، ١٧ ب دار الوثائق المركزية الخرطوم .

لغة التعليم :

كان موضوع التعليم وإيجاد لغة بديلة تناسب النوبا من أكثر المسائل تعقيدا للإدارة الاستعمارية ، فقد كان واضحا أن هناك عدة لغات نوباوية محلية ، ولكن لم تكن واحدة منها منتشرة للحد الذي يمكنها من أن تتخذ لغة تعليم [١] ومن جانب آخر فإنه كان من السهل على الحكومة أن تتخذ اللغة الإنجليزية كلغة تعليم ويمكن للإرساليات تدريسها ولكن كانت الإدارة تدرك جيدا أن اللغة الإنجليزية لايمكن أن تصبح لغة تخاطب بين المجموعات النوباوية إلا بعد مرور وقت طويل ، ثم أنها لن تكون مجدية للتخاطب بين المجموعات النوباوية والعربية ، ولذا فإن احتمال استعمال اللغة النوباوية أو اللغة الإنجليزية للتعليم أصبح أمر مرفوضا وبات من الأفضل استعمال اللغة العربية كلغة تخاطب بين المجموعات النوباوية فيما بينها وبين هذه المجموعات والقبائل العربية المتواجدة حول المنطقة ولكن الإرسالية لايمكنها تدريس اللغة العربية ، كما أن اللغة العربية ستساعد على انتشار الإسلام لأن الأدب العربي المملؤ بالأفكار الإسلامية سيكون في متناول أيدي النوبا وستقع الكتب التي تتناول حياة الرسول ﷺ والأنبياء عليهم السلام في أيديهم ، ثم إنه إذا كان للحكومة أن تدرس اللغة العربية بحروف عربية سيكون من الأحسن استخدام مدرس عربي مسلم لتدريسها وبالتالي جعل منطقة جبال النوبا كلها في عداد مجموعة الشمال المسلم ، وهذا ما كانت الحكومة تخشاه وتسعى لتفاديه [٢].

---

(١) محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١٠٩ ، العدد رجب ١٤١٠ هـ .

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٥ الخرطوم ١٩٧٩ م ، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .

بعدها توصلت الإدارة الاستعمارية إلى حل بدا لها كأنه الأمثل وهو كتابة اللغة العربية بحروف رومانية ، وصدر قرار في عام ١٩٣١م يقضي بتدريس اللغة العربية بحروف رومانية في المدارس الأولية وتدرس بقية العلوم للتلاميذ بلغتهم المحلية وكانت الحكومة الاستعمارية تأمل أن تصبح تلك اللغة منافسا قويا للغة العربية ، وأن تصبح لغة تخاطب بين المجموعات النوباوية ورأت الحكومة أن لهذه الطريقة أربع محاسن هي [١] :

أولا : أنها توفر على التلاميذ صعوبة تعلم حروف كتابة مختلفة ، إذ كانت اللغات المحلية تكتب بحروف رومانية .

ثانيا : يمكن للمبشرين أن يدرسوها ويشرفوا على تدريسها حتى وإن لم يكن لهم معرفة باللغة العربية .

ثالثاً : سيعجب النوبا أن تكون لهم لغة خاصة بهم وسيحاولون الاحتفاظ بها كلغة متميزة عن لغة العرب ويطورونها على أساليب محلية .

رابعا : ستكون هذه اللغة لغة تخاطب بين النوبا والعرب وبين المجموعات النوباوية نفسها، ولن تكون أداة لانتشار الاسلام لأنها ستحول بين النوبا وسهولة الاتصال بالأدب العربي ، كما أنها ستكون غير ذات فائدة للعربي الذي لايعرف الإنجليزية .

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٥ مرجع سابق .

ـ مذكرة عن السياسة التعليمية في مناطق النوبا الوثنية ، فبراير ١٩٣١ م (دار الوثائق المركزية ـ المجموعات كردفان) ١ / ١٥ ، ٧٤ / ١٦ .

شرحت الحكومة « لإرسالية السودان المتحدة » السياسة التعليمية الجديدة في مذكرة قدمت للمشرف الميداني للإرسالية يوم ١٩٣٠/١١/٢٦م [١] ، وأوصت المذكرة بتحديد مناطق عمل الإرسالية في المنطقة التي تحد من الشمال بخط هيبان - تونجا ، ومن الجنوب بمنطقة عمل إرسالية بحر الغزال .

كما ذكرت المذكرة بالدعم الذي سيقدم للإرسالية وهو كالآتي : -

١ - منحة أولية مقدارها ١٠٠ جنية استرليني للمباني والمعدات لكل محطة جديدة .

٢ - منحة سنوية مقدارها ١٥٠ جنيها لكل محطة كسائر ما يقدم للإرساليات بالسودان .

وفي الختام ذكرت الحكومة الإرسالية بأنها في حالة فشلها في تغطية المنطقة فإنه من المحتمل أن تستعين الحكومة بإرسالية أخرى .

وطلبت الحكومة من الإرساليات دراسة هذه المقترحات بعناية وإرسال ردها فيما بعد .

وقد ناقش مجلس « إرسالية السودان المتحدة » مذكرة الحكومة في اجتماع عقد بتاريخ ١٩٣٠/١٢/١م ووافق على مقترحات المذكرة [٢].

---

(١) خطاب من مدير المعارف إلى المشرف الميداني لإرسالية السودان المتحدة بتاريخ ٢٦ / ١١ / ١٩٣٠ م ، « دار الوثائق المركزية ، الخرطوم » ، مجموعة كردفان .

(٢) خطاب من المستر ملز المشرف على إرسالية السودان المتحدة إلى حاكم كردفان بتاريخ ١١ / ١٢ / ١٩٣٠ م ، (دار الوثائق المركزية - مجموعة كردفان ١٠ / ١٤) .

تجربة تدريس العربية بالحروف الرومانية :

إن الارسالية واجهت تحديا كبيرا فيما يختص بتدريس اللغة العربية بالطريقة الرومانية فهناك صعوبات فنية وعملية ، فالصعوبات الفنية تتمثل في كتابة الأصوات غير الموجودة في اللغة الانجليزية (العين والحاء والخاء) .

أما الصعوبات العملية فتتمثل في إيجاد مدرسين محليين أكفاء بالاضافة لمشكلة الكتب الدراسية ، فقد كان هناك كتاب دراسي واحد مقرر على المدارس الإرسالية ، وحتى هذا الكتاب وجد بأنه ليس بكاف كمقرر دراسي، وقد طبع هذا الكتاب على عجل باسم «المطالعة العربية للنوبا» بحروف رومانية بالاضافة إلى بعض الرموز وكان يحوي عددا كبيرا من الأخطاء [١].

وعلى ضوء هذه الصعوبات أرسلت إدارة التعليم واحدا من خبرائها المتخصصين في اللغويات وهو هيلسون (Hilleson) إلى جبال النوبا في يناير ١٩٣٢م لبحث مسألة اللغة . تجول هيلسون في محطات الإرسالية المختلفة ، وناقش مع المسؤولين طرق التدريس والمشاكل الأخرى ، وتبين له من خلال هذه الجولة أن الصعوبات الفنية في تدريس اللغة العربية بالطريقة الرومانية أكثر مما كان متوقعا .

وأورد هذه الصعوبات في تقرير قدمه إلى سكرتير التعليم ، كما أشار إلى عدم فائدة هذه اللغة للنوبا مستقبلا ، وأنها تصبح بسرعة لغة غير مفهومة ، واختتم هيلسون تقريره مشيرا إلى أن النوباوي المتعلم

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في جبال النوبا ص٦ ، مرجع سابق .

سوف يكون غاضبا من دراسة لغة ليست لها قيمة تعليمية له ، فإذا درسنا النوباوي اللغة العربية على الخطوط الروماني فإننا نتحمل مسؤولية أننا سوف نواجه في المستقبل نوباويا مستنيرا يسألنا عن السبب في تدريسه لغة ليس لها قيمة فعلية له ، لماذا خدع ، وسوف لايتقبل إجابتنا إذا أجبناه ، إننا كنا نحاول تخليص روحه من الاسلام والقرآن [١].

ومع أن سكرتير التعليم أيد التقرير الذي كتبه هيلسون وكان متفقا معه في وجهة نظره إلا أن الحكومة ظلت متعنتة ومصممة على المضي في هذه السياسة وخاصة حاكم كردفان في ذلك الوقت وصاحب الفكرة السيد جيلان (J.W. Gillan) الذي ظل متمسكا بها [٢].

كذلك انتقد بعض رجالات الإدارة الاستعمارية هذه الطريقة التي لا طائل منها ، فكتب مفتش الجبال الشرقية إلى حاكم كردفان في هذا الصدد يقول : إن لا أحد من الإنجليز يعلم إلى أين تقودنا هذه السياسة

---

(١) مذكرة تعليم اللغات في المدارس النوباوية ، بتاريخ ٨ / ٢ / ١٩٣٢ م ، إعداد هيلسون دار الوثائق المركزية .

- وقد حدث ما توقعه هيلسون ، فقد قام أبناء جبال النوبا بالعاصمة القومية الخرطوم بتسيير مظاهرة عنيفة في الأسبوع الثاني من هذا الشهر سبتمبر ١٩٩٣ م وسلموا مذكرة احتجاج للسفارتين الأمريكية والبريطانية مطالبين فيها الحكومة البريطانية بمبلغ ٦٠ مليار جنيه استرليني تعويضاً عن الضرر الذي أصابهم وأصاب منطقتهم بسبب سياسة الحكومة البريطانية تجاه منطقتهم أثناء احتلالها للسودان ، انظر صحيفة الشرق الأوسط العدد ٥٣٩٤ بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٤١٤ هـ - الموافق ٤ / ٩ / ١٩٩٣ م ، ملحق رقم (٧) .

(٢) تولي جيلان منصب مدير كردفان في الفترة من عام ١٩٢٧ - ١٩٣٢ م ، ثم نصب سكرتيراً إدارياً خلفاً لهارولد ماكمايكل في عام ١٩٣٣ .

التعليمية ... ليس البوليس في الوقت الراهن ولاتجار تلودي ولا أحد سواهم سوف يستعمل هذه الطريقة في الكتابة ... فاللغة العربية معروفة ومعتاد استعمالها في الشمال ، والإنجليزية في الجنوب .. ا-هـ[١].

ومنذ عام ١٩٣١م واجهت « إرسالية السودان المتحدة » ضغطا حكوميا مستمرا لتمد نشاطاتها التعليمية لكل القبائل النوباوية التي تقطن المناطق الجنوبية للجبال ، إذ أن الحاجة لهذا التوسع كانت ملحة جدا ، فقد كانت الحكومة متخوفة من أن عدم الإسراع في تنفيذ البرنامج التعليمي للإرسالية سيؤدي إلى أن تصبح المنطقة كلها مستعربة[٢].

وعندما اتضح أن « إرسالية السودان المتحدة » غير قادرة على التوسع وافتتاح محطات جديدة ، دعت الحكومة إرسالية أخرى هي جمعية التبشير الكنسي للقيام بنشاط إنجيلي[٣] وتعليمي في الجبال الغربية وقد وجهت الدعوة للجمعية بواسطة سكرتيرها العام القس « ويلسون كاش » الذي قبل الدعوة بابتهاج وبمقتضى هذه الدعوة فقد تم إنشاء مركزين قويين في منطقة الدلنج وكادوقلي لتكون أهدافهما كالآتي[٤] :

أ - تدريب النوباويين من ذوي الأصل الأسري العريق بلغتهم ، وأيضا باللغة العربية كمادة مدرسية حتى يتمكنوا من التدريس في

---

(١) From D.C Eastern Jpbals to Governer od Kordfan Dated 19/7/1931 <Kordafan Province - 1/15/74>.

(٢) الإسلام في السودان ، ص٢٧٢ .

(٣) النشاط الإنجيلي المقصود به العمليات التنصيرية .

(٤) تقرير عن تعليم النوبا ، كتبه سكرتير التعليم بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٣٣ م .

جبالهم .

ب - أن تجرب طريقة تدريس اللغة بالمجموعات وعلى كل مبشر أن يدرس لغة نوباوية .

جـ - القيام بالعمل الاجتماعي مع تخصيص مسؤول عن التمريض رجل أو إمرأة ضمن العاملين .

د - تحسين الطرق الزراعية ، وجعل التدريس مرتبطا بحياة السكان وبالتالي لن يكون محدودا .

هـ - أن يضاف فصل أوسط بعد الأربعة سنوات الأولى من المدرسة الأولية يكون التدريس فيه باللغة العربية وتدريب المدرسين والموظفين والإداريين والأهليين .

وتعتقد السلطات الإدارية أنه في حالة تحقيق هذه الأهداف ستكون لمحطات الإرسالية الجديدة قيمة ونجاح أكبر من تلك التي حققتها إرسالية السودان المتحدة في الجبال الشرقية [1].

ولكن الذي حدث أن الارسالية الجديدة أيضا لم تحقق الجزء الأكبر من أهدافها ، إذ أنها اهتمت بالنشاط الإنجيلي وليس التعليمي، ولذلك فهي كنظيرتها لم تسهم في التقدم التعليمي للنوبا .

---

(١) تقرير عن تعليم النوبا ، كتبه سكرتير التعليم بتاريخ ١ / ٣ / ١٩٣٣ م .

النكوص عن السياسة التلعيمية وفشلها :

إن تعيين السيد دوقلاس نيوبولد [١] حاكما عاما لكردفان في عام ١٩٣٢م يمثل بداية مرحلة ، وهي إعادة بناء السياسة التعليمية حيث إنه نحي بالسياسة التعليمية منحى آخر ، إذ رأى أن طريقة كتابة اللغة العربية بأحرف رومانية لاتؤدي إلى شيء في نهاية الأمر .

وأن التجربة قد برهنت على استحالة تدريسها، ورأى أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية المكتوبة بحروف عربية ، ذلك لأنها أكثر فائدة للنوبا إذا كان للتعيم أن يسير في خط متواز مع التقدم المادي ومن السهل تدريسها بحروفها ، كما يمكن للنوبا الذين يتعلمونها الحصول على وظائف حكومية أو تجارية ، بالاضافة إلى أنها ستسهل الاتصال الكتابي بين رؤساء النوبا ورؤساء القبائل العربية وموظفي الحكومة الذين لايتحدثون الإنجليزية ، أما المضار والمساوئ التي يتخوف منها رجالات الإدارة الاستعمارية والمنصرون فيرى «نيوبولد» أنها وإن وجدت فهي تتضاءل أمام الفائدة الكبيرة التي يجنيها النوبا ومستقبلهم ورأى أنه لا ضرر ولاخوف من انتشار الإسلام مادامت تدرس في مدارس كنسية وعلى أيدي مبشرين مسيحيين [٢].

---

(١) دوقلاس نيوبولد Sir Doglas Newbold خريج جامعة أكسفورد التحق بالخدمة المدنية في السودان ١٩٢٠ م وعين مديراً على كردفان ١٩٣٢ م خلفاً لجيلان واستمر في هذا المنصب حتى ١٩٣٨ م ثم نصب سكرتيراً إدارياً في عام ١٩٣٩ م وظل في هذا المنصب حتى وفاته ١٩٤٥ م راجع :

- Handerso. K.D.D : The making of modern Sudan the life and letters of Sir Doglas Newbold.

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ص٦٠ ، مرجع سابق .

وانتقد «نيوبولد» الطريقة الأولى «كتابة العربية بالأحرف الرومانية» بقوله : إن هذه الطريقة إذا كانت قد نجحت في كتابة اللغة التركية ولغة «الوسا» [١] فإنها لن تنجح مع اللغة العربية لأن اللغات التركية والهوسا غير سامية [٢].

إن رأي « نيوبولد » هذا يتفق مع رأي «هيلسون» من قبل ، والذي كان يرى أن اللغة العربية هي اللغة الوحيدة والمثلى التي تصلح كلغة عامة لسكان الجبال من عرب ونوبا ، وذلك لتعايشهم مع بعض لفترة طويلة من الزمان .

ونتيجة لهذه الانتقادات التي وجهها بعض رجـالات الإدارة الاستعمارية لهذه السياسة التعليمية المتبعة في إقليم الجبال رجعت الحكومة عنها وعقد اجتماع بتاريخ ١٩٣٥/١٢/٢٧م في مكتب السكرتير الإداري وحضره كل من [٣] :

ر. ك . وينتر سكرتير التعليم .

د. ك. نيوبولد. حاكم كردفان .

ج. أ. جيلان . السكرتير الإداري .

ج. هوكيسورت . مفتش مركز سابق بجبال النوبا .

ج. س. اسكوت. رئيس المفتشين بإدارة التعليم .

واستعرض المجتمعون السياسة اللغوية بدقة وقد وجد أن اقتراح نيوبولد بنبذ اللغة العربية بالمخطوط الروماني وتبني المخطوط العربي

---

(١) هي إحدى لغات قبائل غرب افريقيا ونجدها سائدة عند قبيلة الهوسا في نيجيريا .

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر ، المرجع السابق ص٨ .

(٣) الإسلام في السودان ، ص٢٨٠ .

هو الصواب ، وعليه قررت الحكومة تدريس اللغة العربية الفصحى المبسطة والمكتوبة بحروف عربية في مدارس الإرساليات في جبال النوبا ، وذلك لأن هذا النوع من العربية سيلبي حاجات النوبا ، كما أن الإشراف عليه من قبل المبشرين المسيحيين ليس صعبا ، فضلا عن أن الأناجيل وكثيرا من الكتب الدينية النصرانية متوفرة باللغة العربية « والمكتوبة بحروف عربية » وكان رأي المجتمعين أن العربية الدارجة والمكتوبة بأحرف رومانية لن تفصل النوبا عن التقدم المادي فقط بل ستحجبهم عن المناهل الرئيسة للتقدم الروحي والثقافي كذلك [١].

وقد بات من الواضح أن سياسة الحكومة تهدف إلى محاربة اللغة العربية وتسعى بكل جهدها لتحقيق هذا الهدف ذلك لأن اللغة العربية هي لغة الاسلام الحية ، وهي لغة الأدب العربي المليء بالقصص الدينية والملاحم والبطولات الاسلامية ، فعندما تدرس اللغة العربية بأحرف رومانية ، أو اللهجات المحلية بأحرف رومانية ، تستطيع أن تحد من إطلاع التلاميذ على الأدب العربي وكتب التراث الاسلامي المكتوبة بالأحرف العربية .

ويعلل بعض رجال الإدارة الاستعمارية هذه السياسة التعليمية النازعة إلى محاربة اللغة العربية والثقافة الاسلامية بأن اللغة والاسلام يطمسان الروح القبلية ويذيبان الذاتية النوباوية [٢].

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٧ مذكرة تعليم اللغات في المدارس النوباوي : بتاريخ ٢٧ ديسمبر ١٩٣٥ م ، دار الوثائق المركزية.

(٢) مذكرة عن السياسة التعليمية في مناطق النوبا الوثنية ، بتاريخ ٢ / ١٩٣١ م ، دار الوثائق المركزية ، المجموعة ، كردفان ١ / ١٥ / ٧٤ / ١٦ الخرطوم .

غير أنه لم يعلل لماذا لا تفعل ذلك اللغة الانجليزية والديانة النصرانية التي بدأ المستعمر في بثها وسط النوبا ، والتي هي في الأصل أشد غرابة على مجتمع النوبا من غيرها .

وفي حقيقة الأمر أن سياسة الحكومة التعليمية منبثقة من سياسة الحكومة العامة التي تعمل على إذكاء روح القبلية ، ليس في جبال النوبا أو الجنوب فحسب ، وإنما في السودان ككل ، بل في كل الدول التي استعمرتها الحكومة البريطانية ، أو خضعت للاستعمار الغربي بصفة عامة ، ذلك أن كثيرا من المنصرين يرى أن تقطيع أوصال العرب والمسلمين لايمكن أن يتم مادام هناك لغة واحدة يتكلم بها العرب والمسلمون ويعبرون بها عن آرائهم ، ومادام هناك حرف عربي يربط حاضر المسلمين بماضيهم ، فكان القصد من هذه السياسة محاربة الاسلام وتفتيت أمته .

وقد سعت الإدارة الاستعمارية البريطانية في السودان إلى تقسيمه إلى قبائل صغيرة ، أو مجموعات عرقية انفصالية ، وقد نجحت في هذا إلى حد كبير، وما يعانيه السودان اليوم من حروب ونعرات عنصرية وانفصالية إنما كان نتاجا طبيعيا لهذه السياسة الماكرة التي فرقت بين أهله لتسودهم ، وتفرض عليهم لغتها وحضارتها متعدية بذلك كل الأعراف والأخلاق الإنسانية وحقوق الانسان المزعومة التي يتبجح بها الغرب زورا وبهتانا .

ووسيلة الاستعمار في تطبيق هذه السياسة هي محاربة اللغة القومية للبلاد ، والتي هي اللغة العربية للعالم العربي والاسلامي . فإذا استطاعوا أن يحملوا المسلمين على التخلي عن الحرف العربي وإحلال

الحرف الروماني مكانه انقطعت صلتهم تماما ، بأدبهم القديم وبالمؤلفات الدينية والتاريخية واللغوية ، وحينئذٍ يصبحون وحدات لغوية فكرية غير متعارفة ، ثم تتنافر هذه الوحدات مع الزمن فيسهل اخضاعها بجهد أيسر مما لو كانت أمة واحدة .

وكان زعيم هذه الحركة الرامية إلى الكتابة بالعامية أو بالحرف الروماني الاستعماريون الفرنسيون وعلى رأسهم المستشرق الفرنسي والموظف في قسم الشؤون الشرقية بوزارة الخارجية الفرنسية في الأربعينات من هذا القرن « لويس ماسينون » والذي حاول أن يبث دعوته هذه في المغرب وفي سوريا ولبنان خاصة [١].

غير أن هذه الدعوة ماتت في مهدها ولم تقو على البقاء.

إلا أنها عادت من جديد تحت ستار « تسهيل اللغة » ، وكان أشهر ماظهر في هذا الباب كتاب « تبسيط قواعد اللغة العربية وتبويبها على أساس منطقي جديد » سنة ١٩٥٢م ، تأليف الدكتور أنيس فريحة أحد أساتذة التاريخ واللغات السامية في الجامعة الأمريكية في بيروت في ذلك الوقت ، إذ يرى في هذا الكتاب أن الكتابة بالحرف الروماني سهلة القراءة وقليلة النفقات في طباعتها ويقول في موضع آخر : « .. ويطالب بعض الناس بتبني الحرف الروماني تسهيلاً للقراءة وتخفيفاً للنفقات في الطباعة ونحن المؤمنين بهذه النظرية ولانرى حلا لذلك إلا بتبني الحرف الروماني وضبط الكلمات فيه مرة واحدة » [٢].

ثم أصدر دكتور فريحة كتابين أخريين في ذات الموضوع هما

---

(١) التبشير والإستعمار في البلاد العربية ، ص٢٢٤ .

(٢) المصدر نفسه ص٢٢٥ ، ٢٢٧ .

« محاضرات وأسلوب دراستها » القاهرة ١٩٥٥م وكتاب « نحو عربية ميسرة ، بيروت سنة ١٩٥٥م ، وكل هذه المحاولات وغيرها من المستشرقين وتلامذتهم تهدف إلى طمس معالم اللغة العربية الفصحى بواسطة أعداء الدين وتحت مسميات شتى لكي يتحقق لهم هدفهم الأكبر وهو إبعاد هذا الدين عن حياة هذه الأمة لكي تعيش بدونه مسخا مشوها لتسهل السيطرة عليها .

موقف الإرساليات التنصيرية من اللغة العربية :

أ - موقف ارسالية السودان المتحدة : (S.U.M)

لم تتخذ ارسالية السودان المتحدة رأيا محددا حول لغة التعليم التي كانت مدار أخذ ورد على كثير من المستويات.

وقد تباين موقف أعضائها ، فمنهم من نادى بالعربية في الشكل العربي، واعتبرها أكثر ملاءمة للغة التعليم ، ومنهم من لم يظهر أي موقف عدائي للغة العربية لكنه استحسن العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية ، واعتبرها ذات قيم ودلالات قلما توجد في سواها.وأغلب أعضاء إرسالية السودان المتحدة غير ملتزمين برأي واحد ، إذ رأى بعضهم أن اللغة العربية لايترتب على التدريس بها أي مخاطر [١].

وقد وقف « مكدرمد » [٢] إلى جانب تبني اللغة العربية لغة

---

(١) مذكرة تعليم اللغات في المدارس النوباوية بتاريخ ٩ / ١٢ / ١٩٣٥ م كتبها السكرتير التعليمي ، دار الوثائق القومية ـ المجموعة كردفان ٧ ,٢ ، أ . ١٧ .

(٢) هو سكرتير إرسالية السودان المتحدة وهو خبير لغوي يعتبر أول من تناول لغات النوبا بالدراسة والتحليل .

للتدريس وربما كان مبرره في ذلك هو الوضع الذي تمتعت به اللغة العربية في منطقة الجبال .

إذ تعد اللغة العربية القاسم المشترك بين المجموعات اللغوية السائدة في المنطقة بل أنه حينما أيد جيلان في سنة ١٩٢٧م العربية المكتوبة بحروف رومانية ، فضلت الإرسالية كتابتها بحروف عربية لأن ذلك يعني خيرا لنوبا أولا ، ولأنها لن تخدم الاسلام إذا درست في مدارس الإرساليات [١].

وعندما أيد نيوبولد حاكم كردفان العربية المكتوبة بحروف عربية وانعقد مؤتمر عبرى [٢] للإرسالية سنة ١٩٣٥م الذي تداول فيه أعضاء الإرسالية موضوع لغة التعليم ، لم يبد المؤتمر أي اعتراض على التدريس باللغة العربية ، لكن في ذات الوقت كان هناك احساس قوي بأن العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية هي الأكثر فائدة ومناسبة ، وأنه قد يكون لها في المدى البعيد استعمال عام ، أكثر مما هي عليه الآن ، وقد فضلتها الإرسالية على غيرها للأسباب الآتية [٣] :

---

(١) مذكرة عن السياسة التعليمية في مناطق النوبا الوثنية بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٣٠ م ، مجموعة كردفان ، ١/ ١٥ ـ ٧٤ .

ـ أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي المسيحي في السودان ، ص٨ .

(٢) عقد مؤتمر عبري في منطقة عبري ٢٥ / ١ / ١٩٣٥ م ، بين الحكومة وإرسالية السودان المتحدة وحضره من جانب الحكومة كل من مدير كردفان ومدير التعليم والصحة ومأمور تعليم الجبال ومفتش التعليم أما من جانب الإرسالية فقد حضره ممثلون للفرع الاسترالي والإنجليزي والنيوزيلندي ، بجانب بعض مبشري الإرسالية العاملين في منطقة جبال النوبا .

(٣) خطاب من ينوبولد حاكم كردفان إلى السكرتير الإداري بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٩٣٥ ، دار الوثائق القومية ، المجموعة كردفان ١ / ١٤ / ٧٢ .

١ - أنها تقود بسهول للغة الإنجليزية المرادة في النهاية .

٢ - يمكن تدريسها من قبل المبشرين الذين تقتصر معرفتهم للغة العربية على التحدث بها فقط .

٣ - أنه يمكن جعلها لغة حية بتضافر جهود كل من الحكومة والارسالية. وكحل وسط اقترحت الإرسالية تدريس العربية بحروف رومانية في المدارس الأولية لمدة سنتين وتدريس العربية بالحرف العربي لمدة سنتين أيضا [١].

لكن نيوبولد مدير كردفان لم يوافق على ماساقته الإرسالية من مبررات في تبني اللغة العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية أما الإنجليزية التي زعمت الإرسالية أن العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية تؤدي إليها في رأي نيوبولد فهي ذات انتشار واسع .

ورأى نيوبولد أن تلك المحاولات ليس لها وزن ، وأن النوبا الذين لغة تفاهمهم اللغة العربية لعدة سنوات يجب أن يتقدموا إلى الإنجليزية عبر العربية .

أما القول بملاءمة العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية للمبشرين فرأى نيوبولد أن هذا صحيح ولكن تمنى أن تفتح الإرسالية الطريق لاعتبارات أوسع وهو تقدم النوبا الروحي والأخلاقي [٢].

لقد أكدت مداولات قساوسة إرسالية السودان المتحدة في عبري اضطراب موقف الارسالية تجاه لغة التعليم إذ ذهبت إلى أن جدالهم في أن الشكل العربي يفتح الباب للإسلام يعد غير ذي وزن وأنهم ليس لديهم

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٨ .

(٢) المصدر نفسه .

اعتراض في ذلك ، وعبروا في الوقت ذاته عن اعتراضهم لإسقاط الشكل الروماني من التعليم ، واقتنعوا بأن يدرس بالشكل العربي في السنة الأخيرة في المدارس الأولية .

اعتذرت إرسالية السودان المتحدة عن حضور مداولات المؤتمر [١] الذي دعت إليه السلطات الحكومية لمعالجة موضوع لغة التعليم ، وعللت ذلك بأن الحكومة هي صاحبة القرار الفاصل في ذلك المؤتمر ، ولأن أعضاءها إن حضروا المؤتمر سيكونون مجرد مستمعين ، واقترحت الارسالية على الحكومة أن تخطرها في نهاية الأمر على ماستقرت عليه مداولات المؤتمر.

كما اعتذرت الإرسالية عن عدم إيفاد من يمثلها في المؤتمر وعزت ذلك إلى اسباب تتصل بالقوة العاملة وبالميزانية [٢].

هذا هو موقف إرسالية السودان المتحدة من لغة التعليم في المنطقة ويتضح لنا أن الإرسالية كانت تؤيد ما يعضد سياستها ونشاطها في نشر النصرانية ولم تكن تعط أهمية لفائدة النوبا أو مستقبلهم .

---

(١) هو مؤتمر ٧ ديسمبر ١٩٣٥ م الذي عقد في مكتب السكرتير الاداري لبحث مسألة لغة التعليم في مدارس جبال النوبا .

(٢) خطاب من ينوبولد حاكم كردفان إلى السكرتير الإداري بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٩٣٥ م ، دار الوثائق المركزية ، مجموعة كردفان ١ / ١٤ / ٧٢ .

ب ـ موقف جمعية التبشير الكنسي (C. M. S.) :

يعد موقف جمعية التبشير الكنسي تجاه لغة التعليم أكثر وضوحا من موقف إرسالية السودان المتحدة ، إذ كانت جمعية التبشير الكنسي تتوقع وجود اختلاف في وجهات النظر بين الحكومة والإرساليات حول لغة التعليم في مدارس جبال النوبا ، وذلك نظرا للاعتبارات المختلفة من قبل الحكومة ، والإرساليات والمواطنين التي تتمثل في إيجاد أحسن وسيلة لنشر الإنجيل وأحسن وسيلة لتلبية متطلبات الحكومة بجانب اللغة المثلى التي تجد الترحيب عند المواطنين لكن ما يجمع بين الإرسالية والحكومة هو فكرة بناء ذاتية النوبا عبر موروثاتهم المحلية بجانب أحسن وسيلة لبث الأفكار الغربية [١].

لقد اتضح لجمعية التبشير الكنسي كما اتضح لإرسالية السودان المتحدة من قبل صعوبة التدريس باللهجات المحلية للنوبا ، وذلك للتباين الواسع بين كل مجموعة لغوية وأخرى ، وتعدد هذه اللهجات دون أن تكون هناك لغة سائدة تصلح للتعليم .

وقد أدركت جمعية التبشير الكنسي أن هناك عدة متغيرات ومستجدات قد أسهمت في جعل اللغة العربية لغة التفاهم ، بل وفرضت تبنيها في مدارس النوبا لاسيما في مدرسة كتاب المكوك [٢] لكن السؤال الذي كان يدور في خلد رجال الإرسالية آنذاك هو : إلى أي مدى

---

(١) The Nuba Mountains Report of a visit and notes Rov. 1939, G.L. Bertram, Confidential C.M.S. Northern Saudan Mission Kordfan 1, 15, 75.

(٢) هي مدارس أنشئت لتعليم أبناء المكوك والعمد وتأهيلهم لتولي مناصب في الإدارة الأهلية لمساعدة الحكومة في إدارة المنطقة .

يمكن أن تكون اللغة العربية وسيلة للتعليم في مدرسة كتاب المكوك ؟ وفي أي تعليم آخر يقدم في المستقبل ؟ وإلى أي مدى يمكن التدريس باللغات الأخرى وتدريس العربية كمادة ؟، وهل بالإمكان أن تكون اللغة الانجليزية وسيلة التدريس ؟ .

يبدو أن جمعية التبشير الكنسي تفضل اللغة الإنجليزية وسيلة للتدريس إذ ترى فيها مميزات قيمة قلما توجد سواها، إذ أنه إن تم تبني اللغة الإنجليزية كلغة أساسية في أي تعليم ثانوي واللغة العربية كمادة فقط فعندئذ ستصبح فكرة النوبا المتعلمين أقرب إلى المسيحية منها إلى الاسلام . وستمهد الطريق إلى تعليم عال في المستقبل . وتبني الإنجليزية في مدارس النوبا يعني في نظر الإرسالية فتح الطريق للثقافة الواسعة وفي الوقت نفسه التقدم في الثقافة المسيحية [١].

أما اللغة العربية في حسبان الإرسالية فإنها لاتعتبر وسيلة مثلى للتفكير في الله ، وأن أفكارها محدودة وأنها تفتح الطريق للإسلام، لأن الحصول على كتاب عربي خالٍ من الإشارات الإسلامية يعد أمرا في غاية الصعوبة ، لذلك اقترحت الإرسالية على الحكومة تحاشيها [٢] .

ولهذه الأسباب المذكورة رفضت جمعية التبشير الكنسي اللغة العربية كلغة تدريس . ولما تشكلت رغبة مدير كردفان نيوبولد في تبني اللغة العربية لغة للتدريس في مدارس النوبا ، حاول التعرف على آراء

---

(١) The Nuba Mountains Report of a visit and note 1934 "Rev. G.L. Bertram confidential, C.M.S. Northern Sudan mission, Kordfan, 1, 15, 75 .

(٢) خطاب من بيرترام إلى نيوبولد بتاريخ ٢٨ / ٥ / ١٩٣٥ م ، دار الوثائق المركزية لمجموعة كردفان ١ / ١٥ / ٧٥ .

الإرساليات ، فلم تبد جمعية التبشير الكنسي رأيا مضطربا كما كان الأمر عند إرسالية السودان المتحدة ، فقد تجسدت وجهة نظرها عبر سكرتيرها العام د. كاش بيرترام (D. Cash Bertram) الذي حاول تشكيل رأي عام ضد اللغة العربية فنادى بضرورة نبذ العربية وتبنى اللغة الإنجليزية [١] وذكر أن جميع المنصرين يوافقونه هذا الرأي ، ولكن لم تهتم به الحكومة وقررت تبني اللغة العربية في التعليم .

أما عن العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية فلم تجد من جمعية التبشير الكنسي ذاك القبول الذي وجدته من ارسالية السودان المتحدة . إذ أن بعض أعضاء جمعية التبشير الكنسي يعتبرون أن العربية المكتوبة بأحرف رومانية لغة همجية وغير ثابتة وأنها ذات تأثير اسلامي [٢] وعندما أدرك بيرترام أن اعتراضاته في تبني اللغة العربية لم تجد أذنا صاغية، حاول تقديم الاقتراح الذي سبق أن تقدمت به إرسالية السودان المتحدة في مايو ١٩٣٥م والذي يقترح أن تدرس المدارس الأولية باللغة العربية المكتوبة بالأحرف الرومانية لمدة سنتين مثلا ، وباللغة العربية في الشكل العربي لمدة سنتين ، لكن الحكومة رفضت اقتراح بيرترام بحجة أن هذا غير ممكن ويؤدي إلى حشو أذهان التلاميذ بعدة لغات كاللهجة المحلية ثم العربية بالروماني والعربية بالعربي والإنجليزية ، إن وجدت فيكون هذا بمثابة تمزيق لأذهان الطلاب فلا يستطيعون كليا التعبير أو فهم الأفكار عبر أي وسيلة .

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٨ .

(٢) من مدير كردفان نيوبولد إلى السكرتير الإداري بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٩٣٥ م ، دار الوثائق المركزية كردفان ١ / ٤ / ٧٢ .

ولما كانت جمعية التبشير الكنسي لا تملك صلاحيات تمكنها من تجسيد وجهة نظرها في لغة التعليم بعد عدة محاولات باءت بالفشل ، ما كان منها إلا أن رضخت للأمر الواقع والتزمت بتوجيهات الحكومة التي سارت في خطواط الشمال ، إذ تم تبني اللغة العربية لغة للتدريس في مدارس جبال النوبا .

المبحث الثاني
السياسة الاستعمارية تجاه الدعوة والدعاة

بدأت الإدارة الاستعماريه عصرها في جبال النوبا بمحاربة الدعوة الاسلامية وعدم السماح للدعاة والمصلحين الإسلاميين بدخول المنطقة ومزاولة أي نشاط دعوي إسلامي واصبح قانون المناطق المقفولة الذي تم إصداره سنة ١٩٢٢م ساري المفعول [١].

بل تمادت الإدارة الإستعمارية أكثر من ذلك في محاربة الدعوة والدعاة ويظهر ذلك من خلال الإجراءات التي طبقت في المنطقة ، إذ تم طرد التجار المسلمين وادخل بدلا عنهم التجار اليونانيين والأقباط ورحلت البطون المسلمة من القبائل إلي منطقة تقلي بدعوي أنهم مستعربون . وفرض استعمال اللغة المحلية بدلا عن العربية [٢].

وجاء في بعض مادون من تاريخ الشيخ محمد البرناوي [٣] أن الحكومة الإستعمارية وضعت يدها علي جبال النوبا في وقت مبكر من استعمارها للبلاد ، إذ ذكر أنه طرد من « هيبان » الواقعة في المنطقة الوسطى من جبال النوبا وذلك عند قدومه إليها عام ١٩٠٦م وطلب إليه عدم المرور أو الإقامة بها [٤] ويذكر أن الشيخ البرناوي كان يجد المساعدة

---

(١) انظر محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١٠٨ ، العدد السادس ، ص١٤١ .

(٢) أحمد علي سبيل ، الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة القومية ، ص٢٣ ، من إصدارات المركز الإسلامي الأفريقي بالخرطوم ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

(٣) هو محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عثمان بن هاشم بن أبو بكر دونما ، المعروف بالشيخ البرناوي .

(٤) أحمد علي سبيل ، ص٢٣ ، المصدر السابق .

من القضاة الشرعيين في حركته ، بينما يجد الحرب والكيد من الإداريين الإنجليز في المنطقة ، إذ حذره << دينق جبرا >> مفتش مركز الدلنج من خطورة ما يقوم به من أعمال على الاستقرار والأمن للمستعمر ، كما سجنه << مستر سكوت >> مفتش تالودي سنة ١٩١٨م لبضعة اشهر ثم تركه تحت التحفظ والإقامة الجبرية في تالودي حتي تزوج الشيخ البرناوي فيها عام ١٩١٩م ، وحظر عليه دخول المنطقة التي فرض فيها قانون المناطق المقفولة ، إذ ذهب مرتين إلى < هيبان > وأخرى إلى < دلامي > شرق الدلبخ وكان له معارف يعملون في الشرطة في هيبان ودلامي ولاتكاد تمضي ليلة واحده حتي يأتيه القس ومعه المفتش والعسكر ويتم إجلاؤه عن المنطقة [١].

وكذلك كان هذا ديدن الحكومة الاستعمارية مع الدعاة إذ رفضت طلبا تقدم به الشيخ محمد الأمين القرشي في عام ١٩٤٧م [٢] للدعوة الاسلامية في جبال النوبا رغم أن الشيخ أوضح أنه ليس له غرض سوى هدايه النوبا للصراط المستقيم ، إلا أن السكرتير الإداري تشكك في نواياه ورأي أنها سياسية في المقام الأول وأن السماح له مؤد لامحاله إلي اضطراب أمني في المنطقة [٣] ولكن الشيخ القرشي عاود الكرة مرة

---

(١) أحمد علي سبيل ، الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة القومية ، ص٣٠ .

(٢) هو محمد الأمين بن محمد بن القرشي بن البصير الحلاوبي من قبيلة الحلاويين في الجزيرة ، ولد في مدينة رفاعة في ١٢ ربيع الأول ١٣٩٨ هـ . كان والده عالماً وأميراً على مدينة رفاعة أثناء حكم الثورة المهدية للسودان ، بدأ تعليمه في الخلاوي « مدارس تحفيظ القرآن » وحفظ القرآن وقرأ على مشائخ المدينة ثم دخل كلية غردون التذكارية وتخرج فيها وعمل بالقضاء والتدريس والدعوة الإسلامية .

(٣) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٢٥ .

أخري مستعينا باعضاءالجمعية التأسيسية < البرلمان > وارسل خطابات منفردة لكل واحد منهم ولرئيسها حاثا إياهم علي دعم مشروعة موضحا لهم ماجري بينة وبين الحكومة وتجاهلها لطلبه وبعد مناقشة هذا الموضوع بين السكرتير الإداري والجمعية التأسيسة حصل الشيخ القرشي علي تصديق بالتبشير الاسلامي في جبال النوبا سنة ١٩٥٠م [١].

وبعد ذلك تكونت هيئة تأسيسية للتبشير الاسلامي برئاسة الشيخ القرشي تمكنت من جمع كثير من الأموال بعد سفريات ورحلات مضنية لبعض مدن السودان الكبري ، وباشرت عملها بعد ذلك ، ثم قامت الحكومة الإنجليزية بوضع مسودة قانون لتنظيم العمل التبشيري بنوعيه الإسلامي والمسيحي ، غير أن تلك المسودة وصفت من جانب علماء المسلمين بانها موضوعة في الأساس لتناسب العمل التبشيري المسيحي وتعمل بطريقة غير مباشرة للحد من الدعوة الاسلامية . لهذا فقد وجدت هذه المسودة معارضة شديدة من قبل العلماء المسلمين والخريجين والجمعية التشريعية [٢].

جملة القول : أن سياسة الحكومة بدأت تجد معارضة شديدة ومقاومة كبيرة من قبل المثقفين السودانيين في الفترة التي سبقت عام ١٩٥٦م ، وقد بدأت هذه المعارضة منذ قيام مؤتمر الخريجين [٣] في عام

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي ، ص٤٣ - ٤٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤١ - ٤٢ .

(٣) مؤتمر الخريجين ، هو تنظيم سياسي يضم في عضويته خريجي الجامعات والمدارس الثانوية ، تم تأسيسه ليقود حركة المقاومة السودانية ضد المستعمر .

١٩٣٦م . فـفي عـام ١٩٤٢م رفـع مـؤتمر الخـريجين مـذكـرة إلى السكرتير الإداري طالب فيها بإلغاء قوانين المناطق المقفولة الجائرة ووقف الإعانات الحكومية التي تقدمها الحكومة الاستعمارية للهيئات التبشيرية النصرانية وتوحيد برامج التعليم في شمال السودان وجنوبه [١].

وفي يوليو ١٩٤٧م أقرت اللجنة التنفيذية لمؤتمر الخريجين إرسال هيئات للدعوة الإسلامية إلى جنوب السودان وجبال النوبا .

وكتب سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر إلى السكرتير الإداري مشيرا إلى مبدأ حرية الأديان والتبشير التي تؤكدها جميع القوانين والدساتير ، ومبادئ الأمم المتحدة ، وطالب الحكومة أن تساعد هيئات الدعوة الإسلامية مثلما تساعد الإرساليات النصرانية ماديا وأدبيا وأوضح في ذات المذكرة اعتراض المؤتمر وكل الوطنيين على مساعدة الحكومة المالية للإرساليات واستياء المؤتمر للتصريحات التي أدلى بها السكرتير العام لإتحاد الإرساليات النصرانية للصحافة في لندن والقائلة :

« بضرورة اتخاذ كل ما يمكن من خطوات لصد تيار فيضان الإسلام في الجنوب [٢].

ولكن للأسف فإن الحكومة قد رفضت تلك المذكرة جملة وتفصيلا بحجة أن مؤتمر الخريجين إنما هو تنظيم سياسي وليس هيئة دينية وهو كتنظيم سياسي لايمثل في رأيها غير أفراده ولايحق له الحديث بلسان السودانيين [٣].

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير ، ص٤١ ـ ٤٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٤١ ـ ٤٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٤٢ .

وهكذا اتسمت تلك الفترة بالصراع الحاد بين الإدارة الاستعمارية والمثقفين السودانيين حول سياسة الحكومة تجاه الدعوة الاسلامية والتبشير النصراني وسياسة التعليم حتى توج ذلك الصراع بنيل السودان استقلاله في أول يناير ١٩٥٦م ، وبذلك انطوت صفحة من صفحات تاريخ البلاد السياسي اتسمت بالهيمنة الاستعمارية والتسلط والقهر وفرض الوصاية الفكرية والدينية والاجتماعية على الشعوب والعمل على تغيير حضارتها وثقافتها وإبدالها بالثقافة الغربية النصرانية ، البغيضة ، ومحاولة عرقلة إنتشار الاسلام واللغة العربية بل والتخطيط لقلع جذورهما من المنطقة، ولكن الله غالب على أمره فكل هذه السياسات لم تؤت أكلها على الوجه المطلوب ، رغم تقدم العدو وتقدم إمكانياته وفي المقابل جهل المسلمين وضعف إمكانياتهم .

المبحث الثالث

السياسة الاستعمارية تجاه الوجود العربي والاسلامي

اتسمت السياسة الاستعمارية مابين سنة ١٨٩٨ إلى ١٩٥٦م في جبال النوبا بمحاولة الحد من انتشار الإسلام ومصادر التعريب طوال فترة الحكم الاستعماري للسودان ، وكانت الإدارة الاستعمارية تعتبر أن الإسلام في جبال النوبا صنو الشيوعية إذ أنه يعمل على تذويب شخصية النوبا ويجهض سياسة الحكومة الرامية إلى بناء ذاتية النوبا وفق الموروثات المحلية [١].

وقد ارتكزت الإدارة الاستعمارية في تنفيذ تلك السياسة على محورين أساسين هما :

المحور الأول : تشجيع التبشير المسيحي بين النوبا ومحاولة بناء ثقافة نوباوية على أساس نصراني تقوم فيه الحكومة البريطانية بالإشراف على التعليم .

المحور الثاني : تعضيد العادات النوباوية السائدة [٢].

---

(١) خطاب من نيوبولد حاكم كردفان إلى المشرف الميداني لإرسالية السودان المتحدة بتاريخ ١٢ / ٨ / ١٩٣٤ م ، دار الوثائق المركزية ، المجموعة كردفان ١ / ٢ / ١ / ١٤ .

(٢) كمال عثمان صالح ، التبشير والسياسة الاستعمارية في جبال النوبا ، ص٢٥٧ ، مقال في كتاب « الإسلام في السودان » من منشورات جماعة الفكر والثقافة الإسلامية في الخرطوم ١٩٨٢ م - ١٤٠٣ هـ .

ومثال العادات النوباوية : احترام الكجور وتقديسهم واحتفالات الأسبار وعادات الزواج والمآتم التي تختلف عن بقية أنحاء البلاد حيث يكون هنا لها طقوس معينة وعادات الزراعة ، والحصاد .

ويمكن تقسيم السياسة الاستعمارية تجاه الوجود العربي والاسلامي في جبال النوبا إلى فترتين متميزتين :

الفترة الأولى : ١٨٩٨ - ١٩٢٠ م.

الفترة الثانية : ١٩٢٠ - ١٩٥٦م .

السياسة الاستعمارية تجاه الإسلام قبل ١٩٢٠م :

وجهت الإدارة الاستعمارية اهتمامها في الفترة مابين ١٨٩٨ إلى ١٩١٩م إلى تركيز سلطاتها في البلاد بإرسال الحملات العسكرية التأديبية لمن حاول مقاومتها [١].

كذلك شهدت تلك الفترة السماح للإرساليات النصرانية بالتنصير في جنوب السودان وجبال الانقسنا وجبال النوبا ، وباندلاع ثورة ١٩١٩م في مصر خشيت الإدارة الاستعمارية من امتداد الثورة إلى السودان فبدأت تفكر في فصله إداريا وسياسيا عن مصر ، وفي الوقت نفسه بدأت تفكر أيضا في فصل «جنوب السودان الزنجي الوثني حسب زعمهم عن الشمال العربي المسلم» وضمه إلى شرق ووسط إفريقيا [٢].

أما فيما يخص منطقة جبال النوبا فقد تميزت الفترة قبل ١٩٥٠م بجهود الإدارة الاستعمارية في إرسال حملات عسكرية كان لها أكبر الأثر في إيقاف الحروب الداخلية التي كانت سائدة بين القبائل النوباوية ونتيجة لذلك بدأ السلام يسود الجبال وبدأ النوبا بتشجيع من الحكومة

---

(١) محمد الحافظ مصطفى ، السياسة البريطانية تجاه الإسلام في جبال النوبا ، ص١٠٧ ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد السادس ، رجب ١٤٠١ هـ

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٧ .

ينزلون من الجبال ويعملون في زراعة القطن والذرة في السهول مع العرب وقد ساعدت عدة عوامل على ازدياد التعريب كزيادة الإحتكاك بين النوبا والعرب وادخال زراعة القطن بالري المطري التي جعلت كثيرا من النوبا يسعون للعمل في المزارع [١].

كانت هذه الأحوال جمعيها في بداية الأمر مساعدة على زيادة إنتشار الاسلام بين النوبا . حيث كان التعليم يسير على النمط العربي وكانت لغة التعليم هي اللغة العربية ، وكان الدين الاسلامي يدرس في المدارس ، رغم مساعدة الحكومة لإرسالية السودان المتحدة التي كانت تقوم بالعمل التنصيري بين النوبا إلا أن نشاطها كان لايزال قليلا ولم يتعد المنطقة الشرقية من جبال النوبا .

السياسة الاستعمارية تجاه الإسلام بعد ١٩٢٠م :

بدأت الإدارة الاستعمارية في الفترة مابعد ١٩٢٠م في اتخاذ خطوات عملية وجريئة للحد من إنتشار الاسلام في منطقة جبال النوبا وكانت هذه الخطوات تتمثل في محورين أساسين سبق ذكرها وهما :

- تشجيع التبشير النصراني المسيحي بين النوبا ومحاولة بناء ثقافة نوباوية على أساس نصراني تقوم على إشراف الحكومة البريطانية على التعليم .
- تعضيد العادات النوباوية السائدة .

وسنتناول كلا من هذين المحورين بشيء من التفصيل إن شاء الله.

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في جبال النوبا ، ص١ .

المحور الأول : تشجيع النشاط التنصيري بين النوبا ومحاولة بناء ثقافة نوباوية على أساس نصراني، وإشراف الحكومة على التعليم :

وتجسيدا لهذه الخطوة اهتمت الإدارة الاستعمارية بالإرساليات التي تبشر بالنصرانية في منطقة جبال النوبا ، إذ تبنت خططها ودعمت مشروعاتها ، لكبح انتشار الاسلام ، وخلق هيمنة نصرانية في المنطقة فمنحت أول دعم مالي لإرسالية السودان المتحدة في عام ١٩٢٢م وكان حوالي خمسين جنيها استرلينيا لكل محطة تفتحها الإرسالية واستمر ذلك الدعم لمدة خمس سنوات أي من عام ١٩٢٢م إلى ١٩٢٦م وقد أنفق ذلك الدعم على ملابس تلاميذ مدارس الإرسالية وغذائهم. ووصل الدعم إلى مائة جنيه في عام ١٩٢٧م وفي عام ١٩٢٨م بلغ الدعم مائة وخمسين جنيها ، وبحلول عام ١٩٣٣م قررت الإدارة الاستعمارية قصر دعمها على أربع محطات تفتحها إرسالية السودان المتحدة [١].

وكان المستر جيلان أثناء عمله مديرا لكردفان قد سعى لدعم الإرساليتين اللتين كانتا قد تأسستا في كل من هيبان وعبري منذ ١٩٢٠م ، واللتين كانتا تتبعان لإرسالية السودان المتحدة [٢] وفي عام ١٩٣٩م بلغ دعم الإرسالية حوالي ستمائة وخمسين جنيها أي بمعدل مائة وخمسين جنيها لكل من محطات عبري ، كرونقو ، تبانيا ، والمور بجانب خمسين جنيها لمدرسة « رومبيك » ، في أعالي النيل .

---

(١) خطاب من نيوبولد حاكم كردفان إلى مدير المعارف بتاريخ ٢٢ / ٢ / ١٩٣٨ م (دار الوثائق المركزية ، المجموعة كردفان ١ / ١٥ / ٣٧) .

(٢) محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الإفريقية ، ص١١٠ ، العدد رجب ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م .

أما الدعم الذي منحته الحكومة لجمعية التبشير الكنسي فقد بلغ مائة وخمسة وثلاثين جنيها في كل من عامي ١٩٣٥م و١٩٣٦م نظير أن تقوم الإرسالية بتلبية متطلبات التعليم في منطقة الجبال الغربية [١].

ووقعت الإدارة الاستعمارية اتفاقية مع إرسالية السودان المتحدة في ٥ يوليو ١٩٤٧م منحت بموجبها الإرسالية استحقاقاً سنويا بلغ الستمائة جنيها نظير أن تقوم الإرسالية بأعمال تعليمية وطبية بالإضافة إلى المحافظة على العيادات الصحية لمدارس القرى المحلية وتنظيم زيارات إلى المدارس الحكومية الأولية .

وقد شجع ذلك إرسالية السودان المتحدة بفتح عدد من المدارس المحلية التي كان عملها موسميا وأساتذتها متطوعين لتغذية المدارس الأولية بالتلاميذ [٢].

المحور الثاني : تعضيد العادات النوباوية السائدة :

كانت أولى خطوات الحكومة الاستعمارية في هذا الجانب هو إصدار قانون الجوازات والإقامة في عام ١٩٢٢م والذي نص على أن تكون المديريات الجنوبية الثلاث : الاستوائية ، وأعالي النيل ، وبحر الغزال ومنطقة الحزام الأوسط المتمثل في « جنوب دار فور وجنوب مديرية النيل الأزرق وجبال النوبا والانقسنا » مناطق مقفولة لايسمح بدخولها والإقامة فيها إلا بإذن خاص من الحكومة وهدف هذا القانون إلى عزل

---

(١) خطاب من مدير المعارف إلى بيرترام بتاريخ ٢٩ / ٤ / ١٩٤٧ م ، دار الوثائق المركزية مجموعة كردفان ١ / ١٥ / ٧٥ .

(٢) المصدر السابق .

المناطق التي حددها والتي تسكنها عناصر غير عربية عن بقية السكان العرب المسلمين وإبعادهم عن المؤثرات العربية والإسلامية [١].

وإمعانا في تطويق المد الإسلامي في منطقة جبال النوبا لم تقف الإدارة الاستعمارية عند دعم النشاط الإرسالي فحسب ، بل اهتمت بالمحافظة على عادات النوبا وثقافتهم ، وشجعت تطويرهم وفق الموروثات المحلية .

ويعتبر جيلان " J.N. Gillan "حاكم مديرية كردفان من قبل الإدارة الاستعمارية في الفترة ١٩٢٤ - ١٩٣٢م ، أول من فكر في إيجاد سياسة حازمة لتطوير النوبا على أساس ديني وثقافي نوباوي عن طريق تقوية مبادئ النوبا الأخلاقية بما لا يتناقض مع الديانة النصرانية ، وكان جيلان يرى أن زراعة القطن في جبال النوبا ستؤدي إلى تقوية الثقافة النوباوية لأنها ستتيح للنوبا فرص العمل في مناطقهم . وشجعت الحكومة العمال النوبا الذين يعملون في مزراع القطن على السكن بعيدا عن المدن وفي قرى خاصة حتى يمكن أن تحافظ على حياتهم القبلية [٢].

وبعد جيلان تولى إدارة مديرية كردفان رجل يدعى نيوبولد في الفترة ١٩٣٢م إلى ١٩٣٨م ، وكان كلا الرجلين معجبا بالنوبا كما كانا نصرانيين متعصبين للنصرانية وحاولا صبغ كثير من آرائهما الإدارية بتعاليم النصرانية ، وكان جيلان يؤمن بأن النصرانية يمكن أن تساعد على تقدم النوبا أكثر من الإسلام ، أما نيوبولد فقد صرح في مذكراته أن

---

(١) محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١٠٨ ، رجب ١٤١٠ هـ .

- انظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢٣٨ . انظر نص القانون ، ملحق رقم ٥.

(٢) محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الإفريقية ، ص١١١ .

النصرانية تتفوق على الإسلام الذي وصفه بأنه « استاتيكي » جامد والداعين له ليسوا بقديسين وإنه لا يترك شيئا للخيال وليس وحيا [١].

فكان نيوبولد يرى ضرورة التعاون بين الإدارة والإرساليات لإيجاد جبهة واحدة ضد الإسلام والجهل وإيجاد المناخ الملائم لتعضيد العادات النوباوية على أسس نصرانية . ولكن آراء نيوبولد في هذا المجال لم تجد قبولا لدى الإرساليات واختلفت وجهات نظر الفريقين اختلافا كبيرا أدى إلى فشل جهود الحكومة في هذه الناحية ، حيث كانت الحكومة ترى ضرورة بناء النظام الديني في الجبال على العادات المحلية .

ولما كان الكجرة «جمع كجور» [٢] في نظر الحكومة الاستعمارية يمثلون حصنا منيعا ضد الإسلام ، ويعززون سياسة الحكومة في الحفاظ على ذاتية النوبا ، فقد اهتمت السلطات بهم وحاولت استقطابهم عبر تنظيم الزيارات وتقديم الهدايا لهم ، وحاول نيوبولد ربط كثير من أسبار النوبا وعاداتهم بالفكر النصراني وكيف أن ذلك يمكن أن يخدم قيام كنيسة إفريقية جديدة في الجبال [٣].

ومن الجانب الآخر كانت الإرساليات ترى رأيا مخالفا ، فقد كانت ترى في الكجرة أعداء لها لأنهم وثنيون ويمارسون السحر ، وقد وضح لنيوبولد منذ بداية ١٩٣٤م الاختلاف الجذري بين أفكاره وسياسة

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٢.

(٢) الكجور في مفهوم أهل النوبا شخص تقمصه الشيطان وجعله يصاب بالصرع ويهذي بكلمات غير مفهومة وتجعله يكتسب خصائص خاصة تجعله يأتي بخوارق الأعمال كإنزال المطر وشفاء المرضى واكتشاف المغيبات وغيرها .

(٣) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ص١٣ - ١٤ .

الإرسالية ، ولجأت الحكومة لاسلوب آخر للحفاظ على عادات النوبا المحلية وذلك بتجميع القبائل الصغيرة في وحدات سياسية كبيرة ، وعينت على رأس إدارتها المكوك « جمع ملك »[١] وكان المكوك في كثير من المناطق الإدارية الجديدة من الكجرة ، وأعطتهم الحكومة سندا قانونيا بسيطا مما أصبح النواة للإدارة الأهلية في مناطق جبال النوبا في المستقبل .

كذلك لجأت الحكومة لإيقاف عملية التفتت القبلي بالحد من هجرة النوبا إلى خارج مناطقهم وكان النوبا المهاجرون ينقسمون إلى فئتين مهمتين ، جنود عاملين في الجيش أو شباب باحثين عن العمل ، وللحد من الهجرة أصدرت الحكومة أمرا بإيقاف التجنيد العسكري خارج المديرية كما أمرت الجنود مسلمين كانوا أم نصارى أن يتزوجوا حسب العرف المحلي وأن يحصلوا على إذن من الضباط المسؤولين عن وحداتهم وكذلك سعت الحكومة للحد من الهجرة عن طريق زيادة فرص العمل للنوبا في مناطقهم ، كما رغبت الحكومة النوبا الموجودين في الشمال دون عمل في الرجوع إلى مناطقهم ، بل وأرجعتهم في كثير من الأحيان على نفقتها الخاصة . كذلك منعت الحكومة الموظفين العاملين من أخذ أي نوباوي للعمل كخادم معهم خارج جبال النوبا دون موافقة الإداريين البريطانيين في المديرية[٢].

كل هذه الإجراءات التي اتخذتها الحكومة الاستعمارية البغيضة كانت تهدف منها إلى حجب الاسلام والعروبة عن مواطني جبال النوبا

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص١٥.

ـ الملك هو رئيس القبيلة الذي يقوم بتصريف شئونها الإدارية وتحتكم إليه القبيلة في خصوماتها .

(٢) محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١١٢ ، رجب ١٤١٠ هـ .

وخلق قوميات صغيرة وكيانات داخل الدول المستعمرة لكي تجعل منها قنبلة زمنية موقوتة تنفجر بمجرد خروج المستعمر لكي تصبح جرحا نازفا في أجساد تلك الدول . وهذا ما نراه اليوم في كثير من الدول التي تعاني من أقليات وقوميات مختلفة والسودان كغيره من هذه الدول يعاني معاناة شديدة من هذه السياسة الاستعمارية الحاقدة التي فرقت بين أجزائه وكانت نتيجتها التمرد والحرب الأهلية الدائرة الآن في منطقة جبال النوبا التي يقودها المتمرد وربيب الكنائس المدعو يوسف كوة [١] ضد كل ماهو إسلامي وعربي في المنطقة .

ورغم أن هذه السياسة التعسفية الجائرة للحد من إنتشار الإسلام والتعريب في جبال النوبا ، لم تنجح النجاح الكامل المرجو لها ، وذلك لأن جبال النوبا محاطة بالمؤثرات العربية والإسلامية من الشمال والشرق والغرب إلا أنها أعاقت إنتشار الإسلام بطريقة متساوية في الجبال وإنما كان هناك وجود اسلامي في مناطق متفرقة من جبال النوبا [٢].

والواقع أن التطور السياسي للسودان بعد ١٩٤٠م وقيام مؤتمر الخريجين العام وتمتع البلاد بشيء من الحكم الذاتي في نهاية عام ١٩٤٨م جعل الإدارة الاستعمارية تقوم بمجهودات أقل فعالية في مجال محاربة الإسلام والتعريب في جبال النوبا مقارنة بما حدث في الفترة ١٩٢٠م - ١٩٤٠م الأمر الذي أدى إلى شيء من الانفراج وأتاح الفرصة

---

(١) هو أحد قادة التمرد الحالي في السودان الذي يتزعمه جون قرنق والمعروف بالجيش الشعبي لتحرير السودان وهو من أبناء جبال النوبا وقائد حركة التمرد في المنطقة ، كان يعمل مدرساً بمدرسة كادوقلي الثانوية .

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص١٨ - ١٩.

للتبشير الإسلامي في المنطقة [١].

وخلاصة القول : إن سياسة محاربة الإسلام والوجود العربي والإسلامي في السودان ارتبطت بالمخطط العام للإرساليات التبشيرية والتي هي من الأساس أذرع ومخالب للاستعمار يحركها حيث يريد . هذا المخطط الرامي لمحاصرة الاسلام وتجديد نشاط المسيحية في البلاد العربية الذي توقف منذ الحروب الصليبية .

ففي مطلع القرن التاسع عشر وضعت جمعية التبشير الكنسي البريطانية [٢] مشروعا خاصا للتبشير في بلاد البحر الأبيض المتوسط عرف باسم "The mediterrean mission scheme" وقد بدأ العمل فيه من مالطة عام ١٨١٥م . وامتد المشروع إلى مصر في عام ١٨٢٥ م ، ولكن توقف العمل به في عام ١٨٦٥ ، ثم بدأ الشروع فيه مرة أخرى مع الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢م وفي عام ١٨٨٧م كونت « أسقفية القدس » من مصر وبعض الدول العربية ، التي أصبحت تخضع لسيطرة الدول الأوروبية المسيحية ، وبعد إعادة احتلال السودان ألحق بهذه الأسقفية وعين « جويني » عام ١٩٠٨م أسقفا مساعداً لأسقف القدس ومقيما في الخرطوم [٣].

وقد شهد العقد الأول من القرن العشرين حركة نشطة للتبشير في البلاد العربية ومواجهة تقدم الإسلام داخل القارة الإفريقية ، وتم عقد عدة

---

(١) محمد الحافظ مصطفى ، مجلة الدراسات الأفريقية ، ص١١٤ ، رجب ١٤١٠ هـ .

(٢) وهي إحدى الإرساليات التي عملت بالتنصير في منطقة جبال النوبا لفترة من الزمن .

(٣) إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٠٤ ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

مؤتمرات عالمية لذلك الغرض . منها مؤتمر التبشير الذي عقد في القاهرة عام ١٩٠٦م ومؤتمر أدنبرة عام ١٩١٠م ومؤتمر القسطنطينية عام ١٩١١م وكانت مسألة محاصرة الاسلام وإعاقة تقدمه إلى وسط افريقيا من الموضوعات المدرجة في قائمة أجندة مؤتمر التبشير العالمي الذي عقد في أدنبرة ، وكان من بين أعضائه البارزين دكتور واطسون المشرف على الإرسالية الأمريكية في مصر والسودان، كما كان عضوا في اللجنة التي شكلها المؤتمر لدراسة الوسائل الصالحة للتبشير بجنوب السودان وقد جاء في تقرير اللجنة : إن التسابق بين الإسلام والمسيحية في إفريقيا هو الأمر الذي ينبغي أن تكون له الأولوية على كل ماعداه بين القضايا التي تواجه المبشرين [١].

دفع ذلك التقرير دكتور روبسون "G. Robson" استاذ علم اللاهوت أن يقرر بأن من الخطوات الهامة والعاجلة التي ينبغي اتخاذها لصالح المسيحية في إفريقيا ، هو تكوين أكبر عدد من البعثات التبشيرية ودفعها على الفور داخل إفريقيا لإعاقة تقدم الإسلام .

ووفقا لهذه الاستراتيجية بدأ الاهتمام والتركيز على السودان الإقليمي الذي يمتد وسط القارة من الساحل الشرقي إلى الساحل الغربي بوجه عام ، والسودان الإنجليزي المصري «جمهورية السودان اليوم » بوجه خاص ، وقد ظهر ذلك الاهتمام في تكوين الإرساليات التبشيرية الحديثة التي تحمل اسم السودان كإرسالية شرق السودان التبشيرية (E.S.E.M) وإرسالية السودان الداخلية (S.I.M) وإرسالية السودان المتحدة (S.U.M) ورابطة السودان (S.B) .

---

(١) إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودام وادي النيل ، ص١٠٤ .

وقد أكد الدكتور كارل كم الذي كان من المؤسسين البارزين لإرسالية السودان المتحدة (S.U.M) وبعد زيارته لجنوب السودان : «إن من أقوى الدوافع التي تحركنا من أوطاننا للعمل في السودان هو الخوف من وقوع الوثنيين في شبكة الاسلام » [١].

إن مصدر خوف الإرساليات من الإسلام في إفريقيا قد عبر عنه أستاذ اللاهوت ولز (J. WILLIS) بقوله : إن الإسلام يدعو إلى ديانة واضحة المعالم سهلة الفهم ، ويدعو إلى حياة دينية متساوية في الوضوح والبساطة وسهولة الفهم ، وتتمشى كعقيدة إفريقية مع دعوة الإفريقيين للإفريقيين أما المسيحية فإنها تبدو كعقيدة أجنبية للقارة ، وممثلوها أجانب لديهم معرفة قليلة بها ونادرا ما يعطفون على وجهة نظر الأفارقة .. والعقيدة التي ينادون بها في غاية الغموض ، والمبادئ التي يصرون عليها ضئيلة في قيمتها العملية ، والشروط التي يضعونها متصلبة . الأمر الذي لايجعل من المسيحية بديلا للإسلام [٢].

وهكذا نجد أن هذه النظرة التي سيطرت على الإرساليات التبشيرية منذ بداية نشاطها قد ارتبطت ارتباطا مباشرا ووثيقا بمحاربة الوجود الإسلامي والعربي في البلدان التي عملت فيها وكان هذا واضحا في جنوب السودان وجبال النوبا حيث إن هذه المناطق كانت تمثل عمقا سياسيا لأكبر دولة عربية وإسلامية في الشرق الأوسط يحتل موقعها قلب القارة الإفريقية .

---

(١) إبراهيم عكاشة ، التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٠٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٠٥ .

الفصل الثاني
الإرساليات والكنائس العاملة في المنطقة وأنشطتها

المبحث الأول : إرسالية السودان المتحدة ونشاطها ·

المبحث الثاني : إرسالية جمعية التبشير الكنيسي ونشاطها .

المبحث الثالث : أنشطة لمؤسسات وهيئات كنيسية أخرى ·

المبحث الرابع : النشاط الفردي ·

الإرساليات والكنائس العاملة في المنطقة وانشطتها

المبحث الأول

ارسالية السودان المتحدة ونشاطاتها

(sudan united mission)

أ ــ نبذة تارخية :

تعد ارسالية السودان المتحدة إحدي الإرساليات التنصيرية العالمية ، التي عززت الوجود التنصيري في المحيط العالمي ، وتنطلق من استراليا وتضم منصرين من مختلف الملل والكنائس .أسسها الدكتور كارل كم في عام ١٩٠٤م ، استجابة لنداء وجهه عدد من القادة الإنجليز من أجل جهد عالمي مشترك في مشروع إعادة نصب الصليب في السودان. نجحت إرسالية السودان المتحدة في استقطاب عدد من المنصرين الاستراليين والنيوزيلنديين للعمل في جنوب السودان ابتداء من عام ١٩١٣م وسط مناطق الدينكا العليا وشمال غرب أعالي النيل ومنطقة الشلك والنوير ، ثم بعدها دعتها الحكومة الاستعمارية في السودان للعمل في جبال النوبا [١] . وللإرسالية نشاط واسع في كل من نيجيريا ، والكاميرون وتشاد ، ولها فروع في كل من الولايات المتحدة وجنوب إفريقيا ، وأستراليا ، والدنمارك والنرويج [٢]. رأى المنصر <كارل كم> أن المنصرين في الصين تتجاوز أعدادهم الثلاثمائة بينما

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٦٣ .

(٢) إبراهيم عكاشة : التبشير التنصيري في جنوب سودان وادي النيل ، ص٢٣ .

يقل عددهم في الهند عن ذلك بقليل ، أما في السودان الكبير [١] ذي الأراضي الشاسعة والملايين من الأجناس واللغات فأعداد المنصرين قليلة جدا ، كما رأى أن الاسلام يسير بخطى حثيثة في تلك المناطق . ولأجل ذلك قطع دراستة للدكتوراه وقام بطواف شمل إقليم النيل . ولقد وجد المنصر ‹ كارل كم › ، تشجيعا خلال تلك الجولات التي قام بها إلي بعض بلدان العالم على تأسيس إرسالية ، لاسيما من كنائس إنجلترا وإيرلندا واسكتلندا، فشرع في تأسيسها واطلق عليها إرسالية السودان المتحدة . كما لمس‹ كارل كم › في جولاتة على تلك البلاد استعداد الكثيرين من الرجال والنساء للعمل في السودان [٢].

ضمت المجموعة الرائدة لإرسالية السودان المتحدة في بلاد السودان مستر مكدرميد (Macdiarmid , p . A) ومستر ملز (mr millz) وورون ترنقونقر ومارتن ترندنقر ، وقد وصلوا إلي مليط في اكتوبر ١٩١٣م . وقد رحبت السلطات الحكومية بإرسالية السودان المتحدة ، واقترحت عليها منطقة مليط بجنوب السودان ميدانا لعملها التنصيري ، واشارت الي أن اي نجاح يتحقق في مليط سيكون دافعا للحكومة لدعم مشاريع الإرسالية المستقبلية وإتاحة الفرص لها للعمل في المناطق التي تقع غرب النيل . ولم يكن ذلك العطاءالذي منح لإرسالية السودان المتحدة بالقدر الذي يشبع نهم ‹ كارل كم › فواصل جهده لربط عمله في السودان بالأقطار المجاورة من الغرب لاسيما تشاد [٣].

---

(١) يقصد بالسودان الكبير الأرض الواقعة من البحر الأحمر شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، أي الأراضي الإفريقية شمال خط الأستواء .

(٢) Spartials, P - j : The Work of the Sudan United Mission, to the Nile and beyond, 1981, P. (I).

(٣) المصدر نفسه ، ص١١ .

واستمرت الإرسالية تمارس نشاطها في الجنوب ما يقارب السبع سنوات ، ولما كان عام ١٩١٨م اتصل السكرتير العام للإرسالية بالحكومة الاستعمارية واوضح لها رغبة إرساليته في توسيع نشاطها في مجال الخدمات الصحية والعلاجية والتعليمية والتبشير في أقاليم السودان الوثنية الاخري . وناشد سكرتير التعليم والصحة بان تقوم الحكومة ببناء المدارس ومن ثم تتعهد الإرسالية بإمدادها بهيئة التدريس والإدارة . وعلى الحكومة أن تقوم بدور الاستشارة الفنية والتفتيش الإداري . وأشار إلي أن مدارسهم ستستخدم الأحرف الرومانية في قراءة وكتابة اللهجات المحلية في المناطق التي لم تكن العربية فيها هي اللهجة المحلية المتداولة [١].

نوقش طلب الإرسالية في اجتماع خاص ضم كلا من نورث كوت حاكم جبال النوبا ، ومستر كروفت سكرير التعليم والصحة وأجيز طلب الإرسالية في عام ١٩١٩ م وبعد الاجتماع مباشرة طلب نورث كوت من الإرسالية توسيع عملها ليشمل جبال النوبا وإلا فإن بعض الجبال التي يزورها المسلمون ستصبغ بصبغة إسلامية [٢].

ب ـ النشاط التنصيري :

تعد منطقة جبال النوبا ضمن المناطق التي اهتمت الإدارة الاستعمارية بجعلها مسرحا للنشاط التنصيري ، إذ سمحت لإرسالية

---

(١) خطاب من سكرتير إرسالية السودان المتحدة إلى سكرتير التعليم والصحة بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٩١٨ م ـ دار الوثائق المركزية ، المجموعة كردفان ، ١ / ١٤ / ٧١ .

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص١٠ .

إرسالية بحر الغزال [١] .

وبالرغم من بروز عدد من الصعوبات في طريق إرسالية السودان المتحدة إلا أن ذلك لم يثنها عن مواصلة مشوارها التنصيري فافتتحت مركزا تنصيريا وسط قبائل المورو في عام ١٩٢٣م ، ومركزا آخر في كاودا «في جبال الطورو» في عام ١٩٣٦م ، كما أسست عددا من المؤسسات التنصيرية مثل مدرسة ملز التذكارية ، ومدرسة الشواية في عام ١٩٥١م واستمرت إرسالية السودان المتحدة في رعايتها للعمل التنصيري في جبال النوبا حتى خروج المنصرين الأجانب من السودان في عام ١٩٦٢م بعد صدور قانون الهيئات التبشيرية في عهد حكومة الفريق إبراهيم عبود ، والذي يقضي بسودنة الكنائس . وانتقلت بعد ذلك رعاية العمل الكنسي إلى الكنائس السودانية .

وفيما يلي نتحدث بشيء من التفصيل عن هذه المراكز والمؤسسات التنصيرية التي أنشأتها إرسالية السودان المتحدة لترسيخ المفاهيم النصرانية لدى شعب النوبا .

أ - مركز هيبان :

تقع منطقة هيبان في الأجزاء الشرقية والوسطى من جبال النوبا وتتمتع بهطول أمطار غزيرة لمدة ستة أشهر في السنة ، مما يجعلها في عزلة عن بقية مناطق الجبال نظرا لكثافة الأمطار وتربتها الطينية الأمر الذي يعوق انسياب حركة المواصلات إليها ، ويقدر عدد سكان

---

(١) انظر الخريطة : ملحق رقم (٤) .

هيبان بحوالي ستين ألف نسمة [١].

ويعد مركز هيبان من أبرز وأنجح مراكز إرسالية السودان المتحدة ، ولعله المركز الوحيد الذي قام بعمل يذكر في مجال التنصير والتعليم فقد قدر الحضور اليومي للكنيسة في عام ١٩٥٢م بمائة شخص عدا تلاميذ وتلميذات وموظفي الإرسالية حيث يرتفع العدد إلى ثلاثمائة ويعتبر مركز هيبان المركز الرئيسي لكل المراكز التي أقامتها الإرسالية إذ إنه الأقدم في المنطقة حيث تم إنشاؤه في عام ١٩٢٠م ، وكان تأثيره ممتدا إلى كل الأهالي حول المنطقة لدرجة أن مك هيبان ومعظم الشيوخ يحضرون للكنيسة بانتظام [٢].

٢ ـ مركز عبري :

أسس مركز عبري لرعاية النشاط الكنسي وسط قبائل الكواليب وقد شجعت الحكومة إرسالية السودان المتحدة على اتخاذ عبري مركزا للتبشير النصراني وذلك لتهدئة الأوضاع في تلك المنطقة ولوضع حد لاقتتال الكواليب ، بجانب تعزيز ثقة مجموعات الكواليب في الإدارة البريطانية [٣].

بدأ العمل في المركز عام ١٩٢٣م ، واكتملت كل متطلبات الاستقرار عام ١٩٢٩م . إن مركز عبري التنصيري يمثل القلب النابض للتنصير في منطقة جبال النوبا ، حيث كان مقرا للمبشرين الذين

---

(١) Extension in the Eastern Sudan, no date , No number Kordfan. 1. 14, 71.

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٢٨ .

(٣) The Nuba Mountains Report on visit and note, by C.L. Bertram Confidential of C.M.S. Northern Sudam Mission, Kordfan Province 1, 15 , 75.

أشرفوا على أعمال الإرسالية في الجبال ، لاسيما مستر مكدرمد ومستر ملز الذي غادر الجبال في ٢٧ مايو ١٩٤٥م بعد أن مكث خمسة وعشرين عاما في العمل التنصيري في جبال النوبا ، ثم خلفه مستر لن (Mr. Lunn) الذي ظل يعمل في الجبال حتى مغادرة المبشرين الأجانب من جبال النوبا عام ١٩٦٢م [١].

لقد كان مستر ملز المسؤول عن مركز عبري التنصيري في فترة إقامته فيها ، كما أشرفت زوجته على إدارة مدرسة عبري التي بلغ عدد طلابها عام ١٩٢٣م حوالي أربعة وخمسين طالبا ، وتسع طالبات وشملت مواد المدرسة : تاريخ المنطقة وتاريخ الإقليم بالاضافة إلى الجغرافيا والرياضيات. وقد اهتمت الإرسالية بطلاب المدرسة حتى في فترة عطلاتهم الدراسية ، إذ كانت تعد تقارير عن أنشطتهم في فترة العطلات وذلك خوفا من أي تأثير خارجي يجهض توجهات المدرسة الدائرة في فلك النصرانية [٢].

اهتم منصرو إرسالية السودان المتحدة بلهجات الكواليب وترجموا بعضها ليسهل استيعاب مضامين النصرانية ، وقد أشرفت فلورنس لن « زوج مستر لن » على آخر الترجمات التي قام بها المنصرون الأجانب في عبري .

وعلى العموم يمكن القول : بأن مركز عبري التنصيري احتل وضعا مميزا في مسيرة العمل التنصيري في جبال النوبا .

---

(١) كان هذا بعد صدور قانون الهيئات التبشيرية ١٩٦٢ م وسودنة الكنائس وطرد المبشرين الأجانب من السودان في حكومة الفريق إبراهيم عبود (١٩٥٨ - ٢٩٦٤ م) - انظر ملحق رقم : ٦ .

(٢) Abri elementary Vernacular School, visited, red, February 1933. No. R.L.4.A.A37 Kurdfan province 1, 15.74.

٣ ـ مركز تبانيا :

رأت إرسالية السودان المتحدة تأسيس مركز تنصيري وسط قبيلة الكرونقو ، وقد لاحت لها تلك الفكرة بعد فراغها من تأسيس مركز عبري فأوفدت اثنين من منصريها، كيث والي (Keith Wale) وأرك هانسفورد (Eric Handford) للقيام برحلة استطلاعية وسط القبائل التي تقطن الأجزاء الجنوبية والوسطى والشرقية من جبال النوبا ، وقد انتهت تلك الجولة باقتراح منطقة تبانيا مركزا للتبشير النصراني في منطقة جبال الكرونقو في أقصى الأجزاء الجنوبية من جبال النوبا [١].

وتم فتح مركز تبانيا في نوفمبر ١٩٢٩م على يد رفرند فردريك (Reverend Frederick) وكاثرين ولسون وبصحبة كابكو أحد أبناء هيبان كما التحق هانسفورد عند رجوعه إلى السودان في صحبة زوجته في عام ١٩٣٣م بمركز تبانيا [٢].

واهتم المنصرون كعادتهم بلهجات أهل المنطقة وقاموا بترجمة التعاليم النصرانية إلي لغة الكرونقو حتي تكون سهلة التناول وفي أيدي الأهالي البسطاء . كما وجد العمل الطبي الذي قامت به الإرسالية في منطقة تبانيا إقبالاً كبيرا من مجموعة الكرونقو ، وقد قدر مستر ملز عدد الذين تعاملوا مع مركز تبانيا في فترة العشرة شهور ابتداء من مستهل ١٩٥٣م بحوالي ثلاثة الاف وسبعمائة وثلاثين شخصا. وأن شعب الكرونقو كان يفضل التعامل مع مراكز الإرسالية وعياداتها الطبية في

---

(١) S.U.M. Annual Report for 1932 millis, The Feild supt Kordfan, I, 15, 75.

(٢) Spartials, P.cit, P. 60.

تبانيا على المراكز الطبية الحكومية القريبة من المنطقة [١].

٤ ـ مركز المورو

تعد منطقة جبال المورو ضمن مناطق الجبال التي أهتمت بها الإرسالية ، وقد برزت فكرة تأسيس مركز للتنصير في منطقة المورو أثناء جولات منصري الإرسالية في بحثهم عن مركز للتنصير في منطقة جبال الكرونقو [٢] . اتخذت إرسالية السودان المتحدة خطوات عملية في تأسيس مركز المورو التنصيري في مارس ١٩٣٣م إذ أوفدت فردريك ولسون و ولفرد ملز إلى منطقة المورو بهدف فتح مركز للتبشير المسيحي فيها [٣]. كما أوفد الفرع الإنجليزي للإرسالية مجموعات من المنصرين من بعثته التنصيرية في نيجيريا للعمل في جبال النوبا وقد رشحهم مجلس إدارة إرسالية السودان المتحدة لرعاية العمل في منطقة المورو . وقد بلغت القوة العاملة في مركز المورو التنصيري في عام ١٩٣٣م حوالي ستة اشخاص [٤].

---

(١) التقرير السنوي لإرسالية السودان المتحدة لسنة ١٩٣٣ م ، إعداد مستر ملز المشرف الميداني للإرسالية . دار الوثائق المركزية ، المجموعة كردفان ١٠ / ١٤ / ٧١ .

(٢) Spartials, Op cit, P. 58 .

(٣) Ibid.

(٤) خطاب من المشرف الميداني لإرسالية السودان المتحدة إلى حاكم كردفان بتاريخ ٢٩ / ١٢ / ١٩٣٧ م . دار الوثائق المركزية ، مجموعة كردفان ١ / ١٥ / ٧٥ .

٥ ـ مركز كاودا

أسس مركز كاودا لرعاية العمل التنصيري وسط قبيلتي أطورو وتيرا . وترجع فكرة تأسيس المركز إلى الطواف الذي قام به عدد من رجال الإرسالية حول المنطقة الجنوبية والوسطي من جبال النوبا في سنة ١٩٣٥م . ووقتها تم ترشيحهم واختيارهم للمنطقة ثم افتتاح المركز سنة ١٩٣٦م تحت رعاية مستر هكس (Mr . Hics) ومستر كامبل (Mr . s. kambel) وقد قدم مركز كاودا بجانب الأنشطة التنصيرية التي قام بها خدمات طبية وتعليمية [١] . إن أثر مركز كاودا التنصيري على قبيلة تيرا لم يكن بالقدر الذي كانت تتطلع إليه إرسالية السودان المتحدة ، مما دفعهاإلي التفكير في تأسيس مركز للتنصير في منطقة تيرا . غير أن مركز تيرا لم يحالفة النجاح ، إذ لم تمض سنة على تأسيسه في سنة ١٩٤٩م ، حتي شرعت الإرسالية في تصفيتة واسندت مهامه إلي مركز كاودا التنصيري . ويبدو أن الأسباب التي دفعت الإرسالية إلي تصفية مركز تيرا يتعلق بعضها بنقص الكوادر التنصيرية وبعضها الأخر يتعلق بطبيعة شعب تيرا الذي تعود على السرقة والذي هدد وجود الإرسالية وممتلكاتها في منطقة تيرا [٢] .

المؤسسات التنصيرية

تعميقا لترسيخ المفاهيم النصرانية في المنطقة ، أنشأت إرسالية السودان المتحدة عدة مؤسسات تنصيرية بعضها ذو صبغة تعليمية

---

(١) Spartials, Op. cit, P. 74 - 75.

(٢) Previous reference, P. 90.

وبعضها الأخر مؤسسات طبية ، وتتمثل أبرز تلك المؤسسات في الآتي :

١ - **مدرسة ملز التذكارية للإنجيل :** millis memorial bible school

أسست مدرسة ملز التذكارية للإنجيل في الشواي عام ١٩٥٢م [١] لخلق كادر لتدريب بعض أبناء النوبا قويمي الخلق والعارفين للغة العربية في أمور الدين المسيحي ليقوموا فيما بعد بتدريس مبادئ النصرانية للأطفال بلهجة مكتوبة بحروف رومانية ، ولكن العمل بالمدرسة لم يسر بصورة مرضية مما أدى إلى إغلاقه بعد ثلاثة أعوام ، إذ لم تجد المدرسة تشجيعا من الأهالي الذين لم يتحمسوا لهذا النوع من التعليم الديني ، والذي لم تكن وراءه فوائد تجنى كالعمل بالمكاتب الحكومية ، بالاضافة إلى تأثير العرب الحوازمة الذين كانوا يقيمون طوال فترة الصيف بالشواي بينما استقر جزء منهم فيها ، وإلى سيادة الروح المناهضة للتنصير في المنطقة وتنامى التيار الاسلامي بعد استقرار الشيخ البرناوي في المنطقة [٢].

٢ - **مستعمرة نيكاما للجذام :** Nyakame leprosy Sattlement

تمثل مستعمرة نيكاما للجذام إحدى مؤسسات إرسالية السودان المتحدة الطبية في جبال النوبا ، وقد أنشئت لدرء مخاطر مرض الجذام

---

(١) أقيمت مدرسة ملز التذكارية للإنجيل تخليداً لذكرى المنصر ولفرد ملز الذي توفى بنيوزيلندة في إبريل ١٩٤٦ م ، عمل ملز بالجنوب حتى عام ١٩١٣ ثم بجبال النوبا في هيبان وعبري حتى ١٩٤٥ م ، حيث بنى هو وزوجته في هيبان مباني ومدرسة بأيديهما وصار مشرفاً ميدانياً لإرسالية السودان المتحدة في جبال النوبا في عام ١٩٣٠ م ، وقد ترجم هو وزوجته أجزاء كبيرة من الإنجيل « العهد الجديد » إلى لغة الكواليب ، راجع المراكز التبشيرية من هذا المبحث ، مركز عبري .

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٢٩ .

الذي انتشر في منطقة جبال النوبا في فترة الحكم الاستعماري للسودان. كانت الحاجة لمشاريع مكافحة الجذام أمرا واقعا في منطقة جبال النوبا منذ بداية التبشير النصراني في مناطق النيل وجبال النوبا ، غير أن إرسالية السودان المتحدة لم تكن في وضع يمكنها من تقديم أية خدمات طبية في ذلك الشأن ، وذلك نظرا للتبعات المالية التي لم تكن في مقدور الإرسالية آنذاك ، أما مساهمة الحكومة في درء أخطار مرض الجذام في المنطقة فقد تمثلت في إنشاء عيادة للجذام في منطقة كاودا ، كما أهتمت بتشجيع إرسالية السودان المتحدة لتقديم خدمات طبية في مناطق جبال النوبا المختلفة [١].

تلبية لمناشدات الحكومة بفتح مؤسسات طبية لدرء مخاطر هذا المرض في منطقة جبال النوبا عقدت إرسالية السودان المتحدة مؤتمرا في تباينا في نوفمبر ١٩٤٩م ، وقد انتهت مداولات ذلك المؤتمر إلى الموافقة على تقديم خدمات طبية لمكافحته ، كما أخطرت الإرسالية سلطات الحكومة بتوصيات ذلك المؤتمر في إبريل ١٩٥٠م [٢] والراجح أن الإرسالية هدفت من ذلك الاخطار إلى سد الطريق أمام أي محاولة لتقديم خدمات طبية خارج نطاق سيطرة الإرسالية .

ولتجاوز العقبات التي برزت في طريق تنفيذ مشروع مكافحة الجذام ، لاسيما فيما يتعلق بتوفير كوادر تنصيرية تشرف على ذلك المشروع ، بعثت إرسالية السودان المتحدة روي كنويل "Roy Connell"

---

(١) A field Council Minutes Tabana, November 1949. Northern Jebals.

(٢) Spartials, OP. at, P. 114, 115.

إلى غرب إفريقيا في عام ١٩٥١م لتلقي التدريب اللازم ، وقد مكث روي كنويل زهاء ستة أشهر في مستشفيات الجذام والعيادات الطبية التي كان يشرف عليها الفرع الإنجليزي لإرسالية السودان المتحدة ، في غرب إفريقيا [١].

نال مشروع مكافحة مرض الجذام الذي تبناه الفرع الاسترالي النيوزيلندي لإرسالية السودان المتحدة في جبال النوبا عطف معظم الدوائر التنصيرية العاملة في المحيط العالمي ، لاسيما الفرع الإنجليزي للإرسالية الذي دعم ذلك المشروع ، كما وفدت مجموعة من المنصرين للمشاركة في رعاية ذلك المشروع ، حيث وفد رود دنكسون "Rod dancanson" في إبريل ١٩٥٢م واسندت إليه رعاية مستشفى كاودا [٢].

لقد فتحت مستعمرة نيكاما للجذام أبوابها لاستقبال مصابي الجذام منذ مستهل عام ١٩٥٣م وقد بلغ نزلاء المستعمرة في عام ١٩٥٤م حوالي مائة مريض ، وارتفع العدد بعد ثلاث سنوات من فتح المستعمرة إلى خمسمائة نزيل ، وقد استقر أغلب المجذومين في المستعمرة ، وقام بعضهم بفلاحة الأرض لمقابلة احتياجات المستعمرة من الغذاء، وبجانب مستعمرة نيكاما تم فتح عدد من عيادات الجذام في عبري وهيبان وكاودا وفي منطقة المورو [٣].

---

(١) Previous reference, P. 113 - 114.

(٢) Ibid. P. 115.

(٣) خطاب من س . فوستر المشرف الميداني لإرسالية السودان المتحدة إلى مكاري سليمان أمين سر وزارة الحكومات المحلية بتاريخ ٢ / ٦ / ١٩٥٨ م ، الجبال الشمالية .

وعلى العموم يمكن القول : بأن مستعمرة نيكاما للجذام أبرز مؤسسات إرسالية السودان المتحدة الطبية في منطقة جبال النوبا .

هذا مايمكن ذكره بصورة مجملة عن أهم المعالم في مسيرة إرسالية السودان المتحدة ونشاطها بمنطقة جبال النوبا ، والتي أسهمت في تركيز الوجود الكنسي وترسيخ المفاهيم النصرانية في جبال النوبا ويمكن القول : بأن الانتشار الفعلى للنصرانية في جبال النوبا كان على يد هذه الإرسالية وفي عهدها .

المبحث الثاني

إرسالية جمعية التبشير الكنسي ونشاطها (C.M.A)

خلفية تاريخية :

تعتبر جمعية التبشير الكنسي من أعرق الإرساليات التبشيرية الإنجليزية ذات النشاط العالمي ، تم تأسيسها عام ١٧٩٩م ومارست نشاطا كنسيا مكثفا في أنحاء متعددة من العالم بصفة عامة وفي إفريقيا على وجه الخصوص . كان أول اتصال لها بالسودان عام ١٨٧١م عندما دعاها السيد غوردون باشا حاكم إقليم الاستوائية بجنوب السودان للعمل في إقليمه [١] . وعندما استؤنف النشاط التنصيري في السودان بعد الاحتلال الإنجليزي للسودان والسماح للمبشرين الأجانب بالسفر إليه عادت جمعية التبشير الكنسي بإمكانيات وهمة أكبر مما كانت عليه من قبل . إذ أبحر مبشرا الإرسالية مستر ماربر "Mr. Marber" وقوين "H. Gwynne" إلى الخرطوم وكانا يتطلعان إلى إيجاد فرصة للتبشير النصراني في الخرطوم ومناطق شمال السودان غير أنهما لم يظفرا بذلك ، إذ رفض «كتشنر» [٢] السماح للمؤسسات التنصيرية بالعمل وسط السكان المسلمين في شمال السودان ، وذلك تجنبا لإثارة حفيظتهم الدينية .

وقد آثر قوين الانتظار ، وقرر أخيرا صعود النيل لاكتشاف إمكانية فتح محطات تبشيرية على النيل في جنوب السودان بجانب دراسة اللغة العربية ، وقد بدأت بعثة جمعية التبشير الكنسي

---

(١) محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان ، ص١٩ .

(٢) هو اللورد كتشنر معتمد بريطانيا لدى مصر والسودان ويعتبر الحاكم عنها في مصر والسودان التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢٣٧ .

تبشيرها المسيحي في أعـــالي النيل عام (١٩٠٦م) [١].

وبالرغم من حظر السلطات البريطانية للتبشير المسيحي وسط المجموعات الإسلامية في شمال السودان إلا أنها سمحت لجمعية التبشير الكنسي بفتح مستشفى في أم درمان في عام ١٩١٤م ، وبذلك وجدت الإرسالية في التطبيب مظلة لتركيز نشاطها التنصيري في السودان .

النشاط التبشيري :

بعد تولي مستر نيوبولد منصب حاكم كردفان عام ١٩٣٢م خلفا لجيلان ، لم يكن راضيا عن أداء إرسالية السودان المتحدة فدعا إرسالية جمعية التبشير الكنسي للعمل في جبال النوبا ، في النواحي التعليمية والإنجيلية ، وحددت لها الحكومة المنطقة الغربية من الجبال لتمارس فيها نشاطها ، فبدأت الإرسالية عملها في الجبال الغربية حول قبائل النيمانج عام ١٩٣٥م [٢].

اهتمت جمعية التبشير الكنسي في مسيرتها الرامية إلى تعزيز الوجود التنصيري في منطقة جبال النوبا بتأسيس عدد من المراكز التبشيرية في الجبال الغربية تمثلت في الآتي :

ا ـ مركز سلارا :

إن الاتصالات التي تمت بين سلطات الحكومة وجمعية التبشير الكنسي لتقوم الإرسالية برعاية التبشير والتعليم في الجبال الغربية لم

---

(١) Collins, R.O. " The Establishment of Christian Missions and their Rivalry in southern Sudan Tarikh, Vol. 3, No. 11 (1969) , P. 42.

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص١٢
كمال عثمان صالح : مجلة الدراسات الإفريقية ، ص١٣٣ ، رجب ١٤٠٥ هـ .

يتم خلالها فيما يبدو تحديد دقيق للموقع الذي يجب أن تبدأ فيه الإرسالية أعمالها ، إذ اقتصرت تلك الاتصالات على تحديد منطقة « الدلنج » بصفة عامة ، لذلك أصبح مكان بداية التبشير موضع جذب وشد بين السلطات الحكومية والإرسالية ، بل وتباينت وجهات النظر حتى على مستوى السلطات الحكومية ، فالسلطات الحكومية في الإقليم كانت ترى أن تكون البداية في جبل فاندا ، وقد اقترح ذلك بحجة أن جبل فاندا يعد ضمن مجموعة الدلنج اللغوية التي تشمل مناطق فاندا الدلنج ، غلفان ، كنيت ، والي، كدرو، كاتشا ، شفر وأبو جنوك ، وقد نال هذا الاقتراح تأييد نيوبولد حاكم إقليم كردفان [١].

بينما رأت السلطات الحكومية المحلية ومأمور الجبال الشرقية والغربية ، أن التبشير المسيحي يجب أن يبدأ وسط مجموعة النيمانج لأنها أكثر المجموعات ترابطا في منطقة الدلنج ، ومجموعاتها النوباوية بدائية وتقدر أعدادها بحوالي ثلاثين ألف نسمة ، ولهم إدارة أهلية مقتدرة ، بينما مجموعة الدلنج مجموعة مفككة ليس لها إدارة أهلية ثابتة ، كما أنها عرضة للتأثير الخارجي من قبل التجار وقبائل عرب البقارة [٢].

وبالرغم من أن السلطات كانت تستحضر النتائج غير الموفقة التي جنتها سياسة ترك الحبل على الغارب ، في تعاملها مع إرسالية السودان المتحدة ، إلا أنها قررت إسناد موضوع اختيار موقع مركز

---

(١) " C.M.S Site in Dilling Distric " signed G.R.F, Bredin, Governer of Kordfan Confidential, No., KN, P. SCR, 46 B. 11, Elobied 7.2 1934. copy of . D.C. W,J, Kordfan 1, 15, 75.

(٢) The Nuba Mountains, report of visit and notes, by Rev, Bertram. 1934, Confidential, C.M.S Northern Kordfan 1, 15, 75.

التبشير إلى إرسالية التبشير الكنسي وذلك نظرا لتباين وجهات النظر حول الموقع .

ولما أصبح الأمر بيد جمعية التبشير الكنسي لتقرر ما تراه مناسبا ، من موقع لبدء نشاطها التبشيري صوبت أنظارها إلى ثلاث مناطق لبحث محاسنها ومساوئها وتلك المناطق هي :

١ ـ موقع تندية :

يقع شمال مركز بوليس تندية ومن محاسنه سهل الاتصال بكلا مجموعتي النيمانج وفاندا ، وصخوره جيدة للبناء ومياهه قريبة ، كما أنه خال من البعوض وقريب من قرية رئيس الكجور ، أما مساوئة : فهو خال من الأشجار ولاتوجد بقربه أرض لزراعة القطن .

٢ ـ موقع سلارا :

يقع على حافة السهل إلى الجنوب من قرية سالارا حوالي أحد عشر ميلاً إلى الجنوب ، وموقعه جميل .

محاسنه : يقع بالقرب من منطقة زراعية وآبار ، له اتصال مع المجموعات الأخرى لاسيما شعب فاندا ، مياهه متوفرة وأرضه جيدة للبناء وصالحة للزراعة . أما مساوئه فهي : اشتداد حرارته وهبوب الرياح الشمالية عليه ، حيث إن حرارته أشد من منطقة تندية ، كما إن الاحتياج للعمل الطبي فيه قليل لاتصال السكان بمستشفى الدلنج .

٣ ـ موقع وسط الجبال :

موقعه وسط الجبال الشمالية ، ومحاسنه تكمن في توافر المياه ، وأرضه جيدة للبناء ويمتاز بمنظره الرائع .

أما مساوئه : بعيد عن قرى الفاندا ، وفيه نزاع بين الشيوخ ، كما أن أرضه غير صالحة للزراعة .

وأخيرا استقرت الإرسالية على اختيار منطقة سلارا مركزا للتبشير النصراني وسط قبيلة النيمانج التي تعد أكبر قبائل مجموعة الدلنج .

استهلت جمعية التبشير الكنسي عملها، بفتح مدرسة في سلارا عام ١٩٣٥م وفي عام ١٩٣٦م افتتحت ثلاث مدارس أخرى في طبيانة ومورو وكاودا ، وقد جاءت هذه الجهود عقب مخاطبة حاكم كردفان دوقلاس نيوبولد مؤتمرا تبشيريا في جبال النوبا ، عام ١٩٣٤م قائلا : تقر الحكومة بأن هدف الإرسالية هو تنصير السكان والعمل على إقامة كنيسة محلية وترقيتها ، بحيث تعتمد على ذاتها في إدارة شؤونها وتدبير مواردها المالية والانطلاق بعملها التنصيري ، ولعل الإرسالية تدرك أن تأسيس كنيسة قوية يتطلب بالضرورة توافر أناس متعلمين ومن ثم أصبح التعليم جزءاً ضروريا من الدعوة التنصيرية .. ومع أن حكومة السودان تعهدت بالا تستخدم سلطاتها للتنصير، أو تحطيم الإسلام ، فإن كبار موظفيها من الإداريين والفنيين هم بريطانيون وبالتالي مسيحيون ، ومن ثم تعين على كل إدارتها أن تستمد طاقتها المحركة من الأخلاق المسيحية وهذا هو الميراث الذي خلفه غوردون للسودان [١].

واصلت إرسالية جمعية التبشير الكنسي عملها في سلارا وأصبح هذا المركز في عام ١٩٣٦م يضم مدرسة ومستوصفا صحيا يقوم على أربعة مبشرين طبيبة وقس ومدرس وممرضة [٢].

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٨١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٣ .

ولما كانت منطقة النيمانج ذات ثقل إسلامي نظرا لانفتاحها على المجموعات العربية والاسلامية (عرب الحوازمة وتجار الدلينج) فقد أجهض ذلك مشاريع الإرسالية التنصيرية وضاق الخناق عليها عندما أعلن الشيخ محمد الأمين القرشي عزمه على القيام بالدعوة الإسلامية في وسط النوبا عام ١٩٤٧م وخاصة في منطقة سلارا حيث أحرز الشيخ نجاحا منقطع النظير واستجاب جميع طلاب مركز سلارا للاسلام ، ولله الحمد والمنة [١].

وقد أجهض كل ذلك مشاريع جمعية التبشير الكنسي التنصيرية في منطقة النيمانج بل واضطرارها إلى تصفية مركز سلارا التنصيري في مستهل عام ١٩٥٤م [٢].

مركز كاتشا :

ترجع فكرة تأسيس مركز كاتشا إلى مدرسة كادوقلي الابتدائية « الكتاب » التي طلبت السلطات الاستعمارية من جمعية التبشير الكنسي رعاية الجوانب الأخلاقية والروحية لتلاميذ تلك المدرسة [٣] ويبدو أن تلك المدرسة مثلت نافذة أطلت منها جمعية التبشير الكنسي على منطقة كادوقلي، ولم تكتف السلطات الاستعمارية بوضع تلك المدرسة تحت توجيه الإرسالية بل أكدت للإرسالية استعدادها التام لتحويل المدرسة لأي مكان تختاره الإرسالية للتبشير في منطقة كادوقلي [٤].

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٨٣ .

(٢) Spartials, Op. cit., P. 98.

(٣) The Nuba Mountain. Report No. 2. The present position and future policy, C.F.I Bertram confidential, C.M.S Northern Saudan mission, Kordfan, 1, 15, 75.

(٤) Ibid.

ونظرا لتأثر كادوقلي بالوجود الاسلامي مما يعكر صفو الإرسالية قامت الإرسالية بتصفية المدرسة ونقلها إلى كاتشا حيث التركيز الوثني في المنطقة .

واصلت الإرسالية نشاطها في مركز منطقة كاتشا تحت إشراف المنصر الدكتور : س. ماكدونالد ، وزوجته كاترين ، التي تولت رعاية المستوصف الصحي ، كما قامت الإرسالية بافتتاح مدرسة كاتشا المتوسطة ، ومدرسة أولية للبنات في عام ١٩٤٦م (١).

وقد استمرت جمعية التبشير الكنسي في رعاية النشاط التنصيري والتعليمي في كاتشا حتى قيام الحكومة العسكرية في السودان [١٩٥٨ - ١٩٦٤م] حيث طرد المبشرون الأجانب واستولت الحكومة على مدارس الإرسالية ، وآلت رعاية مركز كاتشا التنصيري إلى بطرس تية الذي تزامن تأهيله الكنسي مع تأهيل صمويل جنقول راعي كنيسة المسيح السودانية التي آل إليها الإشراف على مراكز إرسالية السودان المتحدة (٢).

هذه صورة مختصرة لمسيرة إرسالية جمعية التبشير الكنسي في منطقة جبال النوبا والتي اتسمت بأنها محدودة النطاق والتأثير .

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٨٢ .

(٢) Spartials, of cit, P. 137.

المبحث الثالث
أنشطة لمؤسسات وهيئات تنصيرية أخرى

١ - كنيسة كادوقلي الكاثوليكية :

تعتبر كنيسة كادوقلي الكاثوليكية من أقوى وأخطر الكنائس في السودان في الوقت الحاضر ، والأكثر توزعاً من حيث الأنشطة ويسمع الناس في سوق المدينة أصوات أجراس الكنيسة كل يوم أحد تنادي للصلوات . هذه الكنيسة يديرها أجانب ويخططون لها، حيث يوجد بالكنيسة ثلاثة قساوسة اثنان منهم إيطاليان والثالث سوداني من أبناء جبال النوبا . بالاضافة إلى ثلاث راهبات إحداهن إيطالية قضت في السودان قرابة أربعين عاما وتتكلم اللغة العربية بطلاقة ، تقع الكنيسة شرق سوق كادوقلي «أكبر مدن المنطقة» وسط مجموعة من المباني الحكومية بالقرب من مركز الشرطة في مساحة قدرها (١٥٠٠م٢) وتشمل المعبد وهو بناء ضخم يسع مائتي شخص ، وغرفة كبيرة متخذة روضة أطفال، ومنزل للقسيس وآخر للراهبات . وتمتلك الكنيسة ثلاث سيارات لاندروفر ومولد كهربائي .

أنشطة الكنيسة :

تضم الكنيسة لجنة نصرانية تطوعية يتكون مكتبها التنصيري من اثني عشر شخصا من أبناء الجبال ، ومعظمهم أرسلته الكنيسة لدورات تنصيرية خارج السودان ، وهؤلاء هم جزء من الجيل الذي بدأت الكنيسة في إعداده منذ الآن لتولي العمل الكنيسي في عام (٢٠٠٠م) .

ويعمل هؤلاء بمختلف الوسائل لجذب أبناء الجبال للنصرانية عن طريق الخطاب الفردي والجماعي والرحلات التبشيرية والطواف بالمناطق النائية وتقديم المساعدات الاجتماعية والثقافية وتقوم الكنيسة بعمل برامج شبابية تضم الشباب من الجنسين مثل الزواج الجماعي ، وإجراء عقد الزواج لمن يتزوجون من الأهالي حسب العرف المحلي ، بالإضافة إلى المنح الدراسية ، والبعثات الخارجية والداخلية ، وكذلك هناك الصحف الحائطية ، والأفلام السينمائية ، والاحتفالات في المناسبات الدينية . كما أن للكنيسة صندوق خيري يساهم في إعانة المحتاجين ، وتوزيع المواد الغذائية وغيرها ، وفي الكنيسة طبيب يقوم بعلاج المرضى ومدرسة لمحو الأمية يرتادها الطلاب من مختلف الأعمار والأجناس وهناك فصول تقوية لطلاب المدارس وتأهيلهم لأداء امتحانات المراحل الدراسية ، أما الروضة فكانت تضم تلاميذ مسلمين ونصارى ولكن السلطات أوقفتها فأصبحت الآن قاصرة على التلاميذ النصارى وتضم نحو ٣٠ تلميذا وتلميذة ، وتقوم الراهبات بالتدريس في هذه الروضة كما تضم الكنيسة فصلا للخياطة لتعليم الفتيات فنون الخياطة المختلفة به خمس وعشرون دارسة ، ويقوم الفاتيكان بتمويل الكنيسة عن طريق القاصدية الرسولية بالخرطوم ، من خلال التسلسل الهرمي لإدارة الكنيسة الكاثولوكية السودانية ، كما تساهم أيضا منظمة سودان إيد "Sudan Aid" الكاثولوكية في تمويل الكنائس بالسودان ، وللكنيسة دور كبير في دعم التمرد القائم الآن في جبال النوبا ، ويتوقع ازدياد خطورتها ونشاطها بعد زيارة البابا الأخيرة للسودان ، والضغوط الأمريكية الغربية المتزائدة ضد البلاد .

كما تضم مدينة كادوقلي كنيستين آخرين هما الكنيسة الأسقفية وتتبع المذهب البروتستانتي ونشاطها محدود . والثانية هي الكنيسة القبطية وتتبع المذهب الأرثوذكسي وهي مغلقة الآن .

ويضم ريفي كادوقلي عددا من الكنائس المنتشرة في قرى أم جبرالله وأم دورين وأندلو، وبعض هذه الكنائس مبني بالمواد الثابتة وبعضها مبني بالمواد المحلية كذلك تنتشر الكنائس التي بنيت بطريقة عشوائية في المنطقة .

وذكر لي أحد النصارى ويعمل مدرسا بمدرسة الكنيسة الأسقفية بأم درمان وهو من أبناء جبال النوبا : أن الكنيسة الكاثولوكية في المنطقة تتوفر لديها الإمكانيات والوسائل التي يمكن استخدامها لكسب ثقة أهل المنطقة وذلك لما تقدمه من خدمات للمناطق التي تعمل بها كالإغاثة والتطبيب وغيرها .

وقد عثرت في مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة التابع لمنظمة الدعوة الاسلامية بالخرطوم ضمن التقارير الواردة عن العمل الكنسي في الجبال ، على خطة عمل للكنيسة الكاثوليكية للربع الأول من عام ١٩٩٣م نوردها فيما يلي [١] :

خطة الكنيسة للأشهر الثلاثة القادمة اعتبارا من أول يناير ١٩٩٣م كالآتي :

١ - تكثيف العمل لإيجاد علاقات مع أفراد الأمن عبر اتصالات فردية ومن خلال طلب تصديقات للعمل التبشيري العام ، مع توضيح

---

(١) تقرير عن العمل الكنسي في جنوب كردفان بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ ، مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة ، الخرطوم .

الواجهات كاحتفالات أعياد الميلاد ، وقيام المعارض الكتابية وتقديم بعض المساعدات الغذائية مع التركيز على معسكرات النازحين .

٢ - إقامة صداقات مع الجهات الأمنية من خلال المسيحين العاملين بالقوات النظامية المختلفة .

٣ - عدم التحدث عن نشاط الخوارج «المتمردين» مهما كانت الظروف أمام عامة الناس سواء كان ذلك إيجابا أم سلبا .

٤ - إيجاد صداقات خاصة مع رجال الإدارة الأهلية على مستوياتهم المختلفة ، وذلك للاستفادة منهم في تمرير أعمال الكنيسة .

٥ - محاولة إيجاد علاقة أفضل مما هو عليه الآن مع اللجان الشعبية [١] ، لإيجاد فرص مناسبة لمعرفة مايدور بداخلها .

٦ - تبني بعض مشاكل الفقراء والأيتام الذين فقدوا ذويهم من جراء الحرب من أبناء المنطقة «جنوب كردفان» .

٧ - معرفة أنشطة الجهات الأمنية جيدا وكذلك الأحزاب المعارضة وحزب السلطة «الحكومة» .

٨ - كتابة تقارير اسبوعية عن كل هذه الأنشطة .

هذه الخطة لمدة ثلاثة أشهر ابتداء من أول العام ، وتم توزيعها بصورة خاصة خلال احتفالات عيد الميلاد وهؤلاء هم النصارى دائما يخططون لما يفعلون ، ويكيدون للمسلمين الكيد العظيم والكيد المدروس فإن أفعالهم لا تأتي جزافا ، وإنما بعد تخطيط محكم ودقيق ، ولكن الأمر المؤسف أن هذه الخطط والبرامج لاتقابلها أية خطة واضحة ومدروسة من

---

(١) اللجان الشعبية هي لجان الرقابة الإدارية وتسيير الخدمات بالمنطقة ويتم تكوينها على مستوى القرية والمحافظة والولاية .

قبل المسلمين لا على مستوى حكوماتهم ولا حتى على مستوى الهيئات والمؤسسات الدعوية المنوط بها القيام بدور الدعوة ، ومكافحة التيارات المضادة للإسلام .

النشاط الكنسي بمجلس شعبي أندولو ــ ريفي كادوقلي :

وهو منطقة من مناطق قبائل المورو . وأندولو نفسها عبارة عن قرية صغيرة لايتجاوز عدد سكانها الخمسمائة نسمة ٦٠٪ منهم نصارى و٣٠٪ مسلمون و ١٠٪ وثنيون .

هناك مسجد بأندولو وإمامه أحمد مطر وهو رئيس المجلس الشعبي بالقرية والطابع العام لأندولو طابع كنسي حيث يحيى الناس بعضهم بعضا بتحايا النصارى ، ويرددون شعارات الكنيسة التي يحفظونها عن ظهر قلب « المجد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » وينطبق هذا حتى على الأطفال والنساء .

ويوجد في أندولو سبع كنائس ثلاث منها انجيلية وثلاث أسقفية وواحدة كاثولوكية وكلها مبنية بالمواد المحلية وهناك خطة لبنائها بالمواد الثابتة وبدأ الإعداد لذلك بجلب بعض المواد اللازمة للبناء ، وهذا إنما يدل على مدى إمكانيات العمل التنصيري وتغلغله في هذه الأماكن النائية كما أن لكل كنيسة مبشر متفرغ .

أنشطة الكنائس :

تعتبر الكنائس الأسقفية أنشط الكنائس في المنطقة إذ أنها تقوم بأكثر أعمال الكنيسة ، وتقوم هذه الكنائس بتقديم بعض المساعدات وتوزيع الأغذية على المواطنين وحتى إمام المسجد يصله العون الكنسي

كما تشرف الكنائس على إقامة الصلوات والرقصات والتجمعات الشعبية .

ويضم مجلس أندولو عدة قرى منها : قرية الرقيقي ، وقرية الكركريا ، وقرية اللويا ، وسنتعرض لأنشطة الكنائس فيها بشيء من التفصيل .

قرية الرقيقي :

تقع بالقرب من أندولو وعدد سكانها ثلاثمائة نسمة ، من بينهم أربعة مسلمين فقط ، والبقية نصارى . ويظهر الطابع الكنسي على القرية بدءاً بمدخلها الذي يتمثل في بوابة على شكل صليب كما تزخر شوارع القرية وبيوتها بالخنازير الكثيرة وتضم القرية الكنائس الآتية :

١ ـ كنيسة الرقيقي مورو الإنجيلية .

٢ ـ الكنيسة الكاثولوكية وهي مبنية بالطوب الأحمر .

٣ ـ الكنيسة الأسقفية .

٤ ـ الكنيسة القبطية .

وتضم الكنيسة الكاثولوكية روضة للأطفال ومزرعة تعاونية وقد تلقى قسيسها تعليمه في إيطاليا .

وتقوم هذه الكنائس في كل يوم أحد بتنظيم المهرجانات الشعبية « النقارة » ، وهو يوم الإرشاد ، كما تنظم أيضا قوافل شبابية تقوم بالطواف على الوثنيين وغيرهم .

وتعمل هذه الكنائس فيما بينها على تنظيم وتنسيق نشاطها إذ لكل كنيسة دائرة نفوذ ورئاسة لا تنافسها فيها غيرها .

قرية الكركرايا «البيبو» :

وهي قرية صغيرة تابعة لمجلس أندولو، عدد سكانها حوالي أربعمائة نسمة ، ٧٠٪ منهم نصارى والبقية مسلمون ووثنيون ، وتطغى في القرية سيادة العنصر النصراني على غيره ، إذ أننا نجد رئيس المجلس الشعبي نصرانيا ، وكذلك معظم أعضاء المجلس ، ونجد استاذاً نصرانيا للتربية المسيحية في المدرسة الوحيدة بالقرية .

وتضم القرية كنيستين هما :

١ ـ الكنيسة الإنجيلية : وملحق بها روضة تضم ٥٠ طفلا وطفلة .

٢ ـ الكنيسة الأسقفية .

وتمارس هذه الكنائس أنشطتها بين أهالي القرية وفي وسط النساء خاصة حيث نجح النصارى في جذب العنصر النسائي للكنيسة ، وحتى البنات المسلمات يذهبن للكنيسة ويشعرن بأن الكنيسة جزء هام من حركة الحياة في القرية ، وبالقرية مسجد وخلوة «تحفيظ قرآن» بها (١٣) طالبا ، وهؤلاء أنفسهم لايمانعون في التردد على الكنيسة .

قرية اللويا :

وهي كذلك قرية صغيرة من قرى أندولو ، ثلثا سكانها من النصارى ، والبقية من الوثنين ، ولايتجاوز عدد المسلمين فيها أكثر من ٥٪ من السكان ، لهم مسجد مبني بالمواد المحلية ، وليس له إمام .

وتضم القرية ثلاث كنائس هي : -

١ ـ كنيسة اللويا الإنجيلية وبناؤها من الطين والقش .

٢ - كنيسة اللويا الأسقفية وبناؤها كذلك من الطين والقش .

٣ - كنيسة اللويا البروتستانتية وبناؤها من الطين والقش .

ولكل كنيسة مبشر متفرغ ، يقوم بكل مناشط الكنيسة ، ويقدم للناس التعاليم النصرانية ، والنصارى في هذه المنطقة هم الأكثر وعيا ومالا ، وغالبا ما يزورهم كبار القساوسة من الخرطوم .

قرية الهبيك :

وهي تابعة لريفي كادوقلي وموقعها مابين كادوقلي وهيبان و٩٠٪ من سكانها نصارى ، والبقية خليط بين المسلمين والوثنيين وتوجد بها ثلاث كنائس منها اثنتان انجيليتان وواحدة أسقفية ، وقد أنشئت الكنيسة الأسقفية مؤخرا في عام ١٩٧٨م ، بينما أنشأ الكنيستين الإنجيليتين منصر نوباوي اسمه كودي بشير ، لقبه الكنسي أندراسى في الستينيات . والكنائس الإنجيلية مبنية من الزنك ، أما الاسقفية فهي مبنية من المواد المحلية [١].

ولا يوجد بالقرية مسجد أو مصلى أو حتى خلوة لأطفال المسلمين .

تضم الكنيسة الإنجيلية روضة أطفال بها (٥٠) طفلا نصرانيا وكذلك تضم الكنيسة جمعية زراعية تعاونية وملحق بها مخزنان وبها شخص مسؤول عن الخدمات ، ويزور المبشرون الأوروبيون هذه الكنائس باستمرار .

ويلاحظ وجود ظاهرة ارتداد بعض الشباب المسلمين وتنصرهم بفعل الاختلاط والمعكسرات الشبابية والإغراءات الأخرى ، والمسلمون في

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٠ .

هذه المناطق لايجدون من يذكرهم بدينهم ويدعوهم للتمسك به ، وهناك قابلية شديدة من السكان للدخول في الاسلام إن وجدوا الدعوة الصادقة والإهتمام من قبل إخوانهم المسلمين [١].

٢ ـ الكنيسة الكاثوليكية بمنطقة قبائل الكواليب :

نشاط الكنيسة بمنطقة كدبر شرق الدلنج :

تعتبر هذه المنطقة آخر مركز للكنيسة في مناطق الكواليب مما جعلها نقطة انطلاق رئيسية للتنصير في كل المنطقة وفق الآتي :

١ ـ التركيز على كدبر كنقطة انطلاق .

٢ ـ استقطاب أكبر عدد من العائدين من حركة التمرد .

٣ ـ إعادة أكبر عدد من المسيحين للسكن بالمنطقة .

٤ ـ متابعة ماتقوم به مؤسسة موفق الخيرية كأول منظمة إسلامية تعمل بصورة مباشرة الآن في المنطقة مما أثار حفيظة الكنيسة .

وقد تم تكوين عدة لجان كنسية ، منها التي تحاط بسرية تامة ويوكل إليها التخطيط ومتابعة العمل محليا ، لتقليل حركة الوفود القادمة من الخرطوم للإشراف ، لأنه من خلالها تكشف أنشطة الكنيسة برصد الأجهزة الأمنية .

وقد كونت لجنة بمنطقة كدبر من الآتية أسماؤهم :

١ ـ بدر كجو ، قسيس الكنيسة .

٢ ـ كمال الإمام قسيس بالكنيسة .

٣ ـ سمير التوم ، معلم بمرحلة الأساس .

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٠ .

٤ ـ مدير عبدالله ، معاون صحي .

وتعول الكنيسة على هذه اللجنة كثيرا ، لأهمية المنطقة وكثرة المسيحين بها ، وكونها قرية سلام تتمتع بالأمن والاستقرار ، ولبعدها عن دائرة الرقابة الأمنية .

وقد رصدت في الفترة الماضية زيارات متكررة من رئاسة الكنيسة بالخرطوم والأبيض إلى المنطقة منها الوفد المكون من :

١ ـ جون بدر .

٢ ـ حمادي خليل .

٣ ـ بولس سليمان، رئيس الوفد .

وانضم إليهم عدد من أبناء المنطقة نفسها وهم :

١ ـ إدريس كجو .

٢ ـ داوود بدر .

٣ ـ جون بدر .

٤ ـ عبدالله مكي .

٥ ـ آمال النور القنديل .

ثم غادروا جميعا كوفد طواف على معظم مدن السودان، وأخيرا التقى الوفد برئاسة الكنائس السودانية بالخرطوم لرسم الخطط، وإيجاد دعم للنشاط الكنسي، وقد تم الاتفاق على الآتي :

١ ـ إعادة بناء كنيسة كدبر .

٢ ـ إعتماد أحد المشاريع الزراعية كنقطة تجمع وانطلاق .

٣ ـ إعادة تأهيل منزل القسيس «لؤو نازي» بدلامي .

٤ ـ إعادة بناء كنيسة دلامي .

٥ ـ استقبال العائدين من حركة التمرد ، واستيعابهم في بعض

الأعمال بالمنطقة ، للحيلولة دون ذهابهم لمعسكرات العائدين بقرى السلام ، التي تشرف عليها الحكومة ، وترفع تقارير دورية عن هذا النشاط إلى الكنيسة بالأبيض والخرطوم [١].

٣ ـ الكنيسة الكاثولوكية بالدلنج :

مدينة الدلنج من المدن الرئيسة بجنوب كردفان ، وهي ثاني مدينة من حيث الأهمية في المنطقة بعد كادوقلي ، وتقع الكنيسة الكاثولوكية في حي المعاصر في مساحة ٢.٧٥م٢ ومبنى الكنيسة ضخم يتكون من المعبد ، بالاضافة إلى أربع غرف ومنزل القسيس . ويسع المصلى أربعمائة كرسي ، عدا الأثاث المكمل من مناضد ومقاعد وغيرها [٢].

المناشط التي تقوم بها الكنيسة :

يقوم بإدارة المناشط قسيس جنوبي ، وتضم الكنيسة عددا من أبناء الدينكا والكواليب المسيحيين ، وتقدم خدماتها في المجالين التعليمي والاجتماعي .

أ ـ أنشطتها التعليمية :

بالكنيسة روضة أطفال تضم ٢٠ طفلا وطفلة ، وفصل لتعليم الكبار وفصل للخياطة النسائية ، كذلك تقوم الكنيسة بعمل فصول

---

(١) تقرير لمنظمة الدعوة الإسلامية من مناطق جبال النوبا بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ بمكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة .

(٢) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٠٦ .

تقوية لطلاب المدارس الثانوية في اللغة الإنجليزية وتمارين رياضية للشباب في كرة القدم والكرة الطائرة ، بالاضافة إلى التبرعات النقدية التي تقدمها لمدرسة البنات الثانوية ومعهد تدريب المعلمين ، كما ترعى الكنيسة تعليم (١٧) طالبا جنوبيا كاثوليكيا في معهد تدريب المعلمين لكي يعملوا بعد تخرجهم مدرسين للتربية المسيحية .

ب ـ الأنشطة الاجتماعية :

وتتمثل في الإغاثة وتوزيع الدواء مجانا ، حيث تركز عملها على الأحياء الفقيرة من المدينة ، كذلك تقوم الكنيسة بتوزيع الملابس المستعملة والبطاطين والألبان المجففة التي ترد من الخارج ، ويدير العمل أربع ممرضات بالكنيسة ، كما تبرعت الكنيسة ببناء غرفة كبيرة للأطفال بالمستشفى. وتمتلك الكنيسة ثلاث جرارات زراعية ، ومشروعا زراعيا متكاملا ، وتقوم بحرث الأرض للأهالي ، حيث يوجد اقبال كبير على استخدام هذه الجرارات ، حتى اضطرت الكنيسة لوضع أسبقيات للعمل .

٤ ـ الكنيسة البروتستانتية بالدلنج :

وتقع في حي الشرطة بالدلنج جوار مكتب الشباب والرياضة في مساحة قدرها ٧٠٠م٢ وتتكون من سور كبير من الشوك ، ومصلى من المواد الثابتة وبيت للقسيس .

المناشط :

تهتم هذه الكنيسة بالشباب ، وتركز على المداخل الناعمة ، حيث يوجد مثلا فريق نسائي للكرة الطائرة ، مما يؤدي إلى جذب الشباب

والشابات واختلاطهم ، وهناك فصل تقوية للغة الإنجليزية ، وفصل لمحو الأمية وروضة أطفال ، ويقود هذه الأنشطة قسيس من أبناء الجبال دعمته الكنيسة بسيارة لاندروفر لتساعده في الحركة ، ويضم سور الكنيسة مزرعة صغيرة بداخله .

٥ ـ نشاط المنظمات الأجنبية والطوعية العالمية بالمنطقة :

يقول تقرير مجلس أمناء المركز الإسلامي بابنوسة جنوب كردفان : وصلت إلى منطقة بابنوسة بجنوب ولاية كردفان عدة منظمات وهيئات أجنبية كنسية مشبوهة ، جنسياتها متعددة : أمريكية ، بريطانية ، فرنسية ، هولندية ، بلجيكية ، تقودها مؤسسة « كير انترناشونال » . أقامت هذه المنظمات مقارها الرئيسية في بابنوسة وافتتحت لها فروعا في كل من الميرم والمجلد والتبون وشرق دارفور ، وهي تقوم بمتابعة الجنوبيين الفارين من ويلات حروب « المتمردين » ومن العمليات العسكرية التي يقوم بها الجيش ضد حركة التمرد ، فترصد أماكن تجمعاتهم وتحدد لهم مسارهم وتوجههم إلى مناطق بعينها ، والناظر إلى خريطة المنطقة لن يجد صعوبة كبيرة في معرفة أن توزيع نقاط المتابعة ونقاط التجمع قد تم اختيارها بعد دراسة ويخفي وراءها هدفا كبيرا ومحددا .

ولكن بعد وصول هؤلاء المهاجرين إلى مناطق الحضر والمدن فإن إمكانية انصهارهم في السكان وإسلامهم ستظل قائمة ، هنا يأتي دور هذه المنظمات للوقوف دونهم ودون الاسلام ودون الإلتقاء بسكان الشمال

والتعرف إليهم عن قرب : أي تكملة ما بدأته «حركة قرنق» [١] ، وضمان تحقيق الهدف الذي تهدف إليه في التنسيق التام معها إضافة إلى مدها بالمعلومات اللازمة .

ويذكر الدكتور يوسف الخليفة أبوبكر وكيل الشؤون الدينية والأوقاف في خطاب موجه إلى معالي الدكتور عبدالله نصيف بتاريخ ١٩٧٩/٤/٢٤م مانصه :

«إن النشاط التبشيري يقوم على المشروعات الاقتصادية والعلمية والاجتماعية ، وتدعمه هيئات ومؤسسات دولية ، فعلى سبيل المثال لا الحصر هيئة سودان إيد Sudan Aid الكاثولوكية لديها الآن (٨٠٠) مؤسسة في شكل مراكز صحية ومعاهد علمية تدريبية وتربوية وجامعة هارفارد بالولايات المتحدة لديها مشروع يسمى التأثير عبر الحضارة Gross cultural Studies في غربي السودان يعمل به عدد من الأساتذة من علماء الاجتماع والاقتصاد والطب والزراعة ، ظاهره عمل علمي وباطنه ، عمل تبشيري نصراني ، يهيئ المنطقة لغزو حضاري [٢]

وفيما يلي نذكر بعض هذه المنظمات وأنشطتها :

أ ـ المنظمة العالمية ضد الجوع : " A.I.C.F "

وهي إحدى المنظمات التي كانت تعمل في مجال التنصير بطريقة

---

(١) هي حركة التمرد ضد الحكومة السودانية التي أنشأها العقيد المتمرد جون قرنق عام ١٩٨٣ م وتعرف بأنها حركة عنصرية نصرانية ضد الوجود العربي والإسلامي في السودان وضد هوية السودان الحضرية ، ويسميها مؤسسوها « الجيش الشعبي لتحرير السودان ... وما زالت تقاتل الحكومة السودانية في جنوب السودان إلى يومنا هذا .

(٢) تقرير لجنة المركز الإسلامي ببانوسة ـ جنوب كردفان ، رمضان ١٤٠٩ هـ .

غير مباشرة ، من خلال الأعمال التي تقوم بها في المنطقة . وهي منظمة فرنسية بدأت عملها في كادوقلي عام ١٩٨٥ م وكانت تعمل في الآتية :

١ - برامج علاج الأمومة والطفولة .

٢ - إشراف طبي على ريف البرام جنوب كادوقلي .

٣ - التطعيم وبرامج التوعية الصحية .

وكانت أيضاً تقدم بعض الخدمات في مجال الزراعة حيث تقوم بالإرشاد الزراعي ، وعمل مزارع نموذجية بالقرى وتوزيع بذور الخضر على المزارعين ، وقد كان لهذه المنظمة اتصال دائم مع الأجنبي لونشا الإيطالي الجنسية ، قسيس كنيسة كادوقلي آنذاك ، وقد انتهت فترة عمل المنظمة في ١٩٩٠/٢/١م [١].

ب - منظمة : HUNTING : «هانتنق»:

والتي كانت تعمل في مجال إعداد الدراسات لإستخدام الآليات الزراعية في الزراعة المطرية ، وكانت تعمل بورشة مؤسسة جبال النوبا الزراعية .

ج - المنظمة الألمانية : (G.T.Z) (جي.تي. ز) :

والتي بدأت عملها في بداية الثمانينات في كادوقلي لها مشروع في الضعين .

---

(١) ورقة دور المنظمات الإسلامية في نشر الدعوة ، سيف النصر حسين محمد ، منظمة البر الدولية كاودوقلي .

د ـ السوق الأوروبية المشتركة لتنمية ماوراء البحار » :

وهذه كان لها نشاط في المجال الزراعي في منطقة أم سردبة والسنجكاية ريفي الدلنج ، ومواقع أخرى بجبال النوبا ، ولقد بات من الواضح أن معظم العاملين بها من الذين لهم دراية بالتنصير وفنونه ويعملون بالتنسيق مع الكنائس .

هـ ـ منظمة اليونسيف :

وهي منظمة تابعة للأمم المتحدة جميع خبرائها يحملون شهادات تأهيلية بالاضافة إلى كونهم من القسس أو الرهبان ، وقد بدأت عملها في كادوقلي منذ عام ١٩٨٧م وهي مستمرة حتى الآن .

وتعمل في مجال الصحة وتوفير الاتصال والغذاء والتوعية الصحية وتدريب الأمهات لرفع كفاءة الأسرة في تربية الأطفال وقامت المنظمة بصيانة مصادر المياه وتشييد مصادر جديدة في شكل مضخات يدوية ، قد حدثني بعض أهل مدينة كادوقلي عن مدى تعاون اليونسيف مع الكنائس ، ودعمها لحركة التمرد في المنطقة وتقديم العون لها مثل دعمها بالأدوية والمواد الغذائية وتهريب الأسلحة بسيارات المنظمة وعمل أفراد اليونسيف كمرشدين للمتمردين إلى الطرق والمداخل .

و ـ منظمة آكشن إيد العالمية : ACTION AID INTERNATIONAL :

والتي كانت تعمل في محافظة الدلنج منذ عام ١٩٨٥م ، ومركزها في بابنوسة وكانت تتخذ من الأعمال الإنسانية غطاء لها ولكن هدفها الأساسي كان هو التنصير وسط الأهالي والنازحين من الحرب من أبناء جنوب السودان وتوجيههم لمدن معينة بغية الانفراد بهم وتنصيرهم بعد

عزلهم عن الاختلاط بأهل الشمال المسلمين ، ومعظم هذه المنظمات دخلت المنطقة في أوائل الثمانينات من هذا القرن وكانت لها صلات مع حركة التمرد وتخدم أهدافه [١] ، والحمد لله قد أبعدت هذه المنظمة الآن وانتهت فترة عملها بالمنطقة .

ز ـ مشروع جامعة فورد :

وهي هيئة أمريكية أنشئت من أجل البحث الاجتماعي في غربي السودان « منطقة جنوب كردفان » ، وقد كشفت الهيئة من نشاطها الاجتماعي والرياضي ، وتغلغلت بواسطته ، ومن خلاله بين المسلمين واستطاعت أن تحصل على تصديق ببناء كنيسة وملحقاتها « مجمع كنسي » وهو المشروع الذي وقف ضده المسلمون ، فألغى السيد المحافظ التصديق الممنوح لهم ، وقد قامت هيئة إحياء النشاط الإسلامي بالمنطقة بدفع التعويضات المقررة لقيمة المباني الكنسية [٢] .

هيئة أكروسي :

وهذه دخلت البلاد بعد اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢م [٣] عن طريق

---

(١) انظر تقرير المركز الإسلامي بيانوسة جنوب ولاية كردفان ، رمضان ١٤٠٩ هـ .

(٢) مجلة الأمة ، ص٣٦ ، ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ .

(٣) جاءت اتفاقية أديس أبابا عام ١٩٧٢ م لإنهاء الحرب الأهلية الدائرة في جنوب البلاد ووقعها الرئيس السوداني الأسبق جعفر نميري مع المتمردين بقيادة أبيل الير وجوزيف لاقو بوساطة مجلس الكنائس العالمي ورعاية الإمبراطور الأثيوبي هيلا سلاسي ، وبموجبها سمح للكنائس بإعادة تأهيل الجنوب وتعمير ما دمرته الحرب ، فسنحت الفرصة للكنائس والمنظمات فغزت البلاد من كل حدب وصوب ، انظر حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٠٧ .

إرسالية السودان المتحدة ، وتعمل في المجالات الصحية والتعلمية والزراعية والتنصيرية خاصة وسط الطلاب [١].

وكالة سودان إيد SUDAN AID :

وهي هيئة مسيحية متخصصة في مساعدة المسيحين أنشئت في سبتمبر ١٩٧٢م من قبل مؤتمر الأساقفة السودانيين من الكاثوليك [٢] ويقع مركزها الرئيسي في الخرطوم عند تقاطع شارع الزبير باشا بشارع الحرية ، وهي جزء من ثمانين فرعا تعمل في أنحاء العالم المختلفة ، مصنفة في الأمم المتحدة تحت الجمعيات الخيرية العالمية .

وأمينها العام هو الأب «دجمبو» وهدف «سودان إيد» الأساسي هو مساعدة الكنيسة في تعمير وتشييد الكنائس في الجنوب وجبال النوبا ، ودفع تكاليف تعليم وإيواء الجنوبيين والنوبا في أنحاء العاصمة المثلثة الخرطوم ، وللوكالة مكاتب فرعية في الولايات حيث يوجد مكتب في الأبيض ويشرف على منطقة غربي السودان ، ومكتب جوبا ويشرف على ولايات جنوب السودان .

تقدم سودان إيد خدمات للمدن والقرى المختلفة في شكل مضخات مياه وطواحين غلال وآلات زراعية وتأتي الطلبات بواسطة أقرب كنيسة كاثولوكية بالمنطقة على أن يكون الطلب مستوفيا للإجراءات المطلوبة وهي :

١ - موافقة السلطات المحلية .

---

(١) مجلة الأمة ، ص٣٦ ، العدد ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ .

(٢) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٠٩ .

٢ - موافقة وتزكية الكنيسة .

حيث تقوم الكنيسة بإعداد دراسة عن المنطقة ونوع السكان وكثافتهم وطرق المواصلات ونحو ذلك .

ي - مجلس الكنائس العالمي :

مجلس الكنائس العالمي تنظيم مسيحي نصراني ، يجمع كل الكنائس البروتستانية والإنجيلية والأرثوذوكسية ، ويعتبر هذا المجلس قوة مؤثرة لها نفوذها ووزنها ، وأهم الأنشطة التي يقوم بها تتركز في مساعدة اللاجئين ، والتبشير النصراني ، والدراسات والبحوث الاجتماعية الدينية والاقتصادية ، وله مع ذلك أنشطة خاصة بالمجالات السياسية ، وقدم هذا المجلس العون للمتمردين في الحرب الأهلية في جنوب السودان ، كما كان له دور كبير فيما يتصل بمشاريع استقبال واستيطان اللاجئين من الدول المجاورة ، وكان له موقفه المناهض للعرب والقضية العربية عموما إبان أحداث الشرق الأوسط [١].

الغرض من قيام مجلس الكنائس العالمي :

١ - تيسير دفة التنصير العالمي عن طريق كنيسة متحدة متماسكة شكليا وإداريا .

٢ - يقر المجلس مساعدة الكنائس ، ويلتزم بمدها بهذه المساعدات لتحقيق الوحدة التي ينشدها المسيح ، ولكنه ليس مذهبا واحدا أو

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٥٠ .

- انظر مجلة الدعوة العدد ١٣٢٤ ، ص٢٨ بتاريخ ٥ / ٧ / ١٤١٢ هـ .

طائفة أو خطة معينة للوحدة الكنسية .

٣ - يمثل المجلس عصبة أممٍ كنسية تمكن الكنيسة الدولية من التفاوض والتشاور وإجراء التنسيق وتبادل المعلومات من خلاله لأداء الأهداف المشتركة .

والمقر الدائم لهذا المجلس في جنيف عاصمة سويسرا ، ومركزه الرئيس بالخرطوم حي العمارات ، شارع المطار، وله وكالة متخصصة في عمليات غوث اللاجئين ، وتقوم بتقديم المساعدات للحركات التحررية واللاجئين في شرق إفريقيا ، وقد قام المجلس بدور فعال في اتفاقية أديس أبابا بين المتمردين الجنوبيين والحكومة السودانية عام ١٩٧٢م ، وهو يعمل بنشاط في الخرطوم لتنسيق وربط حركة المسيحين وتمويل الأنشطة الأخرى ، بالاضافة إلى عمله المستمر في مجالات المراقبة ورصد وتحليل المعلومات .

ويلي مجلس الكنائس العالمي مجلس الكنائس الإفريقي ودور هذا المجلس الأخير مشابه لدور مجلس الكنائس العالمي ، مع اختلاف يسير في الإطار الموضوع له ، وهو إفريقيا ، كما أنه يعتبر محاولة لإنشاء كنيسة محلية تهتم بإفريقيا وقضاياها ، ويلي ذلك مجلس الكنائس السوداني ، والذي ينظم حركة الكنيسة السودانية ، وله صلة عضوية بكل من مجلس الكنائس العالمي والإفريقي وهناك تنسيق بين هذه المجالس لمكافحة حركة تطبيق الشريعة في السودان ، وتحريك العالم المسيحي في اتجاه ممارسة الضغوط ضد حكومة السودان [١].

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٥١ .

النشاط التنصيري للكنيسة الكاثوليكية
وسط أبناء جبال النوبا في العاصمة الخرطوم

جاء اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بأبناء جبال النوبا والجنوبيين في العاصمة الخرطوم بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث قام الحاكم العام الإنجليزي على السودان بطرد المنصرين الكاثوليك من السودان نظرا لتحالف إيطاليا وألمانيا ضد إنجلترا ، ثم سمح لهم بمزاولة عملهم التنصيري بعد انتهاء الحرب ، ومن ذلك الوقت شعرت الكنيسة الكاثوليكية بضرورة الاهتمام بأبناء جبال النوبا الذين بدأوا يفدون إلى الشمال وخاصة الخرطوم بأعداد متزايدة ، بحثا عن العمل وهروبا من بيئتهم المحلية القاسية فخشيت الكنيسة أن يؤدي اختلاط أبناء هذه المناطق بالمسلمين في الشمال إلى التأثير عليهم وقبولهم للإسلام [١].

لذا بدأت الكنيسة الكاثوليكية مع رصيفاتها من الكنائس الأخرى بفتح أندية للجنوبيين والنوبا في العاصمة والمدن الكبرى التي يهاجرون إليها وإقامة الجمعيات الخيرية والثقافية داخل الكنائس والمدارس في المدن الكبرى التي تجذب هؤلاء المهاجرين إليها ، فقام نادي أم درمان عام ١٩٤٩م بإيواء الطلبة الذين أرسلتهم إرسالية السودان المتحدة من جبال النوبا إلى أم درمان لتعلم فنون الزراعة « وبذلك انقذوا من الفسق والإسلام » ، على حد قول ترمنجهام [٢]، وتبع ذلك قيام نواد مماثلة في مدينة الرصيرص وكوستي وغيرها من المدن الكبيرة لاستقبال هؤلاء

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٤٣ .

(٢) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، ص٢٨.

المهاجرين ووضعت استراتيجية لاستيعابهم وفق محورين :

١ ـ استقطابهم عن طريق الأندية وتقديم الخدمات التعليمية بلهجاتهم المحلية وبالعربية العامية ، في فصول تقوية ومدارس للأطفال ومافوق هذين المستويين .

٢ ـ تجميعهم حتى لا يذوبوا في المجتمع الشمالي المسلم ، واعداد مجموعة ليصبحوا دعاة للكنيسة وتدريب بعضهم تدريبا مهنيا وفنيا .

ولما كانت الخدمات الاجتماعية كالعلاج والتعليم وغيرها ليست كافية لإحداث حركة التغيير مالم يتم ربطها بالكنائس المحلية ، فقد نشطت حركة بناء الكنائس والطباعة وإصدار النشرات وإنشاء معاهد تدريس اللاهوت وتخريج المؤهلين منهم علميا ، واستمر هذا النشاط وسكتت عنه الحكومة ولم تتم مواجهته في ظروف الاستقلال أو مابعده وفي عام ١٩٦٤م حدثت المواجهة بين الكنيسة والحكومة بسبب النشاط السياسي للمبشيرين الأجانب فقامت الحكومة بطردهم جميعا [١].

ثم بدأت حركة انطلاق واسعة في العمل التنصيري بعد اتفاقية أديس أبابا عاصمة إثيوبيا عام ١٩٧٢م وذلك لأن الكنيسة كان لها دور بارز في الاتفاقية والوساطة بين الحكومة والمتمردين المسيحيين فأرادت قطف ثمار تلك الجهود ، حيث تم تبادل التمثيل الدبلوماسي بين السودان والفاتيكان عام ١٩٧٢م [٢].

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٤٤ .

(٢) انظر هذا المبحث ص١٣٩ ، اتفاقية أديس أبابا .

ومنذ ذلك الحين أخذت الكنيسة في التوسع الأفقي والانتشار في مناطق جبال النوبا والجنوب ومناطق السكن العشوائي بالعاصمة الخرطوم حيث تسكن مجموعات كبيرة من المهاجرين من أبناء جبال النوبا وجنوب السودان وهذه الأحياء تعاني نقص الخدمات والفقر حيث يسهل التأثير عليهم ، ويلاحظ اهتمام المؤسسات الكنيسة المتزايد بهذه المناطق ، إذ لا يخلو حي من هذه الأحياء من نشاط تنصيري [١] وبالطبع فإن مثل هذه المجموعات التي يتملكها الإحساس بالغربة والإهمال يسهل التأثير عليها ، لأنها تكون طيّعة في أيدي الذين يقدمون لها العون ومن ثم يسهل توجيهها وتوظيفها ، كما قامت الكنيسة بزيادة فعالية مؤسساتها القديمة من كنائس ومدارس لخدمة الأغراض التنصيرية ومخاطبة أكبر عدد من الناس من خلال ثلاثة منابر هي :

١ ـ المؤسسات التعليمية الكاثوليكية .

٢ ـ الكنائس الكاثوليكية ودور العبادة .

٣ ـ المؤسسات الصحية والتجارية .

ويتركز معظم المهاجرين من جبال النوبا إلى العاصمة القومية في الأحياء التالية [٢] :

١ ـ حي مايو : ويقع جنوب الحزام الأخضر أي جنوب مدينة الخرطوم ويمتد من الشرق إلى الغرب عدة كيلو مترات .

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٤ .

(٢) هي مناطق السكن التي أقامها النازحون حول العاصمة الخرطوم وفي أطرافها وتفتقر إلى التخطيط والخدمات الضرورية ، وهذه الأحياء تعتبر إحدى إفرازات الجفاف والتصحر والحرب الأهلية التي حلت ببعض أقاليم السودان ، فدفعت هؤلاء إلى الهجرة من مناطقهم .

٢ - منطقة القمائر : وتقع في مدينة أم درمان على الضفة الغربية لنهر النيل ويحدها غربا وجنوبا حي الهجرة وكلية التربية جامعة الخرطوم .

٣ - الحارة « ١٤ » أمبدة : وتقع في الجزء الجنوبي لمدينة أم درمان الجديدة .

ومعظم المهاجرين من النوبا إلى العاصمة يعملون بالقوات النظامية وعمال مجاري البلدية ، وكذلك يعملون في إدارة الآلات الصناعية بالمنطقة الصناعية بالخرطوم ، ويعملون بالوحدات الصحية المختلفة .
وسنتطرق هنا - بإذن الله - إلى النشاط الكنسي في هذه الأحياء الثلاثة :

النشاط الكنسي في حي مايو :

يبلغ تعداد السكان النوبا في الحي نحو خمسة آلاف نسمة ، تقريبا ويشاطرهم السكن في الحي قبائل أخرى مثل الدينكا والقرعان والفلاتة [١] .

وبالحي كنيسة تقع على مساحة كبيرة تقدر بثلاثة أفدنة ومسورة بالخرصانة المسلحة ، وتضم الكنيسة فصلين شيدا بالمواد المحلية الخفيفة كالخشب وجريد النخل ، كما توجد ثلاثة فصول أخرى بنيت بالمواد الثابتة « الطوب والاسمنت » بالاضافة إلى مكتب ومخزن ومزيرة كبيرة ودورة مياه وميدان واسع لكرة القدم ، وقد زودت الكنيسة بمولد

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٦ .

كهربائي ضخم ، ومؤسس هذه الكنيسة يعقوب مشوتي ، وللكنيسة وقف يتكون من مستودع للمياه «صهريج» ومضخة كبيرة ترفع الماء إلى المستودع الذي توزع منه الماء عن طريق البيع ويحمل الماء على الدواب «الحمير» إلى داخل الحي ، والدخل اليومي لوابور الماء الدونكي يصرف على العاملين بالوابور وعلى شراء الوقود لتشغيل المضخة ، وقطع الغيار بالاضافة إلى مرتبات المدرسين والعاملين بالكنيسة . وينفق منها أيضا على المساكين والضعفاء من المسيحين واستئجار مساكن لغير القادرين وإعانات للعجزة .

ويبلغ عدد الأطفال الذين يترددون على الكنيسة للصلوات يومي الأحد والجمعة من كل اسبوع حوالي (٧٥) طفلا تتراوح أعمارهم من ٥ إلى ١٠ سنوات ، كما يبلغ عدد الكبار الذين يحضرون الصلاة في الكنيسة حوالي عشرين شخصا معظمهم من النساء ، وتعج الكنيسة بالرواد أيام عيد الميلاد «الكريسماس» حيث تمتلئ ساحة الكنيسة حتى يقف الناس خارج الأسوار وهناك فكرة لفتح مركز للنساء لتدريبهن على حياكة الملابس ، كما توجد سبعة صفوف دراسية بالكنيسة وهناك ستة فصول مسائية للكبار أثناء العام الدراسي بكل فصل خمسين دارسا ودارسة [١].

أما عن الخدمات الصحية ففي يوم الأحد والجمعة من كل اسبوع يأتي طبيبان وثلاث ممرضات للكنيسة لتقديم كشف مجاني وأدوية لكل الناس كما تقدم الكنيسة لبنا اسبوعيا ، للأطفال الذين تقل أعمارهم عن خمس سنوات .

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٧ .

٣ ـ النشاط الكنسي في منطقة القمائر :

أغلب النوبا الذين يسكنون حي القمائر سكنوا العاصمة من قبل وكانوا في بيوت إيجار ثم رحلوا إلى القمائر ، والحالة الثانية أنهم قدموا ليسكنوا مع أهلهم وأقاربهم ويبحثوا عن عمل ، إما عن طريق الأقارب إذا كان المهاجر غير محترف ، أو عن طريق أصحاب المهنة إذا كان محترفا وعن طريق البحث في أماكن العمل في حالة الخدمة المنزلية .

توجد رابطة لأبناء جبال النوبا ولها ناد في الطرف الجنوبي من حي « الحفر » إحدى حارات القمائر ، مساحته حوالي (٤٠٠ م٢) وبداخله غرفة واحدة من المواد المحلية « الطين » وبقية السور فراغ واسع . ويحمل النادي اسم نادي الجمعية الخيرية : ثقافي - رياضي - اجتماعي ، يصل عدد رواده إلى (٥٠٠) شخص في بعض الأحيان ولهم أثر سياسي في الانتخابات القومية وبه لجان الخدمات ، ويقدم النادي برامج وندوات وفيه مدرسة صباحية للأطفال ليس لها منهج وغير منتظمة وتركز على تعليم مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية أكثر من أي شيء آخر ، وهناك بعض خريجي الجامعات يرتادونه في بعض الأحيان وفي الأمسيات يستخدم مكانا للسهر والتعبئة السياسية على حسب الظروف ويخدم النادي أهدافا قبلية ، والهدف القبلي هو المحافظة على التميز وعدم الانصهار في البيئة الجديدة [١].

أما النشاط الكنسي فلا توجد بالمنطقة كنيسة قائمة ولكن يتمثل في زيارات اليونسيف للمنطقة ، وتقديم الخدمات الطبية للنساء

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٤٣ .

والأطفال وتوزيع بعض الأدوية والهدايا ، وكان موقع عملهم بالقرب من سكن المسيحين .

وكذلك يتمثل هذا النشاط في دروس ومساعدات طبية ومادية تقدم فقط للمسيحين في أيام الآحاد والعطلات الرسمية في منطقة تجمع المسيحين شرق سور مباني كلية التربية ، وهناك محاولة لتجميعهم في هذه المساحة ، وكل المدرسين والأطباء والإداريين يقطنون خارج القمائر ويأتون بسيارات ويتراوح عدد القادمين كل مرة بين ٦ إلى ١٠ أشخاص لتنفيذ هذه البرامج .

أما الصلوات والترانيم فيؤديها النصارى بكنيسة حي الملازمين وآخرون يذهبون إلى شارع الشنقيطي في أم درمان الثورة .

الحارة «١٤» أمبدة :

يشكل النوبا ٦٠٪ من سكان الحارة وأكثرهم من قبائل النيمانج ثم تليها قبيلة الكواليب ، ثم قبائل كادوقلي وهيبان وليس بالحارة كنيسة ولكن بها ناد مسيحي يقوم بالخدمات والأنشطة الثقافية وجذب القادمين الجدد بواسطة ذويهم المنتمين أصلا للنادي ، كما خططت قطعة أرض لبناء كنيسة وجمع لها المال والآليات اللازمة [١].

والنصارى يذهبون إلى الكنيسة كل يوم أحد بصورة منتظمة وبعد الذهاب إلى الكنيسة يمضون بقية اليوم في الحدائق ، ويذهبون لكنيسة الإرسالية التبشيرية بأم درمان وبعض الشباب يتلقى فيها دروسا مسائية وبها عيادة تستقبل مرضاهم .

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٩ ـ ٤٠ .

كذلك يوجد عدد من أبناء منطقة جبال النوبا متفرقين في أحياء العاصمة الأخرى تحاول الكنائس في الأحياء المتفرقة متابعتهم والاهتمام بقضاياهم وبذر بذور النصرانية في عقولهم من خلال ما تقدمه لهم من خدمات .

٧ ـ النشاط الكنسي في منطقة هيبان :

تعتبر هيبان من أول المناطق التي فكرت فيها الكنيسة إذ أسست كنيسة هيبان الإنجيلية عام ١٩١٩م ثم تلا ذلك تأسيس كنيسة كبا ، ثم كنيسة كودة وكنيسة كيرة ، وأخيرا كنيسة كرندي [١].

وهذه تمثل أعرق الكنائس في المنطقة، وقد استمرأت الكنائس غفلة الحكومات الوطنية فتكاثرت بصورة فلكية مدهشة حتى بلغ عددها الآن حسب إحصاء السلطات المحلية سبعا وثلاثين ومئة كنيسة [٢] يشرف عليها عدد مماثل من المنصرين ويرأس كنيسة هيبان القس آدم كوكو كافئ ، الذي درس اللاهوت في نيجيريا مدة سبع سنوات ، وقد أخذ عدد من أبناء الجبال في بعثات تدريبية في اللاهوت خارج السودان من بينهم نائب رئيس كنيسة هيبان الذي يتدرب في مصر [٣].

وتقوم العناصر الكنسية في المنطقة بمعارضة النشاط الإسلامي بشدة ، ومضايقتها لعدد كثير من المسلمين ، منها إشاعات دفعت بعضهم إلى الهجرة من المنطقة ومنها التخويف بالمنشورات ، كما تقوم الفتيات

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٢ .

(٢) تقرير عن العمل الكنسي في جنوب كردفان بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ ، مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة .

ـ انظر د . حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٢ .

(٣) حسن مكي ، ص٢٢٢ .

النصرانيات باجتذاب أبناء المسلمين وإغرائهم بالزواج وغيره ، كما يقوم النصارى بالدخول على المسلمين في منازلهم ودعوتهم للنصرانية وتقوم الكنائس بأداء الطقوس والصلوات يوم الأحد وإقامة المهرجانات وتشجيع الأنشطة التعاونية والمزارع الجماعية التي يعود جزء من دخلها للكنائس .

وبعد إعلان تطبيق الشريعة في السودان إزداد النشاط التنصيري حيث حاولت الكنائس أن تشعر المسيحين بأن الدولة تعمل ضدهم مما أوجد نوعا من الترابط وسطهم ودفعهم إلى رفض قانون الهيئات التبشيرية لسنة ١٩٦٢م زعما بأنه يقيد حركتهم وقد صرحوا بذلك في خطبهم (١).

كنائس قرية الأزرق :

قرية الأزرق واحدة من القرى الكبيرة التابعة لريفي هيبان وتعتبر منطقة سوق للقرى الأخرى تضم هذه القرية خمس كنائس تابعة للكنيسة الإنجيلية أربع منها في داخل الحي ، والخامسة على رأس الجبل الذي يشرف على الحي ، وقد أنشئت هذه الكنائس من غير ترخيص كعادة أكثر الكنائس بالمنطقة . سكان القرية من قبيلة أطورو ، وأكثرهم مسلمين ، وبالقرية مسجد لا إمام له وملحق به خلوة «كتاب» لتحفيظ القرآن يؤمها عدد من الطلاب دون جدوى .

وبالقرية مدرسة ابتدائية مديرها مسيحي ومعه مدرسان مسيحيان وأحيانا يكرهون الطلاب المسلمين على دراسة المسيحية

---

(١) حسن مكي ، ص٢٢٣ .

ومدرس التربية الإسلامية يعتمد على الجلد والعقاب في التلقين مما دفع أربعة طلاب من المسلمين إلى اعتناق النصرانية خوفا من الحفظ وبطش الأستاذ [١].

أهم المناشط :

تركز هذه الكنائس على النساء والأطفال وتوزع عليهم العطور والساعات والأدوات المنزلية بالإضافة إلى الترانيم والصلوات .

ويجتمع المسلمون والمسيحيون في عيد الميلاد « الكريسماس » والمناسبات الكنسية الأخرى حيث تعد لهم وجبات أكل دسمة والنصارى في القرية أكثر وعيا وتعليما من المسلمين ، ومعظم المبشرين تلقوا دورات تدريبية في الخرطوم وخارج السودان .

في المنطقة حالات تنصر كثيرة خصوصا وسط نساء المسلمين وذلك نتيجة لزيارات المنصرين للنساء في غياب أزواجهن ، وهذا يخالف قانون الهيئات التبشيرية لسنة ١٩٦٢م ، كذلك تنصر عدد من شباب المسلمين بفعل إغراءات فتيات الكنيسة اللائي تخصصن في مثل هذا النوع من العمل .

قرية أبرة ريفي هيبان :

في هذه القرية ثلاث كنائس أسقفية هي :

١ - كنيسة أورلي .

٢ - كنيسة جر .

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٧ .

٣ - كنيسة الدبة .

وقد وضعت هذه الكنائس في الأماكن المهمة من القرية « محطة الشاحنات والناقلات المختلفة » وبالقرب من المدارس وكل هذه الكنائس مبنية بالمواد المحلية ومجهزة كغيرها بالكتب وملحق بها مخازن للغلال والأغذية .

أنشطة هذه الكنائس :

تشمل إقامة الطقوس الدينية والمهرجانات والكرنفالات الشعبية « النقارة » ، وتوزيع الأغذية والملابس وانتخاب عدد من الطلاب النابهين للدراسة بمدارس الكنيسة بالأبيض والخرطوم .

كما تقوم هذه الكنائس بتوزيع الإنجيل المطبوع باللهجة المحلية .

من ناحية عامة يتميز نفوذ الكنيسة ونشاطها في المنطقة الوسطى دلامى - عبري - هيبان - أم دورين والبرام » بالتنامي والاتساع بينما يتحرك الإسلام بوسائل بدائية وأساليب تجاوزها الزمن وبغير جهد منظم باستثناء بدايات عمل منظمة الدعوة الإسلامية التي أسست في العاصمة كادوقلي ولها فرع في مدينة الدلنج ومازال ينتظرها الكثير لتنطلق إلى الريف ، هذا بالإضافة إلى دخول بعض المؤسسات الإسلامية إلى الساحة حديثا في هذه السنة مثل مؤسسة موفق الخيرية والبر الدولية .

هذا وأكثر ما تخشاه الكنائس هنا هو انفتاح هذه المنطقة على بقية أنحاء السودان وشيوع التعليم الحكومي فيها ، ودخول وسائل الاتصال الحديثة والإعلام ، ولذلك تحرص على جو العزلة والتخلف ، وهناك مايفيد بأن التوتر الأمني الذي تشهده المنطقة حاليا ، إنما مرده

لهذه الأسباب ، إذ أن حركة المتمردين في المنطقة تهدف إلى قطع الاتصال الثقافي والتجاري والاجتماعي وعزل المنطقة عن بقية أنحاء البلاد .

إن السكان المسلمين في هذه المنطقة يحسون بأن هناك أمرا يدبر ضدهم وضد أمن البلاد ، وما من قرية من قرى هذه المنطقة إلا ونكبت باختطاف أحد أبنائها المسلمين بينما ينصرف النصارى إلى أعمالهم بطمأنينة ، بل شاع أن قسيس الكنيسة الأرثوذكسية في الرقيقي ريفي كادوقلي اختطف من كنيسته في ١٩٨١/٦/٩م ، ولم يظهر له أثر حتى اليوم لرفضه المشاركة في مخطط التصفية الدموية للمسلمين ، وقد ظهرت آثار هذا المخطط بصورة واضحة في «الليرى» التي دخلها المسلمون من اتباع ما يسمى بجيش حركة تحرير السودان . وتجلت أخيرا كذلك في مأساة «القردود» التي قتل فيها ما لا يقل عن ١٦٩ شخصا معظمهم من العرب والنوبا المسلمين [١].

إن المسلم في هذه المنطقة يفتقد الأمن على حياته وممتلكاته ويفتقر إلى الدعوة الإسلامية التي تجدد له دينه ونشاطه في وسط هذه الشبكة من الكنائس التي تحيط به من كل جانب .

وبناءً على تقارير منظمة الدعوة الإسلامية والسلطات المحلية وما تم جمعه من معلومات خلال الاستبانات وغيرها يظهر أن عدد الكنائس العاملة في المنطقة كالآتي [٢] :

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢١٨ .

(٢) تقرير عن العمل الكنسي بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ ، مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة الخرطوم .

- انظر المشروع التنصيري في السودان ، حسن مكي ، ص٢١٣ - ٢١٤ .

١ - كنائس جنوب كادوقلي [تبانيا - طروجي - كاتشا - البرام] وعددها (١٢) كنيسة .

٢ - كنائس ريفي أم دورين وعددها (٧) كنائس تفاصيلها كالآتي :

- كنيسة أم دورين الإنجيلية .
- كنيسة قصر الحجر الكاثولوكية .
- كنيسة الليو الأرثوذوكسية .
- كنيسة أم غربان الإنجيلية .
- كنيسة أبو ليلة الإنجيلية .
- كنيسة القردود الإنجيلية .

٣ - كنائس أم جبر الله وعددها (٧) كنائس ثلاث كنائس إنجيلية وثلاث أسقفية وواحدة كاثولوكية وهي :

- الكنيسة الأسقفية .
- كنيسة أم حزام الأسقفية .
- كنيسة الليو الإنجيلية .
- كنيسة أم انجبار الأسقفية .
- كنيسة طبلانق الإنجيلية .
- كنيسة شيخ الحمادي الإنجيلية .
- كنيسة شيخ الحمادي الكاثولوكية .

٤ - كنائس ريفي عبري ودلامي وعددها (١٤) كنيسة إنجيلية بالاضافة إلى كنيسة كدبر الكاثولوكية .

٥ - كنائس جبل تلشي وعددها ثلاث كنائس .

٦ - كنائس مجلس ريفي هيبان الذي يضم ثلاثا وثلاثين قرية ، وعددها (١٣٧) كنيسة ، منها (٦٥) كنيسة إنجيلية و (٤٠) كنيسة أسقفية

وخمس كنائس كاثولوكية وعدد (٢٧) كنيسة غير مصنفة ، وأكثر هذه الكنائس بني بطريقة عشوائية دون إذن من السلطات المختصة.

وعملها الرئيسي الآن غطاء التمرد ودعمه وتهيئة مخابئ للجيش المتمرد في المنطقة لأن أكثر السكان هجروا الأرياف بسبب جحيم الحرب الدائرة هناك .

٧ ـ كنائس مجلس منطقة أندولو وعددها (١٦) كنيسة منها (٦) كنائس إنجيلية ، وست كنائس أسقفية ، واثنتان كاثوليكيتان وواحدة بروتستانتية وواحدة قبطية .

٨ ـ إضافة إلى الكنائس في المدن الكبيرة كادوقلي وبها ثلاث كنائس واحدة كاثوليكية وأخرى بروتستانتية والثالثة قبطية وقد مر الحديث عنها ، وبالدلنج كنيستان كاثوليكية وبروتستانتية .

هذا عرض مبسط لأنشطة وعمليات الكنائس في المنطقة ، وما يدعمها من منظمات طوعية وأجنبية اتخذت من العمل الإنساني ستاراً لها ، لتنفيذ أهدافها التنصيرية . وقد تبين لنا مدى كبر حجم الإمكانيات التي تتحرك من خلالها هذه الكنائس والمؤسسات في أداء مهمتها ، فهي إن لم تنجح النجاح الكامل في تنصير الأهالي ، فإنها تعمل بفعالية لإبعادهم عن الإسلام وصدهم عنه ، وإبقائهم على الوثنية حتى لايدخلوا في دين الله أفواجا ومع هذا فقد رصدت بعض حالات التنصر لأناس مسلمين في وسط عرب البادية أثناء فترة الجفاف والمجاعة

التي ضربت المنطقة في عام ١٩٨٤/١٩٨٥م [1].

كما رصدت ثلاث حالات أخرى تنصر فيها ثلاثة من طلاب المرحلة المتوسطة المسلمين بريفي كادوقلي ، وذلك لتفضيلهم أسلوب التحرر والإختلاط مع البنات الذي تمارسه الكنيسة .

---

(١) مقابلة مع الشيخ : حامد عبد الرحمن الحمدابي بتاريخ ٤ / ٣ / ١٤١٣ هـ ، موظف بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والمدير السابق لمكتب أوقاف كادوقلي وإمام وخطيب مسجد بالجريف شرق .

- حسن مكي : المشروع التنصيري ، ص٢١٥ .

المبحث الرابع

النشاط الفردى

نشاط الأب دانيال كمبونى التنصيرى في جبال النوبا :

واجهت الديانة النصرانية منذ بدايتها اضطهاداً شديداً من قبل الحكام الرومان أنذاك ، ولاقي أتباعها أشد أنواع التعذيب والتنكيل [١]. وكان وقتها يتم الدخول في النصرانية بالحجة والإقناع . ولما تنصرت الدولة الرومانية عملت على نشر النصرانية بالقوة ، ومن بعدها الاستعمار الحديث . ولكن بقيت أيضا هنالك بعض الحملات التنصرية السلمية التي يقوم بها أفرادها ، حباً منهم لنشرالدين ، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سام . ولعل الأب دانيال كمبونى [٢] كان من أولئك القلائل الذين قاموا بالتنصير ، لاعتقادهم بأنهم يقومون بعمل سام . إذ أن المطران كمبونى قد صرف جهده للتنصير في إفريقيا والسودان ومنطقة جبال النوبا بصفة خاصة .

اشتهر المطران كمبونى في السودان من خلال تلك المدارس الكنسية المنتشرة في الخرطوم والأبيض وغيرها من مدن السودان المختلفة ، تلك المدارس التي سميت باسمة تخليداً لذكراه .

في سنة ١٨٥٤م ، وصلت إلى الخرطوم أول دفعة من القساوسة من كلية « مازا » الإيطالية - النمساوية أنذاك ، لتأسيس مركز لها يحمل اسم كليتهم ، وذلك في حدود النيابة الرسولية لأواسط إفريقيا .

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديثة ، ص٤٣ .

(٢) للتعريف بكمبوني انظر : المبحث الثالث من الفصل التمهيدي في هذا البحث .

وقد توفي أحدهم بعد وصوله إلى الخرطوم بقليل وتمكن الآخر الذي اسمه الأب << بلترامه >> أن يكتشف منطقة نهر السوباط وأعالي النيل الأزرق . ثم حط الرحال في منطقة أعالي النيل الأبيض بجنوب السودان وعاد إلى أوروبا ليستصحب معه آخرين من أعضاء كليته ورجع إلى السودان في عام ١٨٥٧م ، وكان يقود دفعة أخرى من زملائه من بينهم المطران دانيال كمبونى . وصلت هذه الدفعة إلى جنوب السودان وهناك تحت وطأة ظروف السودان الصعبة مات اثنان منهم ، أما الأب دانيال كمبونى فقد اضطر للعودة إلى بلاده عام ١٨٥٩م لتدهور صحته . وكان قد تعهد أمام أحدهما وهو على فراش موته ، بأنه لن يتخلى عن مهمة غرس الصليب في هذه الديار ، وأن الخيار أمامه إما رفع الصليب في إفريقيا أو الموت . فقرر حينذاك أن يكرس بقية حياته للعمل من أجل الأفارقة على كل حال [١].

وقد ولدت تلك الزيارة في نفس كمبونى رغبة جامحة لمواصلة العمل التنصيري في السودان . وظل يفكر في أحسن الطرق والإمكانات لإعادة العمل التنصيري في تلك البلاد . فبعد أن قضى فترة الراحة والاستجمام في بلدته أبحر إلى الاسكندرية وعدن وغيرها من الموانئ والمدن في سواحل إفريقيا ليختار صبياناً من الأفارقة الأذكياء لينقلهم إلى كلية << ماز >> في إيطاليا وغيرهامن المعاهد الخيرية حسب زعمه لينالوا تربية تنفع مواطنيهم إذا ماقرروا العودا إلى أوطانهم .

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديثة ، ص٢٣٣ .

- انظر حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢ .

عاد كمبونى إلى السودان مرة أخرى في عام ١٨٦٤م وهو يحمل خطة جديدة رسمها لذلك الغرض . وعبر عن تلك الخطة في كتيب نشره في السنه ذاتها عام ١٨٦٤م . وقد بنى تلك الخطة على نظرية مفادها أن اعتناق الوثنيين الأفارقة للمسيحية لايمكن أن يتم إلا بواسطة قسس من بني جلدتهم يتعلمون ويتدربون لهذا الغرض [١].

وكان يقول في ذلك : << طالما كان أبعد من المستحيل أن يعيش المبشرون البيض ويعملوا في أعماق إفريقيا ، فلنقم إذن المعاهد على أرض السودان التى ستمكننا من تعليم الشباب الإفريقي من الجنسين وغرس العقيدة المسيحية فيهم ، بحيث يرتقون في سلم التعليم والتمدن دون ان يصبحوا أوروبيين ، ثم نقوم بإرسالهم من بعد إلى قبائلهم في الأحراش وقد نالوا حظاً من التعليم والتدريب الذي يؤهلهم للعمل معلمين وملقنين ، وسوف يتم توفير التعليم العالى للعناصر الأكثر كفاءة ، والمأمول أن يتسلموا مقاليد القيادة في بلادهم ، وسيجىء اليوم الذي يصبح للأفارقة قساوستهم ومطارنتهم من بني جلدتهم [٢].

وشرع كمبونى في إعداد خطتة <<إنقاذ إفريقيا بالإفريقيين >> وكان يرى أن التعليم خير وسيلة لنشر النصرانية بين الإفريقيين . لهذا رأى أن يعود ويعلم الأفارقة الطريق المناسبة التي تمكنهم من نشر الانجيل الطاهر بين مواطنيهم علي قدر قواهم وفي إطار تقاليدهم . ومن أجل ذلك طاف بجميع العواصم الأوروبية معلناً عن خطتة داعياً إليها إلاأنه وجد معارضة من بعض الناس وراح يعتق ويحرر البنات والأولاد

---

(١) محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان ، ص٣٥ .

(٢) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٣ .

الأفارقة ويأخذهم إلى أوروبا أو القاهرة لبعض المؤسسات التعليمية التى أسسها ليعلمهم هناك [١].

وتحقيقاً لهذا الغرض فقد تم انشاء معهدين للتبشير النصرانى في مدينة ‹ فيرونا › بإيطاليا عام ١٨٦٨م . أحدهما لتعليم وتدريب القسس السود على العمل التبشيري في إفريقيا ، والآخر للأمهات الصالحات لأرض السود ، أى لتدريب الراهبات . كما أسس كمبونى معهدين أخرين للشباب السودانيين في القاهرة :أحدهما للبنين والآخر للبنات ، وفي عام ١٨٧٢م عين قداسة البابا بيوسع التاسع الأب دانيال كمبونى نائباً رسولياً ورئيساً لإرسالية أواسط إفريقيا وأعطاه السلطة لإعادة فتحها [٢].

وفي عام ١٨٧٦م افتتح كمبونى مركزا في القاهرة لتعليم القساوسة اللغة العربية ولتوطينهم وتأهليهم على تحمل مصاعب السودان ، وقد خرج هذا المركز ‹ ١٧ › مبشراً واصلواعملهم في السودان دون خسائر في الأرواح [٣] . أما المناهج التى تدرس لهؤلاء الدارسين في معاهد التنصير والذين يريدون أن يعملوا في هذا المجال ، فهى مناهج تقوم على أسس خاصة ، مبنية على تصوير روح الشرق المسلم بأبشع الصور التى ينفر الطبع منها ، وهى تصوير الشرق بصورة من التأخر والسوء تحمل طالب التبشيرعلى أن يندفع فى مهمتة اندفاعا أعمى . ولقد أوجدت مدارس لهذه المهمة منذ زمن بعيد في روما وباريس

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية السودانية الحديثة ، ص٣٦ .

(٢) محمد عمر بشير : تطوير التعليم في السودان ، ص٥٤ .

(٣) المصدر السابق ، ص٣٦ .

وطليطلة بأسبانيا وهي بالإضافة إلى مناهجها هذه تعطى الطلاب تدريباً عسكرياً للتنصير بالقوة [١].

عاد كمبونى إلى السودان هذه المرة وهو رئيساً لإرسالية أواسط إفريقيا ويقود معه دفعة من المرسلين المساعدين له ، وكان في صحبته اثنان من الأفارقة الذين تخرجوا من كلية ‹ مازا › ومن القاهرة [٢] واختار كمبونى هذه المرة مديرية كردفان مركزاً لنشاطه بدلاً من الجنوب وذلك لسهولة الموصلات بينها وبين الخرطوم ، ولتوفر الأمن فيها أكثر من الجنوب بجانب هذا فهو كان ينوي تطوير الصلة بين الإرساليات الرومانية ‹ الكاثوليكية › وحوض النيل [٣]. وكردفان تعتبر المدخل الرئيسي لجبال النوبا ‹ الوثنية › التي كان كمبونى ينوي تطوير عمله فيها . إذ يعتبر النصارى أن جبال النوبا تمثل الحد الفاصل بين جنوب السودان ‹ الوثني › على حسب زعمهم وشمال السودان ‹ المسلم › فلذلك كان تطويرالعمل في منطقة كهذه يعتبر في غاية الأهمية . حتى لايتخطى العرب المسلمون هذا الحاجز إلى الجنوب.

وكانت الخطة التى وضعها كمبونى لمزاولة العمل التبشيري بين القبائل الجنوبية تقضي بالتركيز أولاً على منطقة جبال النوبا بمديرية كردفان ثم ينقل العمل تدريجياً إلى المديريات الجنوبية [٤].

---

(١) مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٤٧ .

(٢) ج . فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٢٣٧ .

(٣) محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان ، ص٥٥ ، مرجع سابق .

(٤) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص٤٥ .

وكان اثنان من القساوسة قد ذهبا إلى الأبيض منذ عام ١٨٧١م ليؤسسا فيها مدرسة وكنيسة لأداء عملهما هناك بأمر الأب كمبونى وكانت المدرسة هى المدرسة الصناعية بالأبيض وهى الأولى من نوعها في القطر في تلك الفترة . كما أن الكنيسة كانت هى الأجمل من نوعها في فن المعمار في إفريقيا قاطبة . وبدأ العمل في جبال النوبا التى لم يسبقهم إليها أحد من التجار من قبل [١]. وبدأ كمبونى عمله في جبال النوبا بتأسيس مزرعة نموذجية في قرية ‹ ملبس › mulbas جنوب غرب الأبيض . جمع فيها كمبونى عدداً من الاسر من النوبا وجعل لهم منازل من الأكواخ لكي يعملوا في الزراعة بعد أن وزع عليهم قطع الارض وعمل وعلى تدريبهم على فنون الزراعة . وكان المطران كمبونى يهدف من تجميع هذه الأسر في القرى البعيدة عن المراكز السكانية والمعزولة إلى عزلهم وإبعادهم تماماً عن المؤثرات الإسلامية والعربية . وحشدهم هناك حتى يتم صهرهم وإعدادهم عقلياً ونفسياً لتقبل النصرانية [٢].

كذلك قام المطران كمبونى بإنشاء قرى كنسية للنصارى الجدد من أبناء الجبال في مناطق منعزلة وبعيدة حتى يبعدهم عن المد الإسلامي ومؤثراته. وكان في ذهن كمبونى أن تنمو هذه المستوطنات والقرى بالمدد والعون الأوروبى حتى تصبح مراكز تجارية كبيرة يديرها القساوسة والراهبات ، وتصبح مراكز استقطاب روحى وتجارى

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٣٧ .

- انظر حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٤ .

وبعدها تأتى الخطوة الثانية لتنصير المسلمين . وكان كمبوني يعتقد أنة أذا أكمل هذا المشروع فإن < < قوى الشر - اى الإسلام - ستفقد سيطرتها على المسلمين ، وعلى الأخص في تلك المناطق التى لم تتلوث بعد بالإسلام - على حسب قوله >> ومضى قائلاً :<< لقد قمت والمهابة تفيض علي بتعميد أربعة عشر شخصاً منهم الوثني والمسلم وأكثر ماسعدت به بين كل تجاربي ، حينما قمت بتعميد فتاة مسلمة عمرها ١٤ عاماً ، وهى ابنة لزوجة القائد السابق لحاميتى كردفان ودارفور إذا جاء هذا التعميد بعد إلحاح مستمر دام خمس سنوات على والدتها غير المتعلمة لترضخ بقبول تعميد ابنتها ، وأجريت مراسيم التعميد في العلن وبحضور القنصل النمساوي .. إن مايهمني فقط هو أن تتنصر إفريقيا [١].

إن الناظر لتاريخ هذا الرجل يجده قد أفنى عمره وجهده وعصارة فكره في خدمة النصرانية والتنصير ، ولم يأل جهداً في خدمة هذا الدين الباطل ، وصبر على الصعاب والشدائد وقسوة طبيعة المنطقة من أجل تحقيق أهدافه التى يؤمن بها .

وقد وصف كمبونى بأنه كان رجلاً ممتلئاً حيويةً ونشاطاً وكان يؤمن بمبدأ التفاعل المباشر مع المجتمعات الوثنية ، كما كان ذا نشاط وطاقة عالية وقدرة على تحصيل اللغات ، مما مكنه من إنجاز قاموس في لغات جبال النوبا ، وقام بإعداد دراسات في لغات قبائل الدينكا والباري في جنوب السودان [٢] ويظهر نشاطه وطاقته في إنشائه لقرية

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٢ .

« ملبس » الزراعية النموذجية والقرى الكنسية الأخرى التي أراد لها أن تصبح مجتمعات تنصيرية .

إن إنشاء قرية ملبس الزراعية وماشابهها يعد واحدا من وسائل التنصير في العالم العربي والاسلامي ، فقد شهد لبنان في هذا القرن قيام ماسمي بـ « مشروع انعاش القرى » والذي كانت تقوم به الجامعة الأمريكية في بيروت ، وكان تجمع له الأموال عن طريق الحفلات والتبرعات ، وربما جند له الشباب ذكورا وإناثا ، وعلى الأخص من المسلمين أحيانا وهم لايفطنون لذلك ، ويجري التنصير في مثل هذه القرى بشكل خاص ، حيث يعيش المنصرون مع الفلاحين عيشة فلاحة وزراعة من غير أن يتظاهروا بأنهم منصرون ولكنهم يعيشون في أنفسهم حياة نصرانية ، وهكذا يعتقد هؤلاء أن التأثير النصراني ينتقل من هذه الطريق إلى الفلاحين غير النصارى انتقالا هادئا غير ملحوظ على أن هذه الحياة يجب أن تكون عندهم جزءاً من حركة التنصير العامة [١].

واصل الأب دانيال كمبوني نشاطه التنصيري في كردفان وقام بجولة تمهيدية في جبال النوبا طاف فيها معظم الجبال بمساعدة الجنرال غوردون باشا، بهدف إمكانية انشاء كنيسة إفريقية إلا أن هذه الجولة لم تكلل بالنجاح ، فعاد الكرة مرة أخرى سنة ١٨٧٦م ، وكان في هذه المرة يرافقه بعض المنصرين من الكنيسة الرومانية الكاثولوكية ، والجدير بالذكر أن دانيال كمبوني قد مهد لزيارته هذه وهو في الأبيض قبل أن يتحرك إلى جبال النوبا ، حتى لا تبوء بالفشل كسابقتها ، فاستقبل في

---

(١) مصطفى الخالدي و ٠ عمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢١٥ ٠

يونيو ١٨٧٣م سعيد أغا [١] استقبالا حارا في إرسالية الأبيض ، ثم أعقب ذلك زيارة «الكجور كاكوم» الذي طلب إليه المطران كمبوني أن يزوره في الأبيض فأمضى يوما كاملا في الأبيض في صحبة كمبوني وبذلك ضمن المطران كمبوني السند «السياسي» و«الديني» للعمل في المنطقة وضمن عدم النفور والنكران من النوبا الوثنيين إذ أتى إليهم عبر كاهنهم وزعيمهم الروحي «الكجور كاكوم» وعبر زعيمهم السياسي «سعيد أغا» هذا من ناحية المطران كمبوني ، أما من ناحية «سعيد أغا» و«الكجور كاكوم» فكان كل منهما يريد من استجابته لدعوة الأب كمبوني أن يعزز مكانته بين قومه ويزيد من نفوذه عليهم ومن ثم بعد هذا التمهيد أرسل كمبوني فريقا من المبشرين إلى الدلنج لدراسة إمكانية فتح محطة تبشيرية هناك ، وتحديد المكان المناسب لذلك .

وعلى ضوء التقرير الذي أعده هذا الفريق أنشأ كمبوني محطة للتبشير في الدلنج عام ١٨٧٤م ، بالقرب من منزل سعيد أغا ، ثم طورت المحطة فيما بعد لتصبح مركزا تبشيريا ينشر النصرانية في أنحاء متعددة من جبال النوبا ، وكانت تتكون من كنيسة صغيرة وعدد من الأكواخ لسكن الراهبات وفتيات النوبا، وأخرى لسكن القساوسة والأخوان [٢].

---

(١) سيد أغا : أحد زعماء النوبا بالدلينج ومن الذين لهم نفوذ سياسي كبير في المنطقة وسط النوبا وهو نوباوي الأصل من نوبا الدلينج .

(٢) الأخوان : جمع أخ وهو المسيحي الذي يهب نفسه قرباناً للكنيسة ويؤدي لها أعمالاً عادية كالبناء والإشراف على المنشآت والحدائق وغيره ، المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٧٣ .

وبعد أن اطمأن كمبوني على سير عمل مؤسساته بالصورة التي يرضاها قام بجولة أخرى في جبال النوبا وتفقد خلالها مركز الدلنج وكان يجد في ذلك كل العون من الحكومة التركية عبر ممثليها الأوروبيين في الخرطوم . وقد حاول في هذه الزيارة أن يؤسس مركزا تنصيريا في وسط قبائل الغلفان ، إلا أن قيام الثورة المهدية حال دون إكمال هذا المشروع .

وقد أعطاه الخديوي إسماعيل باشا السلطة المطلقة ليحرر من يشاء من الذين لاقاهم في حالة العبودية في السودان ، بمرسوم خديوي عال ويمنع تجارة الرقيق في كل أشكالها [١] . والحق أن الأوروبيين كانوا يستغلون محاربة تجارة الرقيق في التنصير ونشر النصرانية .

وعندما خلف محمد رؤوف باشا غوردون في منصب حاكم عام السودان أبقى على المسؤولين الأوروبين في أماكنهم تجنبا لإثارة شكوك بريطانيا في نوايا الحكومة الخديوية في مسألة محاربة تجارة الرقيق وأصدر أوامره المشددة إليهم بضرورة الاستمرار في مكافحة الرق والنخاسة بكل همة ، وأرسل خطابا في ١٠ مايو ١٨٨١م إلى المطران دانيال كمبوني في جبال النوبا قائلا : إني لأرجو منك أن تكون مسألة تجارة الرقيق محل عنايتكم بشكل خاص ، وأن تقترحوا العلاج الذي ترونه كفيلا بتلافيها وستجدون مني أقوى سند في تنفيذ أوامر مولاي الخديوي [٢].

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية السودانية الحديثة ، ص٢٣٩ .

(٢) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص٤٨ .

وبعد كوارث المجاعة الكبرى التي أصابت السودان في سنة ١٨٧٨م وفي فيضان النيل الجارف الذي أعقبها في عام ١٨٧٩م الذي عاث في البلاد فسادا كبيرا وخرابا ، ذهب المطران كمبوني إلى أوروبا طالبا المعونة من أجل آلاف السودانيين المنكوبين من الفيضان وعاد ووزع عليهم كل مالديه من مال وتبرعات وأصبح يعرف في ذلك الزمان باسم «المطران أبو السودان» [١].

توفي المطران كمبونى في يوم ١٠ / أكتوبر ١٨٨١م بعد حمى أصابته بالخرطوم وذلك عند رجوعه من رحلة تفقدية قام بها إلى جبال النوبا في فصل الخريف . وهذه كانت هى أخر جولة له فى تلك المناطق . ودفن جثمانه فى حديقة الكنيسة الكاثولوكية أنذاك الواقعة اليوم فى مقر محافظة الخرطوم [٢].

استمرت المراكز والكنائس التى أسسها كمبونى فى أداء رسالتها بعد وفاتة حتى إذا كان عام ١٨٨٢م قامت الثورة المهدية فى السودان والتى أسهمت فى تطويق المد النصرانى فى جبال النوبا ، إذ دمرت جيوش المهدية فى عام ١٨٨٢م مراكز الكنيسة بالأبيض والدلنج وملبس وأسر القساوسة والرهبان والراهبات فى الأبيض ، وبعد ذلك فى أم درمان حيث بقوا رهائن المهدي ومن بعده الخليفه عبد الله التعايشى زهاء العشر سنوات ، وتوفي بعضهم فى الأسر ونجح الباقون فى الهرب إلى مصر فى عام ١٨٩٢م [٣].

---

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ٢٣٩ .

(٢) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٢٣٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٢٣٩ .

وقد كون المبشرون الذين انسحبوا وهربوا من السودان إلى مصر إرسالية أطلقوا عليها << إرسالية السودان فى المنفى >> sudan mission in exle تحت إشراف الأسقف سوجارو ، ثم خلفه الأسقف روفيجو الذي وقع عليه عبئ التفاوض مع اللورد كتشنر وكرومر فى تعويض الإرسالية الكاثولوكية عن أملاكها التى خربها أنصار المهدي [١].

بيد أن التبشير النصرانى ازدهر فى جبال النوبا مرة أخرى بعد إعادة احتلال السودان عام ١٨٩٨م ، إذ استأنفت الكنيسة الكاثولوكية أعمالها فى جبال النوباعام ١٩٠٦م [٢].

ملاحظات على نشاط المطران دانيال كمبونى الكنسي فى جبال النوبا :

إذا نظرنا إلى جهود المطران كمبونى فى عمله التنصيرى فى جبال النوبا يمكننا أن نلاحظ الاتى :

أولاً : كانت مدة عمل المطران كمبونى لاتزيد عن عشر سنوات إذ امتدت من عام ١٨٧١م - ١٨٨١م إلا أنها كانت ناجحة ومؤثرة ، وذلك للطريقة التى اختارها كمبونى ، وهى تنصير الأفارقة عن طريق أبنائهم . وهذه الطريق هى نفسها التى تتبعها الدول الاستعمارية اليوم فى سياستها تجاه الدول النامية أوالتى يعبر عنها بدول العالم الثالث سواء كانت إسلامية أو عربية أو إفريقية . فهي أحكمت سيطرتها على هذه الدول بواسطه عملاء لها من أبناء هذه الدول نفسها ، إذ خلفت بقاياها وربائبها من

---

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني ، ص٥٠ .

(٢) ج . فانتيني ، ص٢٥٧ .

أتباع الاستعمار وجعلت منهم رؤساء وقواداً لتلك البلاد .

فإن المستعمر الأوروبي بشخصه ولونه الأبيض قد خرج من تلك البلاد إلا أن أذنابه من أبناء جلدتنا موجودين يقومون مقامه في خدمة الاستعمار والإمبرالية وينفذون مخططاته لضرب الشعوب بالوكالة .

ثانيا : عمد كمبوني إلى إنشاء المؤسسات والمراكز التنصيرية ليضمن مواصلة العمل بعد ذهابه أو وفاته .

ثالثا : وضع النواة الأولى للكنيسة الكاثولوكية بالسودان من خلال تجميع الأسر السودانية التي تنصرت ورباهم هو وزملاؤه في مدة وجيزة .

رابعا : تركيزه أكثر على العنصر النسائي إذ أن المنصرين في كل المجتمعات التي عملوا فيها خاصة مناطق التخلف الاجتماعي لم ينسوا المرأة ودورها في الأسرة فوجهوا اهتمامهم إليها وجعلوا يعملون في أوساطها ولعل ذلك لأنهم فطنوا إلى أن المرأة هي أول من يستقبل الطفل « الذي يولد على الفطرة » عند قدومه للحياة وهي التي تقوم بتربيته ولها دور كبير في تشكيل طباعه وميوله وبالتالي يمكنها أن تحبب إليه ما ترتضيه هي من دين ، ويزيد من خطورة هذا الدور أن معظم الأسر النوباوية تتصف بالتسامح الديني إلى حد كبير، إذ قد تجد مثلا الأب وثنيا والأم نصرانية ، والابن مسلما دون أن يتدخل أحدهم في شؤون الآخر إلا ما ندر، وفي الحقيقة أن الكنيسة قد فطنت لعالم الأمومة والطفولة فاهتمت به اهتماما

كبيرا فأقامت العديد من رياض الأطفال في كل الكنائس في أغلب مدن المنطقة وركزت عليها .

ولم ينحصر دور التبشير النصراني في الاهتمام بالمرأة في هذا النطاق ، بل أرسلوا الطبيبات المبشرات إلى البيوت والقرى للاتصال بالنساء مباشرة وذلك لاستغلال نفوذ المرأة في الوصول إلى أهدافهم التي يزعمون أنها نبيلة فاستغل المنصرون الممرضات في تنصير المرضى ، لأنهم يرون أن الممرضة لاتعمل على تخفيف الآلام عن المرضى فحسب ، بل تحمل إليهم أيضا رسالة المسيح ، وتقدم لهم الدواء ممزوجا بماء الصليب [١].

ولما كان للتعليم النسائي أهمية خاصة في بناء المجتمع ، أولى المنصرون هذا الجانب عناية خاصة ، وذلك لأن المرأة كما ذكرنا ذات أثر عظيم في التربية أكثر من الرجل فأولوها اهتمامهم الكبير ، فبادر المنصرون بفتح مدارس للبنات في كثير من البلدان ... في مصر والسودان وسوريا والهند ، وبلاد الأفغان [٢].

وكان اهتمام المنصرين بالمدارس الداخلية للبنات أشد وأقوى ذلك لأنهم يرون أن التنصير يكون أتم حبكا في مدارس البنات الداخلية لما يكون فيها من الأحوال المواتية والفرص السانحة ولأن المدرسة الداخلية تفضل على المدرسة الخارجية في أنها

---

(١) مصطفى الخالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٦٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٨٦ .

تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق ، ولأنها تنزعهن من نفوذ حياة البيت غير المسيحية .

خامسا : يلاحظ أن المطران كمبوني قد ركز جهوده أيضا وسط الأشخاص المعوقين والأرقاء ، ولعل تفسير ذلك يعود لسببين هما :

١ - إرضاء الإدارة التركية التي رفعت شعار محاربة تجارة الرقيق آنذاك .

٢ - أن الإنسان الرقيق أو المعتوق غالبا ما يشعر بالظلم والضيم فإذا وجد من يقف بجانبه ويواسيه فلا يملك أن يسلم أمره وانقياده إليه ، وبالتالي يستطيع أن يملي عليه ما يشاء من أفكار وعقائد وغيرها .

ولعلنا نستطيع تفسير اهتمام الكنيسة اليوم بالأطفال اللقطاء والمشردين على هذا النحو ، فاللقطاء والمشردون هم أحوج الناس إلى من يقف بجانبهم ، ويأخذ بأيديهم بيد أن علاقة التبشير بالأرقاء والمعتوقين أمر على خلاف مايبدو في الظاهر فليس المبشرون النصارى بأرأف بالمستضعفين من الدعاة المسلمين ، فالمبشرون بالنصرانية لايريدون نصارى من السود يساوونهم في منزلتهم ولكنهم يريدون أشخاصا يستتبعونهم في استغلال البلاد التي يبشرون فيها ، وهذا أمر ظاهر من مقارنة حال الزنوج الذين يسلمون بحال أولئك الذين يتنصرون ، يقول الأستاذ وسترمان (Westerman) [١] :

---

(١) مصطفى الخالد وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٢٤٤ .

« حينما يعتنق الزنجي الإسلام فإنه يصبح حالا عضوا في هيئة اجتماعية أعلى من التي كان فيها من قبل ، ثم يبلغ بسرعة إلى الشعور بالثقة بنفسه وإلى الشعور بمقامه ، كما يشعر أنه قد أصبح عضوا في منظمة منتشرة حول العالم كله ، وكذلك تنشأ له صلات واضحة المعالم بالأوروبيين أنفسهم . إن الزنجي الذي كان يعيش في الأدغال محتقرا يصبح بالإسلام ذا مقام ويجد أن الأوروبيين أنفسهم قد جعلوا على الرغم منهم يعاملونه باحترام ، أما إذا انتقل الزنجي الوثني إلى الجماعة المسيحية « أي إذا صبأ إلى النصرانية » فإن الذي يحدث هو خلاف ذلك تماما إننا نحن الأوروبيين نبقى دائما غرباء عن الإفريقي ، وحينما هو يتبنى حضارتنا فما ظاهرها فإنه في الحقيقة لايفهمها ، إننا لم نتعلم بعد ، ولا المبشرون منا أيضا أن نتفهم الزنجي في خصائصه المميزة له إننا لم نكلف أنفسنا عناء الاهتمام بحضارته وبترقيته بعوامل من حضارتنا وبالنصرانية ، وبدلا من أن نفعل ذلك رحنا نهزم حضارته ثم نحاول أن نبدلها بحضارتنا وهكذا نجدنا معرضين إلى أن نجعل من الزنجي صورة شوها للأوروبي، بينما الاسلام يجعل منه إفريقيا يحترم نفسه وفوق ذلك لانجد الزنجي المتمدن بالمدنية الأوروبية يبلغ تلك المساواة الاجتماعية التي يبلغه إياها الإسلام بطبيعة الحال . تلك الحقيقة وحدها تفسر لنا بكل وضوح واقعا هو أن الإفريقيين الذين تلقوا في المدة الأخيرة تعليماً مسيحيا قد انقلبوا دعاة للإسلم .

وبما أن الإفريقيين لا يأملون أبدا أن ينالوا « بالنصرانية » مقاما اجتماعيا مساويا لمقام إخوانهم في العقيدة من النصارى الأوروبين فقد نشأ فيهم استعداد لأن يروا في الإسلام الدين « الوحيد » للإفريقي الحديث. وهذه هي الحقيقة واضحة ينطق بها النصارى صراحة شاءوا ذلك أم أبوا

والناظر لأحوال النصارى يرى أن التفرقة العنصرية معمول بها في كل دولهم وما موقف العالم النصراني والكنائس من العنصرية في جنوب إفريقيا عنا ببعيد ..

نشاط أحد القُسس بجبل تلشي

يقع جبل تلشي في المنطقة الغربية لجبال النوبا في منطقة لقاوة ويضم مجموعة من القرى ، وأكثر سكانه من المسلمين . ولكي نلقي الضوء على نشاط هذا القس نستعرض ماكتبه أمين المنطقة الغربية «لقاوة» للاتحاد الاشتراكي السوداني [١] : الأستاذ أحمد برشم بتاريخ ١٨ يوليو ١٩٧٩م إلى أمين مديرية جنوب كردفان قائلا [٢] :

لقد ناقشنا مع سعادتكم إبان زيارتكم إلى لقاوة في ١٩٧٩/٥/١٢م موضوع النشاط الكنسي بجبل تلشي بعد أن شرحنا لكم الوضع شرحا وافيا ووعد سعادتكم بأن لايسمح بأي نشاط كنسي في هذا الجبل لأن سكانه كلهم مسلمون ، وعليه فقد وقف المواطنون هناك على الموقف .

إلا أن الذي يرى في جبل تلشي يختلف تماما عن تصورنا للموضوع ، بلغنا ونحن في لقاوة أن المسيحين قد شيدوا كنيسة بالمواد المحلية في قرية «شوا» في جبل تلشي وأنهم بدأوا ممارسة نشاطهم الكنسي في هذه القرية .

أثر ذلك دعونا لاجتماع للمسلمين والمسؤولين في الأجهزة التنفيذية والشعبية والسياسية وتمت مناقشة الموضوع مناقشة إيجابية بالشرح والإيضاح لما يجري في قرية «شوا» وتم تكوين لجنة ضمت بعض المسؤولين في المنطقة لتتصدى لهذا النشاط الكنسي الملحوظ بجبل

---

(١) الاتحاد الاشتراكي هو الحزب الحاكم في عهد الرئيس الأسبق جعفر محمد نميري .

(٢) تقرير عن النشاط الكنسي في ولاية كردفان ، مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة ، الخرطوم.

تلشي وتتقصى الحقائق حوله وتضع تصورا لعلاج هذا الأمر على ضوء هذه الحقائق .

وبدأنا تحركنا بزيارة ميدانية لقرية «شوا» في يوم ١٩٧٩/٦/١٧م مع بعض أعضاء اللجنة وهم :

١ - أحمد برشم — أمين المنطقة الغربية .
٢ - سعيد فرج الله — ممثل عن مجلس شعبي ريفي لقاوة .
٣ - مكي تيه — معلم بالمدارس الابتدائية ومن أبناء تلشي
٤ - مدني مبارك — سلطان تلشي
٥ - عبدالقادر بشير — عامل ومن أبناء تلشي .

وفي طريقنا إلى قرية «شواء» وعند مدخل القرية شاهدنا الصلبان معلقة على بعض منازل الأهالي ، وبعد مسيرة قصيرة إلى داخل القرية وفي فسحة ليست كبيرة ، شاهدنا مبنى الكنيسة مبنية من الطين ولم يتم عرشها ، وبالقرب من الكنيسة في الفسحة الملاصقة لها وجدنا بعض الشباب يلعبون كرة القدم وتتدلى على صدر كل واحد منهم سلسلة تنتهي بصليب وأغلبهم في سن العشرين سنة . وتحركنا داخل القرية حتى وصلنا إلى منزل شيخ القرية وعقدنا معه اجتماعا ضم بعض أبناء تلشي المسلمين ومجموعة من أبناء القرية وطلبنا منهم إلقاء الضوء على مايجري في هذه القرية من نشاط كنسي ودار معهم نقاش طويل ومستفيض ألخصه في الآتي :

١ - زارهم قبل سنة أحد القسس في القرية ومعه أحد أبناء هيبان النصارى ، وأصبح هذا القسيس يتردد كثيرا على القرية ويجتمع بالشباب فيها بغرض تجنيدهم للنصرانية ، واستغل هذا القسيس ظروف التخلف هناك فنفث سمومه فيهم ، حيث

قال لهم :

أ - إن الدين الإسلامي هو دين العرب ، والعرب هم الذين تأكل أبقارهم مزارعكم وإذا حاولتم الدفاع عن قوتكم قاتلوكم . مستغلا بذلك الحوادث التي تحدث بعض الأحيان بين راعي الأبقار والمزارعين في هذه المنطقة ولأن أغلب الرعاة من العرب والمزارعين من أبناء تلشي .

ب - قال لهم أيضا : إن الإسلام سوف يحرم عليكم شرب الخمر وهو يعلم أنهم يشربون الخمر كغذاء لهم ، ويشربونها في كل المناسبات والاحتفالات .

جـ - إن الإسلام سوف يحرم عليكم أكل لحم الخنزير، لأنه يعلم أن الخنزير من الحيوانات التي يربيها النوبا من أهل تلشي .

د - إن المسؤولين أهملوهم وهو سوف يفتح لهم مدرسة مثل مدرسة «كمبوني الأبيض» .

وبهذه الطريقة أوجد هذا القسيس عداء بين المواطنين هناك وأصبحت في القرية كتلتان ، كتلة المسيحين وكلهم شباب من سن العشرين والأخرى من المسلمين وبعض المواطنين الذين يرفضون قيام الكنيسة .

بعدها دعونا الشباب النصارى إلى اجتماع فجاءوا إلينا يحملون الأسلحة البيضاء عابسي الوجوه لأنهم ظنوا أننا جئنا لمحاربتهم وتدمير كنيستهم ، ولكن بعد وصولهم إلينا طلبنا منهم الجلوس وتحدثنا معهم وذكرنا لهم أن هناك حرية في الأديان ، وأن كل فرد يستطيع بناء على رغبته اعتناق الدين الذي يرغبه، وبعد أن اطمأنوا إلينا دار نقاش طويل

ومستفيض بيننا وخلصنا منه بالآتي :

- إن قريتهم وأهلهم مهملون كل الإهمال لأنه لا علاج ولا تعليم ولاحتى مسؤول يزورهم في هذه القرية منذ قيام الحكومات الوطنية ، وأن صلتهم بالسلطة هو سلطان الجبل ، وهذا لايأتي إلا لأخذ الضرائب فقط ، وهم يرون أن هذا الإهمال قد ضيع مستقبلهم وسوف يضيع مستقبل أبنائهم ، وطالما أن القسيس يزورهم ، ويتفقدهم أكثر من أي مسلم مسؤول أو غير مسؤول وأنه سوف يفتح لهم مدرسة مثل مدرسة كمبوني الأبيض لتعليم أبنائهم وسوف يحضر لهم الدواء فإنهم يريدون اعتناق الديانة المسيحية ، ولأنها سوف تخلصهم من كابوس الجهل والمرض وأن مستقبل أبنائهم في التعليم سوف يكون مضمونا .

انظر إلى هذا القسيس الماكر كيف استغل نقاط الضعف عند أهل هذه القرية البسطاء ، واستغل عوزهم إلى التعليم والدواء والصحة فأثر في شبابهم ، وسلب عقولهم بمغريات الكنيسة وأفسد عليهم عقيدتهم ولوكانت هذه الخدمات متوفرة في هذه القرية وماشابهها من قرى لما فكر هؤلاء يوما في تبديل دينهم ، ولكن من للمسلمين ؟! .

أنشطة فردية أخرى

هناك أنشطة فردية متفرقة يقوم بها بعض الأفراد من أبناء المنطقة وهؤلاء يعتبرون من الكوادر المحلية التي دربت على العمل الميداني كأفراد جمعية «شباب المسيح» وجمعية الكتاب المقدس "The Bible society" وهؤلاء ليس لهم كنائس معينة ، وإنما يقومون بجولات إلى الأحياء والقرى وخاصة الفقيرة منها ومناطق النازحين ، في شكل زيارات ويحملون تقويما شهريا في أوراقه بعض النصوص من الإنجيل وكتباً تهدى وبعضها يباع بأسعار زهيدة كما توزع صور السيد المسيح ومريم العذراء للأطفال بغرض استمالتهم للنصرانية ، كما يقوم هؤلاء بعمل ندوات ومحاضرات للشباب خاصة يتخللها ترانيم وأناشيد كنسية ، كما يقومون أيضا بتوزيع الأموال النقدية وبعض المواد الغذائية كالسكر والدقيق والألبان بالإضافة إلى الأدوية والملابس .

ومن أشهر هؤلاء المنصرين : فيليب كاو رمضان ويعمل معلما بالمرحلة المتوسطة بكادوقلي ، وإبراهيم كالو معلم في مرحلة الأساس وأشعيا عيسى من مواطني هيبان ، وأندريا عامل بمصلحة الغابات وسايمون كودي ، ومن يقومون بالمحاضرات أيضا : سمير كجو ، وثاوث كجو الذي كان يعمل معلما بمرحلة الأساس بقرية كدبر .

وهناك نوع آخر من النشاط الفردي حيث تقوم الكنيسة بتنصير أشخاص معينين من أسر معينة ويتم تأهيلهم وتدريبهم على ممارسة عمل معين وسط أسرهم ، وبعدها يتم إرسالهم إلى أسرهم من قبل تلك الجهات الكنسية ومن أمثال هؤلاء المدعو : عباس كودي والذي تسمى بـ « جورج كودي » وهو من أسرة مسلمة تم تنصيره ثم تدريبه وتأهيله

وأرسل ليقوم بأعمال معينة وسط أسرته تهدف إلى تنصيرهم وأعطي إمكانات مالية واسعة حتى يستطيع التأثير على أفراد أسرته والأسر الأخرى ومن أمثاله أيضا نبيل كليكر، ومحمد إسماعيل كليكر الذي أصبح على رأس جهاز الكنيسة التنفيذي في الأبيض .

ويقول كافئ طيارة [١] :

إنه وصلتهم أخبار في شاد الدامام ريفي كادوقلي بأن هناك شخصا فرنسيا مقطوع اليد يعمل في مجال التنصير في قرية طروجي جنوب كادوقلي ويمتلك طائرة صغيرة يتحرك بها أثناء تنقلاته في المنطقة كما تحدث عن عدد من المنصرين الأجانب الذين يوجدون في منطقة المجلد وريفي البرام ويتعاملون مع العرب البدو في المنطقة بشراء البهائم والحاجيات منهم .

كما تحدث الكثيرون من العائدين من مناطق التمرد عن وجود نشاط تنصيري فاعل في مناطق الجبال المتمردة .

هذا عرض مبسط للنشاط التنصيري الفردي في منطقة جبال النوبا والذي أسهم بدوره في تعميق حركة التنصير فيها .

---

(١) هو العمدة كافئ طيارة : عمدة شاد الدامام ريفي كادوقلي ٤٤ سنة في مقابلة معه بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٤١٣ هـ .

الفصل الثالث

وسائل التنصير المستخدمة في المنطقة

ويشمل الآتي :

تمهيد ·

المبحث الأول : الإغاثة ·

المبحث الثاني : التطبيب ·

المبحث الثالث : التعليم والخدمات الاجتماعية ·

المبحث الرابع : وسائل الإعلام ·

تمهيد :

شهدت مراحل النشاط التنصيري مناهج وأساليب متعددة لنشر الإنجيل ، تفاوتت بتفاوت الأزمنة ومستوى المجتمعات الحضاري والثقافي . وكان من بين تلك الأساليب ما يتماشى مع روح النصرانية وتعاليمها ، ومنها ماهو مبتدع ودخيل عليها .

فالنوع الأول يرتكز على الإقناع الفردي والوعظ العام في الكنائس والأماكن العامة لتعريف الناس بحياة المسيح وسماته وتعاليمه وهو الوسيلة النموذجية للعمل التنصري في مختلف عصوره وقد أهمل هذا النوع من التنصير الذي كانت تقوم به الإرساليات التي تعرف باسم (Evangelistic missions) منذ فترة بعيدة عندما دخلت النصرانية في تحالف مع الحكومات الغربية وبدأت فترة التنصير بين الوثنيين بالقوة [١].

أما النوع الثاني فيتمثل في التنصير عن طريق العلاج والتعليم والخدمات الاجتماعية والإغاثة ، وغير ذلك من الأساليب المبتدعة حديثا .

وهذا النوع من التنصير تقوم به الإرساليات التي تعرف باسم الإرساليات التبشيرية المساعدة (Suberdinate Evangelistic missions) ومنها : الإرساليات التعليمية والعلاجية والصناعية ، وقد ظهر هذا النوع حديثا في القرن التاسع عشر الميلادي ، عندما دخلت الدول الاستعمارية المسيحية في تحالف مع الإرساليات للسيطرة على شعوب آسيا وإفريقيا خاصة بعد الحرب العالمية الأولى، وقد استخدمت بعض

---

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٦٢ .

الإرساليات في العصر الحديث وسائل أكثر تطورا لنشر النصرانية ترتبط بدراسة حياة الأسرة والعمال ، ومستخدمة وسائل الإعلام السمعية والمرئية في التنصير [١].

فالإرساليات تسعى إلى تحقيق أهدافها التنصيرية من خلال هذه الأعمال التي ظاهرها البر والإحسان ، وقد ظهر ذلك جليا من خلال عمل إرساليتي « السودان المتحدة (S.U.M) » و« جمعية التبشير الكنسي (C.M.S) » في منطقة جبال النوبا.

وسنتعرض في هذا الفصل إلى دراسة هذه الوسائل الحديثة في مجال التنصير والتي تكاد تكون وسائل مشتركة يستخدمها المنصرون أينما حلوا سواء كان ذلك في جبال النوبا بالسودان أو غيرها ، ولكن الاختلاف يكون في الكم لا في الكيف بحسب المكان والزمان واختلاف المجتمعات وتركيبتها الثقافية . ولأن الكيف غالبا ما يكون ثابتا جعلت كلامي في أكثرها عاما ، مع عرض مايدور في منطقة جبال النوبا موضع البحث .

---

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٦٢ .

المبحث الأول
الإغــــاثة

تعلم المنصرون في معاهدهم ودرسوا نفسية الأفراد ، فقاموا بدراسة نفسية لسكان تلك المناطق الفقيرة والمتخلفة ، وبنوا خططهم على أصول علمية ، وعرفوا من أين تؤكل الكتف وبأبسط الطرق .

فنجد أن الكنيسة تبنى على نمط فريد في مستواه ونوعه في المنطقة وكثيرا ما يفوق نوع بنائها بناء مراكز الحكومة ، وهكذا ليشعر هؤلاء البسطاء من العوام والسذج بأن الكنيسة أعظم من الدولة إذ أنها قد تكون في كثير من الأحوال وفي كثير من البلدان أعظم فعلا من الدول وما أكثر الدول التي تديرها الكنائس وتتحكم في مصيرها .

وعرفوا مستويات معيشة الناس ، ودرسوا حاجياتهم من ضروريات الحياة ، ليقوموا بتقديم الخدمات التي تجتذب أولئك الناس : فيطعمونهم حيث لاطعام ، ويعالجونهم حيث لامستشفيات ولامستوصفات ، ويقدمون لهم الكساء والمأوى .

إن الإغاثة بمثابة الوقود للكنيسة ؛ إذ بها تتمكن من الوصول إلى مناطق عديدة وغايات وأهداف كبرى ، ولأهميتها أمنت المؤسسة الكنسية مصادر مضمونة ومستمرة للإغاثة ؛ فنجد مثلا مجلس الكنائس السوداني [١] تصله مواد إغاثة منتظمة من مجلس الكنائس العالمي

---

(١) مجلس الكنائس السوداني : هيئة تضم كل الطوائف الكنسية في السودان ما عدا الكاثوليك والغريب في الأمر أن مطران الكنيسة الكاثوليكية بالخرطوم هو راعي المجلس .

وكذلك منظمة سودان ايد (Sudan Aid) [١] تمد الكنيسة الكاثوليكية وتقوم بدعمها وتمويل كافة أنشطتها ، وعلى الرغم من أن هذه المؤسسات مقتدرة ماليا إلا أن الكنائس لا تنفق عليها بل تصلها معونات ومساعدات من حكومات أجنبية عديدة ، وبعض البيوتات والأفراد ومجموعات مسيحية تهتم بالمسيحية والمسيحيين . وهذه الجهات على أهبة الاستعداد للاستجابة لأي نداء أينما كان ، وتنفيذ أي مشروع طلب منها مهما كلف [٢].

فالكنيسة تسخر جميع هذه الإمكانيات في خدمة التنصير والنصرانية ومحاربة الإسلام ، ومع هذا فإن أتباع الإسلام في تزايد مستمر مقارنة بأتباع النصرانية مع عدم توفر معشار هذه الإمكانيات لدى المؤسسات الإسلامية . وما ذلك إلا لأن الإسلام هو دين الفطرة ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾ الآية ٣٠ الروم ، ولكن الكنيسة بخيلها ورجلها لا تعدم من يستجيب لها فتجتال الضعفاء والفقراء المحتاجين ضعاف الإيمان فتفسد عليهم عقيدتهم وتشككهم في دينهم .

---

(١) في سبتمبر ١٩٧٢ م قام مؤتمر الأساقفة الكاثوليك في السودان بإيجاد « سودان ايد » كوكالة إغاثة كاثوليكية دولية متخصصة في أمور الإغاثة وإعادة التوطين والتعمير تحت رئاسة الأب « ديجيمبو » من جمعية الآباء البلجيكيين البيض . كما تم فتح فرع للوكالة الدولية لإغاثة الكاثوليكية ، وقد قصد بتوزيع الأسماء وتنويعها إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المبشرين للدخول إلى السودان تحت ستار الإغاثة .

- انظر حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٠٩ .

(٢) حسن دينج مجوك : بحث عن العمل الكنسي في ولاية كردفان ، ص٣ ، مطبوع على الآلة الكاتبة من مؤسسة الرفق الخيرية .

والمنصرون دائما يصطادون في الماء العكر، فهم يستغلون عوز المعوزين وحاجة المحتاجين ، فالظروف الصعبة التي تمر بها قارة إفريقيا عموما والسودان خصوصا ، وهي موجة الجفاف والتصحر ، زادت واقع المسلمين سوءاً وفتحت مجالا واسعا أمام عدد كبير من الهيئات الكنسية فوصل إلى السودان وحده أكثر من ثلاثين هيئة ومؤسسة كنسية تعمل في مجال الإغاثة [١] . وغطت هذه المؤسسات الكنسية مساحات واسعة بالشباب النصراني الغربي ذكورا وإناثا ، فنجد الشباب الألماني الغربي والنرويجي والإيطالي يقومون بتوزيع الغذاء والدواء والكساء لمتضرري المجاعات باسم الكنسية ، وحتى الخيام التي توزع فيها هذه المعونات نصبت على هيئات الكنائس لربط هؤلاء الضعفاء بالكنيسة . كما توزع للصغار اللعب والحلوى والهدايا باسم المسيح ، وباستغلال هذا الواقع الأليم والظروف السيئة استطاعت الكنيسة أن تجد طريقها إلى جسم المجتمع الإسلامي ، ويذكر الشيخ الحمدابي [٢]: أنه حدث أن ارتد بعض عرب البادية في منطقة جبال النوبا وكردفان عن الإسلام وتنصروا في فترة سنين هي فترة الجفاف والمجاعة التي ضربت تلك المناطق في الأعوام ٨٣/٨٤/١٩٨٥م .

وليست هذه هي المرة الأولى التي تستغل الكنيسة فيها مثل هذه الظروف في السودان ، بل هي الآن تعمل بجد واجتهاد في أوساط النازحين من ويلات الحرب في جنوب السودان وجبال النوبا. وقد رأيت هذا بنفسي في قرى السلام التي وضعتها لحكومة بالقرب من مدخل

---

(١) انظر المبحث الثالث من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٢) الشيخ حامد عبد الرحمن الحمدابي : موظف بوزارة الشؤون الدينية والأوقاف والمدير السابق لمكتب أوقاف كادوقلي في مقابلة معه بتاريخ ٤ / ١٢ / ١٤١٣ هـ .

مدينة كادوقلي للعائدين من حركة التمرد ، فالكنيسة تعمل على استقطابهم قبل وصولهم إلى هذه المعسكرات والقرى حتى لايقعوا في أحضان الحكومة أو منظمة الدعوة الاسلامية ، وبعض أفراد الكنائس يأتون إلى هذه القرى ويطلبون عددا من العمال ، فيأخذون هؤلاء الأفراد على أنهم عمال يحتاجون إليهم في بعض الأعمال ، وبعد فترة ترى هؤلاء الأفراد قد تفرقوا وابتعثتهم الكنيسة إلى الخرطوم وغيرها من المدن وهذه الظروف ربما تستمر زمنا طويلا في ظل الأوضاع الاقتصادية الحالية التي تمربها البلاد ، مع تدني دخل الفرد العام .

كذلك تعمل الكنيسة على اصطياد الكوارث والنكبات التي تحل بالمسلمين وبديارهم ، فالكوارث بأنواعها تمثل أرضية خصبة للكنيسة لتفرز فيها سمومها وتقوي من مكانتها ، فإنها أولا تحصل على معونات وأموال لاحصر لها من أتباعها ومؤيديها توظفها في خدمة أغراضها وتستغل المنكوبين بتوجيههم حيثما تريد .

إنه من البديهي أن يحافظ المرء على مصدر دخله ، فكذلك الكنيسة ترى في النكبات مصدر دخل لها ، وبالتالي تحاول إيجاد صورة متأزمة دائما للرأي العام لتحظى بالسند والتأييد . أما ما تقدمه للمنكوب من مواد إغاثية فيكون بالقدر الكافي لسد رمقه وإبقائه على الحياة ليواصل الصراخ والعويل ، وتأتي الكنيسة للتسكين ومباشرة أعمالها .

فبعد كوارث المجاعة الكبرى التي أصابت السودان عام ١٨٧٨م وفي فيضان النيل الجارف عام ١٨٧٩م ، الذي أحدث في البلاد ضررا كبيرا ، ذهب المطران دانيال كمبوني إلى أوروبا طالبا المعونة لآلاف السودانيين المنكوبين من الفيضان ، وعاد ووزع كل مالديه من مال

ومعونات للأهالي فأصبح يعرف في ذلك الزمان باسم «المطران أبو السودان »[١].

وهذا المطران الملقب بالأب دانيال كمبوني يعتبره المنصرون الأب الروحي لهم إذ أنه وضع اللبنات الأولى للتنصير في السودان والكنيسة الكاثوليكية على وجه الخصوص ، وهو لم يستحق لقب « المطران أبو السودان » إلا لأنه وقف موقف المحسن والمنقذ لهؤلاء الضعفاء وإن كان وراء ذلك ماوراءه من الأهداف والغايات ، فهذه الأعمال التي ظاهرها البروالإحسان من قبل النصارى إن لم تدْعُ الأهالي لاتباعهم فإنها ستترك على الأقل أثرا عميقا في النفس ، لأن النفس البشرية مجبولة على حب من أحسن إليها ، وقديما قال الشاعر :

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم

فطالما استعبد الانسان إحسان

هذه صورة مختصرة لما تقوم به الكنيسة تحت ستار الإغاثة وإعادة التعمير والتوطين ، والذي هو في حقيقته تخريب وتشريد للأهالي البسطاء .

---

(١) جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٢٣٩ .

المبحث الثاني
التطبيب

الطب مهنة إنسانية نبيلة من أرقى المهن وأعلاها شأنا ، وخاصة إذا أراد بها ممتهنها ثواب الله بزرعه الفرحة والأمل في قلب المريض حينما يعالجه ويتصدى لوباء فتاك قد يفتك به وبخلق كثير من أبناء البشر ، ولكن عندما يكون الطب مهنة يستغل بها الطبيب آلام وأحزان المريض لتنفيذ أمر يريده في ذلك الوقت ، حيث لامناص من الامتثال لذلك الأمر من جانب المريض الضعيف الذي يكابد مشقة المرض وآلامه فإن ذلك تدن وانحطاط وتدنيس لهذه المهنة الشريفة ، وهذا ما يفعله المنصرون اليوم حينما يأتون إلى بلاد المسلمين ليبشروا بدينهم عبر هذه الطريقة [١].

ولم تظهر أهمية العلاج كوسيلة من وسائل التنصير إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عندما تكونت الجميعات الطبية في أوروبا وأمريكا والتي تقوم بتأهيل الأطباء والممرضين في مراكز التبشير ، ومن ثم أصبحت الإرساليات العلاجية (Medical Evangelistic missions) من وسائل التبشير الهامة مثل « جمعية التبشير الطبية بأدنبرة » ، و« جمعية التبشير الطبية بنيويورك » [٢].

---

(١) عبد الرحمن الشهري : التبشير في بلاد الشام ، ص١١٧ ، بحث غير منشور ، كلية الدعوة والإعلام ، ١٤٠٤ هـ .

(٢) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٦٣ .

وكان الأمريكيون هم أول من انحرف بالطب عن أهدافه الانسانية النبيلة واستخدموه في أغراضهم التنصيرية ، وذلك حينما بدأوا ينشئون عيادة طبية في سيواس بتركيا عام ١٨٥٩م ، وهكذا نظرا الأمريكيون منذ ذلك الحين إلى الطب على أنه معين على التنصير ، ومنذ ذلك الحين اعتبر الأمريكيون الطب « مشروعا مسيحيا » وعلى هذا الأساس قال الطبيب بول هاريسون في كتابه « الطب في بلاد العرب » :

« إن المبشر لايرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى كل الإقليم . لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى [١].

ولاريب في أن الطبيب يستطيع أن يصل إلى جميع طبقات الناس ، حتى أولئك الذي لايخالطون غيرهم ، ولذلك قال المبشرون إن بإمكان الطبيب المبشر أن يصل بتبشيره إلى جميع طبقات المسلمين بواسطة المرضى الذين يعالجهم ، ثم إنهم فرضوا أن يكون الطبيب المبشر « نسخة حية من الإنجيل » ليكون بإمكانه أن يغير الذين حوله ويجعل منهم نصارى أو أن يترك في نفوسهم أثرا عميقا على الأقل [٢].

وقد ارتبط الاهتمام بجميعات التبشير الطبية بدوافع متعددة من بينها ما أكده دكتور « كوك » الذي أنشأ الإرسالية الطبية في منجو بأوغندا ، حيث قال : إن أهداف هذا النوع من البعثات هو أولا إضفاء روح الشفقة الدينية على البعثات التبشيرية الحديثة. ولتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى

---

(١) مصطفى الخالد وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٥٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٥٩ .

قلوب بني البشر ، وأخيرا معالجة الناس من الأمراض [١].

نعم فهم منصرون أولا قبل أن يكونوا أطباء ، لأن الهدف هو التنصير وليس العلاج فحسب ، فالطب وسيلة من وسائل التنصير الفعالة .

وقد أكد ذلك وصرح به بعض هؤلاء الأطباء المنصرين في مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م ، وهو الدكتور « أراهارس » طبيب إرسالية التبشير في الشام بقوله : « يجب على الطبيب في إرساليات التبشير أن لاينسى ولا في لحظة واحدة أنه مبشر قبل كل شيء ثم هو طبيب بعد ذلك [٢] » .

وبالاضافة إلى ذلك ، فإن وجود أطباء وممرضين في مراكز التبشير يزيل عن الإدارة المركزية للإرساليات التبشيرية عناء التفكير في صحة المبشرين ، كما يزيل أحيانا معارضة الأهل والأصدقاء لمن يرشحون أنفسهم للتبشير في البلاد المتخلفة ، هذا فضلا عن أن وجود المبشر الطبيب في المجتمعات التي تمارس فيها التعاويذ والتمائم كقوة سحرية لعلاج المرضى ، يساعد في القضاء على نفوذ العرافين الذين يمثلون أحد أعمدة المعتقدات الوثنية [٣].

ففي مجال العمل العلاجي في جبال النوبا ، لايمكن إغفال دور « إرسالية السودان المتحدة » (S.U.M) بالرغم من عدم وجود طبيب

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٦٣ .

(٢) أ.ل. شاتلية : الغارة على العالم الإسلامي ، ص٤٠ ، ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ، ط. الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

(٣) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٦٣ .

متخصص للإرسالية ، وإنما كان لها ممرضات مدربات تولين هذا العمل وأبرز دليل على ذلك إنشاء الإرسالية لمستعمرة « نيكاما » للجذام والتي كان لها دور فعال في مكافحة هذا المرض الذي تفشى في تلك المنطقة ووفرت لها الكوادر المدربة في الخارج [١].

أما إرسالية « جمعية التبشير الكنسية » (C.M.S) فقد كان لها الدور الأكبر في هذا المجال ، إذ كان يقوم بالعمل العلاجي اثنان متخصصان هما : الدكتورة « الفريد ويدلورن » وهي طبيبة بريطانية والدكتور « كاش بيرترام » السكرتير العام للإرسالية ، والذي كان يرى ضرورة العمل العلاجي والتعليمي للتبشير حتى يثمر [٢] وهذا أكبر دليل على اهتمام هذه الإرسالية بالتطبيب كوسيلة للتنصير إذ أن سكرتيرها العام والرجل الإداري الأول فيها كان طبيبا .

وأقامت كل من الإرساليتين مستشفيات عديدة في جبال النوبا وزودت تلك المستشفيات بـ « العنابر » والأسرة لاستقبال المرضى وحجزهم للعلاج ، هذا فضلا عن العيادات الخارجية المجانية لاستقبال الحالات الطارئة [٣].

وفي الحقيقة قد كان عملها في هذا المجال مفيدا للغاية لسد حاجة مواطني المنطقة للخدمات الطبية ، ولعدم وجود مستشفيات حكومية تؤدي هذا العمل المهم ، فالرعاية الصحية لاتقل أهمية عن الإغاثة ، ونظرا

---

(١) تقدم الحديث عن مستعمرة نيكاما للجذام بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا البحث .

(٢) Kordfan Province. 1, 115, 71, Extract from the Annual Medical Report, 1935.

(٣) المصدر نفسه .

لأهمية الصحة نجد حتى المسلمين ممن لاشبهة عليهم يحصلون على الدواء من الكنيسة التي تعلم سلفا أهمية هذا السلاح فوفرت الدواء بكل أنواعه تقدمه للناس بشرط واحد هو إبراز تذكرة طبية معتمدة ، وتقوم الكنائس بعمل مسح لرعاياها عن طريق الشباب المسيحي في المنطقة الذين ينتشرون في أوساط المسيحين وبالتالي يتعرفون على من هو في حاجة للدواء علاوة على من يشتكون علة أو يقدمون تذكرة طبية .

هناك أيضا أناس تتطلب حالتهم المرضية العلاج بالخارج وهؤلاء تقوم الكنيسة بتقديم المساعدة المادية لهم ، وكذلك توفير النظارات الطبية لمن وصفت لهم نظارات ، وكل ذلك يقدم للمسيحين والمسلمين على السواء ، تثبيتا للنصارى على نصرانيتهم وإغراء لغيرهم للدخول في النصرانية .

وكذلك درجت الكنائس في المنطقة على توزيع كميات كبيرة من الأدوية داخل الكنائس بالمجان ، حتى يضطر من يريد الدواء للدخول في الكنيسة . وهذا يشكل عامل إغراء في أوساط ضعاف الإيمان فيترددون على الكنيسة فيتم تنصيرهم تدريجيا .

وأما الريف البعيد والقرى فتصلهم الخدمات الطبية الكنسية عن طريق فرق طبية متحركة يتكون الفريق الطبي من طبيب وممرض وممرضة وعربة مجهزة بالآليات والأدوية ثم يقومون بتجوال على هذه القرى والأرياف في فترات متتالية يقومون فيها بالكشف على المرضى وتوزيع الأدوية عليهم ، ويكون في هذا إشعارا لهم بإنسانية العنصر المسيحي والأوروبي واهتمامه وتفوقه على المسلمين .

ومن المشاريع الطبية التنصيرية التي أنشأتها الكنائس في المنطقة مستشفى قرية « الجكمة » للأمراض الجلدية وأمراض الجذام ، وهي

قرية كبيرة أسس المستشفى فيها عام ١٩٦٢م ، وكان يديره مسؤول من قبل مجلس الكنائس العالمي ، ويوجد بالمستشفى الآن ممرضان مسلمان ومساعد طبي مسلم وبقية القوى العاملة من النصارى ، إذ يشكل النصارى والوثنيون في القرية نسبة ٥٠٪ من عدد سكانها ، ويوجد بالقرية مسجد بإمامه ، ويمكن أن يسلم جميع سكان القرية إذا وجدوا من يوجههم ويرشدهم للإسلام ، وقد حدث أن أسلم (٥٧) شخصا من سكان حي الرطوط البالغ عددهم (٦١) شخصا على يد إمام المسجد بالقرية ولكن ارتد (٤٨) منهم لمعاودة الكنيسة إغراءهم ، وفي القرية أربع كنائس ويتردد عليها مسؤول كبير من مجلس الكنائس العالمي ومعه بعض معاونيه ، ويتعاون أهل القرية مع المستشفى إذ أن معظم سكان القرية من المرضى ، ويولد الأطفال وبهم تشوهات وعاهات كالصمم ونحوه [١].

وأيضا في مجال الولادة نجد الكنيسة تهتم اهتماما كبيرا بمستشفيات الولادة ، والتي ربطت كثيرا من الأسر بالكنيسة لضمان الرعاية الصحية إبان فترة الولادة ، وقد قامت مؤخرا الكنيسة الكاثوليكية بالدلنج بإنشاء مستشفى للولادة بالمدينة وجهزته بكافة التجهيزات اللازمة .

إلا أن الإرساليات والكنائس لم تكن تبتغي من هذا العمل العلاج كهدف أولي ونهائي ، وإنما أرادت به أن يكون وسيلة لتأليف قلوب المواطنين ودخولهم الكنيسة حيث يباشر المنصرون فيهم عملهم .

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٠ .

وهذا يدل على أن اهتمام الأطباء كان منصبا على التنصير لاعلى التطبيب والعلاج ، ولم يكن هذا الأمر خاصا بجبال النوبا وحدها بل كان هذا ديدن الأطباء المنصرين في كل الجهات التي عملوا فيها . ومن ذلك أن نفرا من المنصرين أنشأوا مستوصفا في بلدة « الناصر » بجنوبي السودان وكانوا لايعالجون المريض إلا بعد أن يحملوه على الاعتراف بأن الذي يشفيه هو المسيح [١].

ودلالة أخرى على أن المبشرين أول ما عنوا بالتطبيب على أنه واسطة إلى غاية أن اليسوعيين مثلا قد أسسوا أكثر أعمالهم التبشيرية في سوريا إلى جانب مراكز التطبيب . بل إن مراكز التبشير قد بدأت عندهم مراكز للتطبيب في أول الأمر . وفي هذه المراكز وجهوا عنايتهم الأولى إلى كبار الموظفين وإلى الأعيان ، وكانوا يستغلونهم من هذا الطريق لمصالح تنصيرية بحتة ، ومع الأيام أخذت عناية اليسوعيين بالتطبيب تقل وقيامهم بالتبشير يزيد ، حتى حل التبشير المحض محل التطبيب [٢].

أما في الحبشة التي عرف المنصرون طريقهم إليها منذ القدم فقد كانت المعالجة الابتداء قبل أن يركع المرضى ويسألون المسيح أن يشفيهم [٣].

وكان بعض المبشرين يعلنون عن هذا الهدف الخفي أحيانا ولايكتمونه ، فهذا هو المنصر « ريشتر » يقول : في هذه المناسبات من

---

(١) مصطفى الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٦١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٦٢ .

التطبيب ، في أي مستوصف أو مستشفى يمكن للطبيب أن يخاطب المسلمين بكلام كثير لو سمعوا بعضه في مكان غير المستشفى ومن شخص غير الطبيب لامتلأوا غيظا وغضبا ، وحملت أم مرة طفلها المريض وجاءت به إلى مستوصف الناصر بجنوب السودان ولكن الطفل مات في أثناء الطريق الطويل ، فلم يعز الطبيب هذه الأم الثكلى بل جلس يلقي عليها التعاليم والطقوس النصرانية [١].

أما من حيث امتزاج الصفاقة بالتدجيل وامتزاج الجهل بموت الضمير ، فكلام « إبراهاريس » يؤكد ذلك إذ تقول في نصح الطبيب الذاهب في مهمة تبشيرية : يجب أن تنتهز الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم « فتكرز » [٢] لهم بالانجيل ، وإياك أن تضيع التطبيب في المستوصفات والمستشفيات فإنه أثمن تلك الفرص على الإطلاق ولعل الشيطان يريد أن يفتنك فيقول لك : إن واجبك التطبيب فقط لا التبشير فلا تسمع منه [٣].

هذه هي بعض المعالم البارزة لأساليب النصارى العلاجية والتطبيبية التي تخرج صاحبها عن معنى الإنسانية وتهوي به في الدرك والانحطاط إلى أسفل الدرجات ، حيث إنهم جردوا هذه المهنة الإنسانية النبيلة عن معناها الانساني السامي بكل انتهازية وعدم مبالاة .

---

(١) التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٦٢ .

(٢) التكريز هو تعبير مسيحي معناه إلقاء المواعظ والنصح على الآتين للكنيسة ، وكرز أو خرز « بالسريانية » بمعنى وعظ ، انظر : التبشير والاستعمار ، ص٦١ .

(٣) المصدر السابق ، ص٦٣ .

المبحث الثالث
التعليم والخدمات الاجتماعية

أ ـ التعليم :

يظن كثير من الناس أن مجال الخدمات التعليمية أكاديمي محض ، ولكن الواقع غير ذلك ، فإن مؤسسات التعليم الكنسي لها أهداف ودوافع تنصيرية ، فحينما تم قهر الدولة المهدية وتمكنت سلطات الحكم الاستعماري من وضع يدها تماما على السودان ، فتحت الأبواب على مصراعيها للكنائس والإرساليات لتفعل فعلتها في مناطق جبال النوبا وجنوب السودان ، ولم تشأ أن تفتح الباب للتبشير النصراني في السودان الشمالي في بادئ الأمر خوفا من ردة فعل المسلمين وقيام ثورة مهدية أخرى ، ولكنها تنازلت عن ذلك وفتحت المجال للإرساليات في أمر التعليم ، وعن ذلك يحدثنا القس الشهير « قويني » الذي جاء عند استعادة الحكم الاستعماري للسودان لمباشرة تنظيم إرسالية الكنيسة التبشيرية الإنجليزية قائلا :

"بينما كنت مهموما حزينا في داري على اثر عدم التصريح لي بتنصير المسلمين ، جاءني رسول يدعوني مستعجلا لسراي الحاكم العام فذهبت والدنيا مظلمة أمامي ، وإذا بي أتلقى معاملة مذهلة فقد قال لي الحاكم العام مبتسما : « لقد صرح لك بافتتاح مدارس في الشمال » ورقص قلبي فرحا ، وأيقنت أن الله استجاب لدعائي ، فما الفرق بين رفض السماح لي بتنصير المسلمين والسماح لي بتعليم أطفالهم [١].

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٥٢ .

وهكذا كانت بداية المؤسسات التعليمية التبشيرية ، حيث أخذت تنمو إلى أن أخذت شكلها الحالي كما أعلن ذلك القس قويني صراحة ، فإن التعليم عندهم يعني التنصير . أو أنه ـ على الأقل ـ مدخل ووسيلة إلى تنصير المسلمين .

فالمنصرون استغلوا العلم النبيل ستارا لغايات هي بدورها ستار لغايات أخرى .

لقد تظاهروا بالعلم وتظاهروا بالإحسان إلى الناس ، وتظاهروا بالدين ، ولكن في الحقيقة يريدونهم ـ هم ومن استخدمهم ـ أن يصلوا من هذا النشاط البريء في ظاهره إلى استعباد الشرق واستغلاله سياسيا واقتصاديا [١].

ومجال التعليم قد كان من أهم وأخطر وسائل التبشير التي انتهجتها الإرساليات المسيحية في جبال النوبا ، بل في كل الأماكن التي عملت فيها ، وقد وجد التعليم النصراني في المدارس فرصته الذهبية في ظل الحكم الاستعماري للسودان ، حيث منع المستعمر قيام المدارس الأولية ومدارس الكتاب في منطقة جبال النوبا إلا بشرط وهو عدم تدريس المواد الدينية ، وهذا يخالف نظام التعليم المعمول به في شمال السودان إذ تدرس المدارس القرآن ومبادئ الإسلام للتلاميذ ولما فتحت مدارس الكتاب في بعض مناطق جبال النوبا في كادوقلي - الدلنج - رشاد وتلودي ، بالشرط المذكور وهو عدم تدريس المواد الدينية بان أن أغلب تلاميذ هذه المدارس من النوبا العرب أو المستعمرين فطلبت سلطات المديرية في خطاب أرسلته إلى مدير التعليم بتاريخ

---

(١) مصطفى وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٧٦ ـ ٧٧ .

١٩٢٤/٦/١٥م ، أن يدرج التعليم الديني الاسلامي في المدارس ، فسمح لهم بشرط أن تكون فصول الدراسة الدينية خاصة بأبناء المسلمين وأن لايتلقى أبناء غير المسلمين تعليما دينيا إلا بموافقة أولياء أمورهم وترك الأمر لمدراء الكتاتيب وللآباء لتنفيذه ، ولكن هذا الأمر لم ينفذ بل كان أولياء أمور التلاميذ غير المسلمين ينظرون إلى تعليم القرآن على انه يحسن اللغة العربية لأبنائهم وبهذه الطريقة أصبحت مدارس الكتاب مراكز مزدهرة لنشر التعريب والإسلام في أوساط الشباب النوباوي وفي محاولة لإنهاء هذه الظاهرة قررت الحكومة أن يكون لمدراء هذه المدارس السلطة في قبول أبناء المدن فقط ، أما الذ ين يأتون من الخارج عربا كانوا أو نوبا فيرفع أمرهم لمفتش المركز كما منع مفتشو المراكز من قبول أي طالب وثني في مدارس الكتاب ، ولكن هذا الإجراء لم يحقق نتيجة ولم يحقق ما كانت تصبوا إليه الحكومة ، إذ أن كثيرا من أبناء النوبا قد تمكنوا من دخول هذه المدارس في وقت سابق فلم تجد الحكومة الاستعمارية بدا لوقف خطر التعريب والإسلام في نظرها على النوبا من إغلاق هذه المدارس ، فأصدرت أمرا بذلك في عام ١٩٣١م [١].

فكانت خطوة إغلاق مدارس الكتاب من الخطوات الهامة والمؤثرة التي اتخذتها الحكومة الاستعمارية لإعاقة انتشار الإسلام في المنطقة .

وفي المقابل أطلق المستعمر أيدي غلاة المبشرين والقساوسة وإرسالياتهم وأوكل إليهم فتح المدارس ووضع المناهج لها وتبنى نظام

---

(١) الإسلام في السودان ، ص : ٢٦٠

- انظر المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث .

تعليم مسيحي [١] حتى إنهم كانوا يلقنون فيها أطفال المسلمين ويحفظونهم صلواتهم ونصوص كتبهم الدينية ، وقد فعلوا هذا في جبال النوبا وفي غيرها من مناطق السودان التي سيطروا عليها ، فمثلا في العاصمة الخرطوم قامت المدارس التبشيرية تحت مظلة الحكم الاستعماري البريطاني ابتداء من عام ١٩٠٤ [٢].

وقد نشأت هذه المدارس في بدايتها بغرض توفير خدمات التعليم للجالية البريطانية وأبناء الجاليات النصرانية الأخرى ، ولكن بعد الاستقلال أخذت بعض الأسر السودانية من أهل الوظائف العليا توفد أبنائها لهذه المدارس ولرصيفاتها ، فأصبحت بذلك مدارس لطبقة معينة من المجتمع ، تحاول هذه الطبقة توفير التعليم الجيد لأبنائها بصرف النظر عن موقع الأسرة، وبإغفال تام لاعتبارات التربية الإسلامية .

وفي بداية أمر هذه المدارس لم يكن الطلبة المسلمون يتلقون أية دروس دينية مطلقا ، ثم بدأت فكرة تدريس التربية الاسلامية في أواخر الحكم العسكري للفريق عبود ، أي في أوائل الستينات [٣] ولكن ادخال هذه المادة لم يفد شيئا إذا قيس بمناهجها العامة وبالتحول الذي حدث في طبيعتها حيث زاد عدد أبناء المسلمين فيها بدرجة هائلة وأصبح دور المدارس أقوى وأوسع بين المسلمين مما كان عليه أول الأمر .

---

(١) الإسلام في السودان ، ص٢٥٧ .

(٢) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٧٣ .

(٣) أمتدت فترة الحكم العسكري للرئيس السوداني الأسبق الفريق إبراهيم عبود من ١٩٥٨ - ١٩٦٤ م ، وفيها تم طرد المبشرين الأجانب والإرساليات الأجنبية من السودان .

تقوم هذه المدارس حاليا بدور مزدوج فبينما تقدم خدماتها للطبقة العليا من المجتمع ضامنة بذلك تسيير أعمالها واستمرارها تركز في الوقت نفسه على أبناء الجنوبيين وأبناء جبال النوبا وتمارس وسطهم نشاطا تنصيريا مركزا ، ولقد ساعد هذا على استقرار هذه المدارس وأدى إلى تحسين مستواها بينما انحدر مستوى التعليم العام بالبلاد فازداد الإقبال عليها أكثر من ذي قبل ، فشجع هذا إدارتها على اتخاذ سياسات تنصيرية جديدة لم يقتصر أثرها على أبناء الجنوب وجبال النوبا بل تجاوزها إلى الأغلبية المسلمة بين التلاميذ ، وإن كان التنصير وسط هؤلاء يتم بطريقة غير مباشرة وفي بعض الأحيان يتم بطريقة مباشرة .

إن تقارير بعض المسؤولين وبعض اللجان التي كونت على فترات مختلفة تتعاضد في تأكيد بعض النقاط الخاصة بسلبية هذه المدارس ، فمن ذلك مذكرة رفعها معلم بأحدى هذه المدارس إلى مساعد المحافظ للتعليم بالخرطوم يذكر فيها مايلي [١] :

١ - تحرص المدرسة التبشيرية على قبول أبناء علية القوم على أساس طبقي وتعتذر عن قبول أبناء الطبقات الأخرى من صغار الموظفين والمزارعين والعمال.

٢ - يقوم المنهج على أساس وضع مادة التربية الإسلامية على الهامش في سلم المواد الدراسية .

٣ - تمنح المدرسة معاملة خاصة لأبناء المسيحيين كإعفائهم من الرسوم الدراسية وتقديم وجبة إفطار مجانا وكتب دراسية مجانا ويحرم

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٧٤ .

المسلمون من جنوبيين وغيرهم من هذه المعاملة .

وهناك خطاب آخر من وكيل الشؤون الدينية إلى مساعد محافظ مديرية الخرطوم للتربية عن راهبات أجنبيات يمارسن التبشير المسيحي في أوساط الطالبات.

وكذلك تقرير مجلس شعب مدينة «ابي عنجة» بأم درمان قسم شؤون التعليم بتاريخ ١٥/١١/١٩٧٨م عن روضة أطفال كمبوني شرق والتي تضم مئة طفل مسلم من بينهم طفل مسيحي واحد ، حيث يلقن الأطفال من سن ٦-٧ أناشيد مسيحية ترسخ في أذهان الناشئة منذ السن المبكرة عقائد النصارى ، وفيما يلي بعض هذه الأناشيد :

يسوع الطفل الجديد

ذو الحب الجميل

إنني أشقى في حبك

ولا أعرف كيف أحبك

أو كالآتي :

ماما لبستني الجزمة والشراب

بابا وداني مدرسة الراهبات

هناك تعلمن أربع كلمات

أبانا اليسوع الذي في السماوات

وكذلك تعويذة مسيحية :

يامريم الطاهرة

كل الأطفال الماهرة

في ليلة العيد الباهرة

اجعلي قلوبنا ساهرة

وكذلك مذكرة من مدرس بمدرسة الإتحاد العليا للبنات للسيد مساعد المحافظ للشؤون التعليمية بتاريخ ١٩٨٠/٣/٢٢م حيث يقول : إن المدرسة تقيم لقاءً بين المدرسات الإنجليزيات المسيحيات وطالبات مسلمات لاستمالتهن للنصرانية وبلبلة عقيدتهن الاسلامية ، كما فرضت المدرسة على الطالبات صلوات وتراتيل كنسية تقام كل يوم قبل بدء الدراسة ، وقد تأثر بعض الطالبات بما سمعن من دعاية للمسيحية وتنسيق لها إذ مال بعض الطالبات إلى النصرانية واعتنقنها ، وقد طالب الاستاذ بوضع نظام محكم للإشراف من قبل وزارة التربية والتوجيه لمكافحة عملية التنصير التي تتم تحت ستار التعليم ولسد منافذ التضليل والتغرير بالطالبات الساذجات [١].

فهذا هو ديدن النصارى : اتخذوا العلم ستارا ومدخلا للتنصير ونشر عقيدة الثالوث بين شباب وشابات المسلمين .

وهنا يأتي السؤال الذي يطرح نفسه : وهو لماذا يلجأ بعض المسلمين إلى إرسال أبنائهم وبناتهم إلى هذه المدارس التنصيرية ويفضلونها على مدارس الحكومة؟

وتكمن الإجابة في الأسباب الآتية :

١ - لاعتقادهم بأنها أفضل بكثير من المدارس الحكومية من حيث النظام ومستوى الخدمات ومستوى التعليم ، وذلك لأن القائمين على المدارس التنصيرية يحرصون كل الحرص على أن تكون مدارسهم من أرقى المدارس من جهات عديدة ، منها الموقع والمظهر وتنوع الأنشطة المدرسية من رياضية وثقافية ورحلات ، وتنويع

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص : ١٧٥ .

المناهج ، والأساليب السهلة في التدريس والإمتحانات .

٢ - قبولها للتلاميذ في وقت مبكر .

٣ - تقديم اللغة الإنجليزية في وقت مبكر بالمقارنة مع المدارس الحكومية التي تبدأ تدريسها في المرحلة المتوسطة .

٤ - هروبا من المدارس الحكومية لزحمة الفصول فيها وتدني المستويات وانعدام الضبط والربط .

٥ - تناسب نوع التدريس الذي كان يلقاه بعض الطلاب السودانيين الذين كانوا يدرسون بالخارج مع ذويهم .

٦ - نظام إرسال التقارير الدورية لأولياء الأمور عن سير وسلوك أبنائهم وبناتهم .

إننا لو حرصنا على توفير المهم من هذه المميزات والصفات في مدارسنا الحكومية التي يعتقد بعض الناس توفرها في المدارس الكنسية لما وجد المنصرون منفذا لنفث سمومهم الفكرية في مجتمعنا الإسلامي .
ومع هذا فقد ثبت من نتائج امتحانات الشهادة السودانية أن مدارس كمبوني وغيرها من مدارس الإرساليات لاتتفوق على المدارس الحكومية وترتيبها يأتي في مستوى غيرها من المدارس السودانية ذات المستوى المتوسط ، ولكن خطورتها تكمن في أنها تخرج أبناء الطبقات العليا دون تسليح كاف بالتربية الإسلامية واللغة العربية .

وتعدهم حسب منهج اكسفورد ولندن ومن خريجيها ينتقل الكثيرون إلى أوروبا حيث يكمل انسلاخهم عن مجتمعهم ، بعد أن كانوا قد تلقوا المبادئ المسيحية في مدارسهم .

ومن أبرز مايمثل هذا التغلغل المسيحي وسط الطلاب من خلال التعليم ماكتبه القس : (هـ . دانتي) في كتابه عن مؤتمر المبشرين المنعقد

في القدس عام ١٩٣٥م ، يقول في أول الكتاب : «كان التعليم وسيلة قيمة إلى طبع معرفة تتعلق بالعقيدة المسيحية والعبادة المسيحية في نفوس الطلاب» والمؤلف يفرق بين المدارس المسيحية والمدارس التبشيرية بأن الأخيرة تحاول نقل الطلاب من مذاهب مختلفة إلى مذهبها هي ، أما المدارس المسيحية فإنها تحاول أن تهيئ للطالب من أي مذهب كان جوا مسيحيا وتحمله فيه على التقوى المسيحية والسلوك المسيحي ، وخاصة مادام طفلا ، وهكذا ينشأ الطالب وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة [١].

ويقول المبشر «جون موط» : إن الأثر المفسد للإسلام يبدأ باكرا جدا ومن أجل ذلك يجب حمل الأطفال الصغار إلى المسيحية قبل بلوغهم سن الرشد وقبل أن تأخذ طبائعهم أشكالها الإسلامية .

وفكرة «جون موط» هذه في كون التعليم وسيلة مهمة تؤدي في المستقبل إلى غاية منشودة وهي التنصير - قد لقيت نجاحا كبيرا في البلدان الإفريقية أو البلدان الإسلامية بصفة عامة ، فالموظف الذي يحتل مركزا مرموقا في التشكيلة الإدارية لبلاده ، يعجبه أن يذهب بأولاده إلى المدارس التبشيرية ، التي تتميز غالبا بأقسامها الداخلية .

وغيرها من المميزات التي سبق ذكرها ، فينقطع الصبي عن الأسرة أسابيع متتالية فيأخذ ويتأثر بأسلوب التعليم في المدارس التبشيرية فهذا إن لم يعتنق المسيحية فعلا إلا أن غاية التبشير المتمثلة في إفساده وجعله مماثلا للنصارى في زيه وأخلاقه ، وممارساته وتفكيره ، قد تحققت فيه ، وهذا مايهدف إليه المبشرون من تشييد مدارسهم

---

(١) مصطفى الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٦٧ - ٦٨ .

التبشيرية .

ويقول في ذلك المبشر « تكلي » [١] : يجب أن نشجع إنشاء المدارس وأن نشجع على الأخص التعليم الغربي ... إن كثيرا من المسلمين قد تزعزع اعتقادهم حينما تعلموا اللغة الإنجليزية ، إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس أمرا صعبا جدا .

ومن أقوال المبشرين عامة نفهم كيف أن المبشرين فعلا لم يتمكنوا من إفساد المسلمين بجعلهم نصارى ولكنهم اقتنعوا بأن يلونوا الطلاب المسلمين بالنصرانية ، وبالفكر الغربي ، تلوينا من شأنه أن يبعدهم عن الالتزام بعقيدتهم الاسلامية ، وبمبادئها السمحة ، ويدنيهم بعض الدنو من النصرانية ، فهم أي المبشرون ، قد خابوا فعلا في تحقيق هدفهم الأساسي من التنصير فلم ينقلب من أفراد المسلمين إلى المسيحية إلا أفراد قليلون ، لم يستطيعوا أن يتحدوا مع مجتمعهم وعامة الشعب فلاقوا بؤسا ، ثم عادوا إلى حظيرة الإسلام ليعيشوا في ظل مجتمعهم الفسيح ، ولكنهم نجحوا في تفكيك أواصر القربى الروحية بين الأمة الإسلامية ومبادئ عقيدتها ، فاستطاعوا بذلك أن يحكموا الشعوب الإسلامية ويستغلوا بلادها اقتصاديا .

---

(١) سيد أحمد يحيى : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص١١٧ ، دار العمير للثقافة والنشر ، جدة ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

وفي جبال النوبا قد بذلت كل من ارساليتي السودان المتحدة (S.U.M) وجمعة التبشير الكنسي (C.M.S) ، جهودا كبيرة في هذا المجال [١] ففتحت المدارس العديدة في المناطق المختلفة من الجبال ، وكان لكل منهما رأيه في اللغة المشتركة بين النوبا والتي تصلح كوسيلة للتعليم . فكانت إرسالية السودان المتحدة تفضل اللهجة المحلية المكتوبة بالأحرف الرومانية ، بينما كانت إرسالية جمعية التبشير الكنسي تفضل اللغة الإنجليزية ، وكل هذا كان تحاشيا لاستعمال اللغة العربية التي كانت لدى الإرساليتين قناعة تامة بأن التدريس بها سوف يؤدي إلى انتشار التعريب والإسلام بين أبناء الجبال ، وهذا ما كانت الحكومة والإرساليات تتحاشاه .

وتكاد تكون جهود إرسالية جمعية التبشير الكنسي محصورة في تعليم الأولاد ، بينما امتدت جهود إرسالية السودان المتحدة لتشمل تعليم البنات كذلك ، فكانت كل مدارسها مختلطة [٢] على العكس من رصيفتها « جمعية التبشير الكنسي » التي لم يكن لها مدارس للبنات ولم تقبل البنات في مدارس الأولاد .

وكان التعليم الذي تقوم به هذه الإرساليات يستند أساسا على التأثيرات المسيحية ، وكان أبناء النوبا يتعلمون حياة المسيح كأنموذج

---

(١) Kordfan Province. 1 / 14171. (S.U.M) Annual Report, 1922, Kordfan Province, 1 / 14175, Annual Report. iv 2.5 / 1925.

(٢) على سبيل المثال فقد بلغ عدد التلاميذ والتلميذات والموظفين والموظفات في مركز هيبان ٣٠٠ شخص في عام ١٩٥٢ م وكانت مدرسة عبري قد بلغ عدد طلابها عام ١٩٢٣ م حوالي أربعة وخمسين طالباً وتسع طالبات ، انظر المبحث الأول الفصل الثاني من هذا البحث « مركز هيبان وعبري » .

ينبغي أن تكون عليه حياة الإنسان في الدنيا وكانت قصص الإنجيل والتي كتبت باللهجات المحلية وبالعربية العامية تقرأ دائما على التلاميذ [١].

أما الهدف من هذه الجهود المبذولة في مجال التعليم فيتضح من كلام المبشر الأمريكي «هنري جسب» (h. jessup) إذ يقول : « .. إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط وهذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية ... ذلك لأن الجميعات التبشيرية تسعى إلى أهداف روحية فحسب » وكان جسب قد قال قبل ذلك : إن المدارس شرط أساس لنجاح التبشير ، وهي بعد هذا واسطة لاغاية في نفسها ، لقد كانت المدارس تسمى بالاضافة إلى التبشير «دق الإسفين» وكانت في الحقيقة كذلك في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة ، لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الانجيل أو المبشرون من طريق آخر [٢].

فالمدرسة تتيح للمنصرين الإتصال بالناس وتمكنهم من تقديم دعوتهم لهم ، لذلك قال اليسوعيون : «إن المبشر الأول هو المدرسة» [٣].

ويرى بعضهم أن المدارس قوة لجعل الناشئين تحت تأثير التعليم المسيحي أكثر من كل قوة أخرى ، ثم إن هذا التأثير يستمر حتى يشمل أولئك الذين سيصبحون يوما ما قادة في أوطانهم [٤].

---

(١) الإسلام في السودان ، ص٢٨٧ .

(٢) مصطفى الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٦٦ - ٦٧ .

(٣) المصدر نفسه ، ص٧١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص٦٧ .

ويلاحظ أن معظم هذه المدارس التبشيرية ترفض أن تتقيد بالمنهج الرسمي للبلاد ، كما هو الحال في « مدارس كمبوني » المنتشرة في البلاد.

ذلك لأن تقيد هذه المدارس بالمنهج الرسمي يفقدها صفتها التبشيرية ويجعلها مدرسة في عداد المدارس الوطنية فتبطل الغاية من وجودها .

وكان من شروط اتفاق الإرساليات مع الحكومة الاستعمارية للعمل في جبال النوبا أن يتولوا هم « المبشرون » التعليم في جميع مراحله ودرجاته وبمختلف أنواعه ، ولذلك شرعت الإرساليات في إعداد المدارس والمراكز التبشيرية والتعليمية وألحقت بها رياض الأطفال حتى تكتمل العملية التنصيرية ، ونرى تركيز الكنائس على رياض الأطفال حتى يومنا هذا ، ذلك لأن رياض الأطفال والمدارس الأولية بيئة مهمة جدا للتعليم الديني ، وهذا مايجعلها بابا مفتوحا للتبشير والتأثير في عقول الأطفال الغضة ، ثم إن الذين يشرفون على رياض الأطفال يكونون أكثر اتصالا بأهل الطلاب من الذين يشرفون على المدارس العالية وفيما يلي نذكر أهم المدارس ورياض الأطفال التي أنشأتها الكنائس بمنطقة الجبال لتباشر عملها وسط أطفال المنطقة : -

١ - روضة أطفال الكنيسة الكاثوليكية بالدلنج ، وتضم عشرين طفلا وطفلة.

٢ - روضة أطفال الكنيسة البروتستانتية بالدلنج .

٣ - روضة أطفال كنيسة كادوقلي الكاثوليكية وتضم ٣٠ طفلا وطفلة .

٤ - روضة أطفال الكنيسة الإنجيلية بقرية الهبيك ريفي كادوقلي وتضم ٥٠ طفلا وطفلة .

٥ - رياض الأطفال بكنائس هيبان وتضم أكثر من ٣٠٠ طفلا وطفلة .

٦ - روضة أطفال كنيسة الشواية الإنجيلية وتضم ٣٠ طفلا وطفلة .

٧ - مدرسة أطفال جلد وتضم (٣٥) طفلا وطفلة وتقوم بتدريس تعاليم المسيحية للأطفال .

٨ - المدرسة الابتدائية للبنات بكدبر - تتبع كنيسة كدبر .

كذلك تضم هذه الكنائس عددا من فصول محو الأمية وتعليم الكبار وفصول الخياطة النسائية وفصول تقوية لطلاب المدارس الثانوية وغيرها من الأنشطة التعليمية التي تستغل في إيصال عقائد النصارى إلى أفكار وعقول المسلمين وفيما يلي نذكر أهم هذه الفصول :

أولا : فصول محو الأمية وتعليم الكبار :

١ - فصل لتعليم الكبار بكنيسة الدلنج الكاثوليكية .

٢ - فصل لتعليم الكبار ومحو الأمية بكنيسة الدلنج البروتستانية .

٣ - مدرسة محو الأمية بكنيسة كادوقلي الكاثوليكية .

٤ - الأنشطة التعليمية بكنائس هيبان وفصول التنجيل .

ثانيا : فصول الخياطة والتقوية :

١ - فصل تعليم الخياطة بكنيسة كادوقلي الكاثوليكية ويضم ٢٥ دارسة.

٢ - فصل تعليم الخياطة بكنيسة الدلنج الكاثوليكية ويضم ١٥ دارسة .

٣ - فصل تقوية للغة الإنجليزية بالكنيسة البروتستانتية بالدلنج .

٤ - فصل تقوية بكنيسة كادوقلي الكاثوليكية .

هذا ما كان ظاهرا للعيان وملموسا أما ما خفي فهو أعظم ، لأن معظم الكنائس في الأرياف البعيدةتقوم بدور التعليم ويخلو لها الجو من المنافس .

وكذلك كانت المدارس الابتدائية « مدارس الغابات » أو مايعرف بمدارس الأحراش "Under bushesschools" وسيلة ثمينة للتنصير في جبال النوبا ، لأنها مكنت للإرساليات التبشيرية من تثبيت أقدامها في القرى تحت ستار التعليم الذي تحتاج إليه القرى في المقام الأول ، وكذلك تتميز هذه المدارس على الكليات العليا بكونها تمكن المبشر من أن يصل إلى عقول التلاميذ وهي لاتزال غضة تتأثر بما يلقى إليها .

ومدارس الأحراش أو مايطلق عليه في بعض الأحيان « مدارس القرى» هي عبارة عن مدرسة إرسالية يقوم بالتدريس فيها مدرسون وطنيون تم تعميدهم وحصلوا على شهادة التدريس التي تمنحها المدارس الأولية ، وهذا النوع من المدارس أشبه بالخلاوي [١] في شمال السودان ، وعادة مثل هذه المدارس لاتدعمها الحكومة ولاتشرف عليها بل تترك أمر تمويلها والإشراف عليها على الإرساليات والمجامع الكنسية للإرساليات الوطنية [٢] كما هي أيضا لاتشرف على الخلاوي ولا تدعمها بل تقوم على جهود الشيخ ومساعديه ، ولكن في الآونة الأخيرة بدأت الحكومة تدعم وتسهم في تأسيس هذه الخلاوي .

ويتم إنشاء مثل هذه المدارس في القرى بموافقة مفتش القسم وشيخ القبيلة وتعتبر هذه المدارس بمثابة المرحلة التمهيدية للمدرسة الأولية ، وتكون الدراسة فيها بوجه عام غير منتظمة ، ويبقى التلميذ للدراسة فيها لفترات منقطعة ، تمتد مابين عدة أسابيع إلى بضع شهور .

---

(١) الخلاوي : جمع خلوة ، وهي مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم يقوم عليها شيخ مقرىء لتدريس التلاميذ الصغار .

(٢) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٧٤ .

ومن حيث المادة الدراسية في هذه المدارس فهي تركز أساسا على تلقين مبادئ المسيحية عن طريق السؤال والجواب ومن أمثلة ذلك [١] :

س : من يسوع المسيح ؟

ج : يسوع المسيح ابن الله تأنس من أجلنا .

س : هل للكنيسة رئيس يمكن رؤيته على الأرض ؟

ج : للكنيسة رئيس يمكن رؤيته على الأرض ، إنه أسقف روما الحبر الأعظم قداسة البابا .

وبعد انتهاء فترة الدراسة في مدارس التلقين يتوجه الملقن بالتلاميذ في وقت معين ، وفي كثير من الأحيان بعد كل شهر وفي أيام الأحاد إلى مقر الإرسالية لإجراء مراسم التعميد ، التي يحضرها أقارب وأصدقاء المنصرين ، وتقام وليمة كبرى تصحبها إيقاعات الطبول ثم يسجل الاسم الجديد الذي أطلق على المعمد في قائمة المسيحيين الوطنيين الذين هم في انتظار إجراءات مراسيم التثبيت والتي عادة مايقوم بها الأسقف ، وهي آخر مراحل انتماء الوثني للنصرانية حيث بعدها ينفصل عن مجتمعه الوثني وبعد وفاته يدفن في جبانة المسيحيين [٢].

إن مايؤخذ على هذا النوع من المدارس إنها كانت تقوم باسم التعليم بتنصير الأطفال القصر وتعميدهم دون اعتبار لرأي أولياء أمور التلاميذ وآبائهم .

فكانت بذلك من أكبر وسائل نشر النصرانية في المنطقة ، إذ تقوم بإعداد الأطفال وهم صغار وتنشئتهم تنشئة مسيحية حتى إذا ما وصلوا

---

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص١٧٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١٧٦ .

إلى المرحلة الأولية اعتبروا مسيحيين وأعدوا ليصبحوا ملقنيين للمبادئ الأولية للنصرانية في قراهم النائية ، وأما اليوم وبعد أن تغيرت استراتيجية الحركة التبشيرية إلى التركيز على الأماكن الحضرية الجاذبة للشباب في المدن تحول الاهتمام فأصبح أكثر تركيزا على رياض الأطفال والأندية والجمعيات في المدن .

كذلك اهتم المبشرون أيضا بالتعليم العالي ولم يكتفوا بإفساد عقائد الصغار وزرع الأفكار النصرانية في عقول الناشئة ، وذلك لأن التعليم العالي يساعدهم في الوصول إلى الطبقة المثقفة ، بل لعله أهم مراحل التعليم كلها ، ولقد أدرك المنصرون منذ زمن بعيد أن التبشير قد خاب لأن الأفراد الذين لفتهم المبشرون عن الاسلام إلى النصرانية كانوا قليلين ، ولم يكن لهم الأثر المنتظر ، فلما اعتقدوا أن لاقدرة لهم على جعل المسلم نصرانيا أحبوا أن يجعلوا الآراء المسيحية تتسرب إلي المسلمين المثقفين منهم خاصة ثم إنهم اعتقدوا أن هذه الآراء تتسرب بعدئذ من تلقاء نفسها إلى المجتمع الاسلامي ، هذه هي الفكرة التي أقنعت المنصرين بضرورة إنشاء المعاهد العالية في البلاد الاسلامية [١].

وكذلك كان للمبشرين غاية أخرى من التعليم العالي ، هي أن يؤثروا في قادة الرأي في البلاد ، وفي الجيل الناشئ في الشرق الأدنى خاصة ، ذلك التأثير الذي لايمكن أن يتحقق إذا لم يكن ثمة تعليم عال وعلى هذا الأساس أوجد المبشرون البروتستانت كلية في بيروت عام ١٨٦٢م وجعلوا على رأسها القس «دانيال بلس» هذه الكلية أصبحت فيما بعد الكلية السورية الإنجيلية ، ثم هي اليوم الجامعة الأمريكية في

---

(١) الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار ، ص٧٩ .

بيروت [١] وكذلك أنشأوا كلية غوردون التذكارية الإنجليزية في الخرطوم بالسودان ، والتي أسسها الإنجليز عام ١٩٠٣م تخليدا لذكرى الضابط الإنجليزي تشارس غوردون الذي اغتيل في السودان إبان أحداث الثورة المهدية ١٨٨٥م وكان حاكما عاما على السودان آنذاك [٢].

ومايدل على أن هدف المبشرين من هذه المؤسسات التعليمية العالية هو التنصير موقف المبشر « هنري جسب » ورأيه في هذه الكلية التي سماها « فضيحة كلية غوردون » فكان جسب يقول : إن الحكومة الإنجليزية لما قدرت فتح هذه الكلية جمعت لها مائة ألف جنيه من انجلترا ، ولكنها أغلقتها في وجه التبشير المسيحي ، ثم يستغرب جسب كيف أن هذه الكلية تعلم القرآن ولاتعلم التوراة والإنجيل ، ثم تفتح أبوابها يوم الأحد وتعطل يوم الجمعة ، ويواصل جسب حملته الشعواء فيقول : ومادام غوردون مسيحيا فيجب أن تكون الكلية التي سميت باسمه تبشيرية مسيحية ولاتكون حجابا بين السودانيين وبين التوارة .

إن جسب يريد أن تكون المدرسة المسلمة بتلاميذها المسلمين في البلد المسلم مؤسسة تبشيرية مسيحية لأن الرجل الذي تحمل اسمه تلك المؤسسة مسيحي ولأن الحكم في السودان كان انجليزيا ، فجسب لم ينظر إلى هذه الموسسة بأنها مؤسسة تعليمية ولو بأدنى درجة أو اعتبار ، وإنما كان هدفه الأول هو التنصير وفي رأيي أن هذه المؤسسات التعليمية العالية التي أسسها المنصرون قد نجحوا في إنشائها إلى حد

---

(١) الخالدي وفروخ : التعليم والاستعمار في البلاد العربية ، ص٧٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص١١٠ .

كبير فهذه المؤسسات قد خرجت لنا أناسا لاهم بالمسلمين ولاهم بالنصارى، صحيح أنهم لم يتنصروا ويعتنقوا عقيدة الثالوث، لكنهم شوهت أفكارهم وتم سلخهم عن معتقدهم الإسلامي فأصبحوا في منزلة بين المنزلتين فكانت هي العلمانية السافرة والموالاة للغرب والإعجاب به وتقليده في كل شيئ.

ب ـ الخدمات الاجتماعية:

الأعمال الاجتماعية هي المناسبات التي تربط بعض البشر ببعضهم عرضا، أو تتيح لبعض الناس أن يعرفوا بعضهم الآخر. إن البشر عادة مقسمون حسب أعمالهم فقلما يتاح مثلا للطبيب المنصرف إلى عمله وعلمه أن يجتمع بالتاجر، أو العامل أو الصانع أو المزارع، أو تجد شخصا من مدينة يجتمع بآخر من مدينة أخرى أو من حي آخر في مدينته، والانسان بطبعه اجتماعي ينفر من الوحدة، ومن أجل ذلك يلجأ الناس عادة إلى إيجاد جو اجتماعي يجمع بينهم في مناسبات عدة في الحفلات الرياضية والخطابية وفي الأندية الأدبية والسياسية، وفي الجمعيات الخيرية والتعاونية والثقافية، وفي الإتصال فيما بينهم عن طريق الصحف والمجلات وأعمال البر والإحسان وغيرها [١].

ولهذا نجد أن الكنيسة قد اهتمت بهذا المجال وركزت عملها فيه ففي أي مدينة أو قرية في منطقة جبال النوبا نجد أن الكنيسة قد كونت لها لجان أو مجالس أو جمعيات تعاونية أو ثقافية أو أندية ترعى مصالحها من خلالها وتستغلها في أعمالها التنصيرية ويقوم كل قسيس أو مجموعة من الراهبات بتولي مسؤولية الرعاية والإشراف على هذه

(١) الخالدي وفروخ: التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص١٩١.

المؤسسات والقيام بالزيارات المنزلية لتفقد الأسر ، وإقامة الصلوات وعيادة المرضى وتقديم المساعدات في المجالات التي تحتاجها الأسرة ، من غذاء ودواء وملبس ومأوى ومساعدات نقدية في بعض الأحيان [(١)].

ولعل الهدف الرئيس للخدمات الاجتماعية التي تقدمها الإرساليات والكنائس هو :

١ - إيجاد ثقة نفسية بينهم وبين الأهالي وتهيئة القلوب للعمل التبشيري .

٢ - العمل الإيجابي لنشر المسيحية في أوساط من لايؤمنون بها ونشر الحضارة المسيحية ومبادئها .

٣ - تحييد نظرة المسلمين للتبشير المسيحي باعتبار ما يؤديه خدمة هامة وضرورية للمجتمع لاسيما أن قيام الإرساليات والكنائس بالخدمات أدى إلى اهمال الحكومة لمسؤولياتها في هذا الشأن في مناطق الحاجة ، إذ يتحتم عليها امداد تلك المناطق المعنية بالتعليم والعلاج والخدمات البديلة للنشاط الكنسي ، وقد لخص هذه المبادئ منشور البابا بيوس الثاني عشر في ٢ يونيو (١٩٥١م) بالنص التالي [(٢)]

"الإهتمام بحل مسائل العمل والعمال في ضوء المبادئ الكاثوليكية بأن يتخذ التبشير وجهة دينية اجتماعية في أوساط العمال في إفريقيا وآسيا لوقاية طبقات العمال من الوقوع في فلك الدعاية الشيوعية

---

(١) حسن دينج مجوك : مستشار مؤسسة موفق الخيرية ، بحث عن العمل الكنسي في ولاية كردفان ص٤ ، مطبوع على الآلة الكاتبة .

(٢) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٧٨ .

ومقاومة النزعات الماركسية وإفساح المجال لتعاون المبشرين العلمانيين المندمجين في جمعيات العمل الكاثوليكي مع الإرساليات التبشيرية وتوسيع نطاق صفوف هذه الجمعيات بحيث تضم الرجال والنساء وهيئات الطلاب والعمال وأرباب الحرف ومجالات الرياضة البدنية والعون الاجتماعي ، والإهتمام بوجه أخص بالنشاط الطبي والصحي والاجتماعي باعتباره أداة ناجحة مؤدية إلى طريق الانجيل والسعي لإقامة مجتمع مسيحي يخضع لمبادئ الكاثوليكية .

وتاريخ الخدمات الاجتماعية التبشيرية في السودان يتصل ببداية دخول أول فوج من المبشرين إلى السودان فيما قبل عام ١٨٥٠م وقد تقدم أن ذكرنا كيف أن المطران دانيال كمبوني استغل حادث فيضان النيل عام ١٨٧٩م وقام بجمع الأموال والمساعدات من أوروبا ووزعها على الأهالي في السودان .

ولعلنا نذكر بعض الأمثلة لما تقدمه الكنائس من خدمات اجتماعية بجبال النوبا :

- قامت كنيسة الدلنج عام ١٩٩٠م بتكوين جمعيات تعاونية متعددة الأغراض استقطبت فيها المواطنين ومدتهم بأموال كثيرة كرأسمال لتكون هذه الجمعيات ، واستجلبت طواحين غلال لبعض القرى كما قامت بجلب الآليات الزراعية لحرث الأرض وزراعتها للمزارعين بأقل الأسعار بدون تمييز بين المسلمين والنصارى وذلك تحبيبا للمسلمين في الكنيسة ، كما قدمت مساعدات نقدية وسلفيات للمزارعين لتمويل زراعتهم وقد ركزت في هذه الناحية على غير المسلمين إغراءً لهم واستمالة لمواطنيهم نحو الكنيسة .

كما تقوم الكنائس بانشاء الجمعيات والروابط الشبابية والنسائية

وتقديم الدعم لهذه الجمعيات والروابط، وتدعم أعمالها كالرحلات والزيارات مثل ما تقوم به جمعية شباب المسيح التي تضم الشباب المسلمين والنصارى من الجنسين ، واستغلال هذه الجمعيات في أغراض تنصيرية .

كما قامت كنيسة «دري» عام ١٩٨٥م وبعدها بتوزيع الأموال النقدية على الفقراء داخل الكنيسة فيضطر ضعاف الإيمان لدخول الكنائس لتلقى هذه الإعانات .

كما تقوم الكنيسة بعمل كرنفالات الزواج الجماعي التي يتم العقد فيها على نفقة الكنيسة .

كذلك تقيم الكنائس ملاجئ للأيتام والمشردين ومنازل للضيافة يمكن لأي غريب أو عابر سبيل أن يقف بها ويقيم لمدة أيام وهو يجد كل الترحيب والكلام الطيب.

هذا بالاضافة لما تقدمه الكنائس من الخدمات الفردية كالمساعدات الصغيرة التي يقدمها المبشرون للأهالي وخاصة ذوي المكانة منهم والبارزين في المجتمع ولو كانوا غير مسيحيين كزعماء الكجور مثلا .

وهذه الأعمال الخيرية لم يكن دافع الخير والإحسان هو السبب الرئيسي فيها بل قد يأتي هذا السبب في ذيل قائمة الأهداف المرجوة من ذلك او لا يأتي أصلا ، لأننا نعلم أن المبشرين لم يكونوا محسنين بالمعنى النبيل الذي نفهمه من هذه الكلمة ، ولكنهم كانوا يستغلون ما بأيديهم من وسائل الإحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم التنصيرية .

أما كيف يستغل المبشرون أعمال الخير في سبيل التبشير، فانظر إلى ما كتبه أحدهم وهو المر دوغلاس بمقال عنوانه «كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر» ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال إفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا ، ثم قال إن هذا السبيل لايجعل الأطفال نصارى ولكنه لايبقيهم مسلمين كآبائهم [١].

الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الإرساليات والكنائس لأبناء جبال النوبا في العاصمة الخرطوم :

بعد إعلان زوال الحكم الاستعماري عن السودان وإعلان السودان دولة مستقلة ورفع القيود عن الهجرة لأبناء الجنوب وجبال النوبا إلى الشمال والتي كان قد فرضها عليهم الاستعمار بدأ هؤلاء في الهجرة إلى المدن الشمالية الكبرى وخاصة العاصمة الخرطوم ، بحثا عن العمل في الحرف البسيطة والأعمال اليومية وللخدمة في المتاجر والمصانع والمنازل وقد ازدادت هجرة أبناء جبال النوبا ، فسارعت المؤسسات الكنسية والتبشيرية للاستفادة من الظروف التي يعمل في نطاقها هولاء البسطاء الذين يعيشون بعواطفهم القبلية البدائية فأظهرت لهم الحنان والعواطف واحتضنتهم واهتمت بمشاكلهم الخاصة كمشكلة السكن ونظمت لهم الصلوات والدروس الليلية وأقامت لهم أندية اجتماعية وفرقا تمثيلية واهتمت بإرسال مندوبين من أهلهم للإتصال بهم والتعرف على مشاكلهم بل وجعلتهم يتخذون من الكنيسة مكانا دالا على

---

(١) مصطفى الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص١٩٤ .

وجودهم ، فرسائلهم تصل عن طريق الكنيسة وبواسطتها يتصلون بأهلهم كما وفرت لهم الجو الاجتماعي الذي يعين على تماسكهم ومواجهة صعوبات الحياة في المدينة بل إن القادم الجديد للمدينة يجد مندوب الكنيسة في انتظاره حيث يأخذه من محطة القطار أو محطة النقل الجماعي « موقف العربات » إلى منزل الضيافة الكنسية ومن هناك يبدأ التعرف على المدينة وهكذا وبدلا من أن تؤدي الهجرة إلى تقوية صلاة الود بين أجزاء الوطن الواحد ودعم الرابطة بين أبنائه كان نتيجة هذه الخدمات تثبيت النفور وتسعر العداء الذي ليس له مايبرره .

إن الكنيسة عندما تقدم خدماتها لاتسعى لأن تتحول إلى مؤسسة خدمات كما فطن لذلك قس الكنيسة الأسقفية السودانية السابق « سبنسر ترمنجهام » وإنما تستخدم الخدمات الاجتماعية وسيلة للتبشير وأداة لتحطيم النظام الاجتماعي للإسلام حتى لايقوم بالتأثير على الوافدين [١].

وفيما يلي نذكر نماذج من هذه الخدمات الاجتماعية التي تقدمها المؤسسات الكنسية لهؤلاء الوافدين والتي اتخذت أشكالا وأساليب متعددة في الآونة الأخيرة وهي كالآتي :

١ - رعاية المرضى في المستشفيات وشراء الأدوية لهم .
٢ - إقامة مستشفى الراهبات للولادة حيث يتم الحجز للولادة للوافدين وسكان المناطق المتخلفة بالمجان ، بينما يدفع بقية المواطنين الآخرين تكاليف خدمات المستشفى .
٣ - إقامة الزواج الجماعي للوافدين والعمال الموسميين في الكنائس .

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٧٩ .

٤ - تعميد الأطفال بأسماء نصرانية .

٥ - إقامة الفرق الرياضية والترفيهية على كافة المستويات .

٦ - الزيارة والطواف على سكان مناطق الأطراف والأحياء العشوائية .

٧ - إقامة الكرنفالات والمهرجانات في أعياد الميلاد وغيرها وتوزيع كروت عيد الميلاد .

٨ - جمع التبرعات وتوزيعها على المحتاجين .

٩ - بناء صداقات بين المسيحيين الجدد .

١٠ - دفن الموتى على الطريقة الكنسية .

١١ - اعترافات الخاطئين للقديسين .

١٢ - توزيع الغذاء والبطاطين للمسجونين .

١٣ - مجاملة المسجونين في المناسبات وجعلهم يشعرون أنهم ينتمون لجهة ما وأن الكنيسة تتحرك من أجلهم .

١٤ - تأجير بيوت الضيافة الفسيحة للنزلاء والغرباء والعابرين للإقامة بها .

١٥ - إقامة حلقات محو الأمية والإرشاد الصحي والديني في أي مكان في أحياء الأطراف ، سواء كان منزلا أو ميدانا، أو ناديا .

١٦ - ملء فراغ الأهالي والسكان بتنظيم احتفالات الغناء والرقص .

١٧ - تعهد الملاجئ وقرى الأطفال والعناية باللقطاء وتبني القساوسة للصغار نيابة عن ذويهم وتعليمهم مما يؤدي إلى سيطرة الكنيسة على مستقبلهم وتكييف وضعهم ما يؤدي إلى ربطهم من المهد إلى اللحد بعجلة الكنيسة.

١٨ - تقديم خدمات للأسر من إرشاد وتعليم وفصول خياطة ورياض الأطفال .

١٩ - إقامة الجمعيات التعاونية والطواحين لطحن الغلال مما أدى لتكثيف العمل الاجتماعي ، كما أن المسيحيين العاملين في هذه المؤسسات «نوبا وجنوبيون وغيرهم» يتمتعون بيومي عطلة في الاسبوع هما الجمعة والأحد .

بل إن بعضهم يتعمد أن يتنصر من أجل عطلة يوم الأحد ، أما النوبا والجنوبيون فيعتبرون أن إعلان يوم الأحد عطلة جاء نتيجة لكفاح الكنيسة ويعتبرونه انجازا سياسيا واجتماعيا حققته لهم الكنيسة ولذلك فهذا اليوم له طعم خاص عندهم .

هذه بعض المعالم البارزة لما تقدمه الإرساليات والمؤسسات الكنسية من خدمات اجتماعية وتعليمية تستميل بها قلوب السذج البسطاء للنصرانية ، ولا شك أن هذه الخدمات كان لها الدور الكبير في زيادة التغلغل النصراني في المنطقة وخاصة المجال التعليمي .

المبحث الرابع
وسائل الإعلام

الإعلام من الوسائل الخطيرة والمؤثرة جداً في نفس متلقية إذ أن المادة الإعلامية حينما يرسلها المرسل عبر وسيلة ما ويستقبلها المستقبل فإنها تترك في نفسه أثرا بالغا وهو أيضا سريع التأثير وفعال جدا .إذ أن أثره أشد خطورة من تأثير التعليم ومناهجه .

إضافة إلى كونه أعم وأشمل حيث يخاطب الملايين من البشر مثقفين وغير مثقفين متعلمين وجهالا ، وأكثر هذه الملايين سذج تؤثر فيهم الكلمة المقروئة أو المسموعة أو المنظورة وهنا تكمن المصيبة والطامة الكبرى .

فإن كانت هذه الكلمة طيبة ، كانت كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها وكان مردودها طيبا وانعكاساتها حسنة ، وإن كانت كلمة خبيثة كان مردودها خبيثا وتهوي بسامعها من فوق الأرض ماله من قرار . ومن هنا كان اهتمام الإسلام بالكلمة وبأمانتها فهي إما أن ترتفع بالمؤمنين إلى معية الشهداء وإما أن تهوي بقائلها في النار سبعين خريفا .

لذلك لجأ المنصرون إلى استخدام هذه الوسيلة السريعة والفعالة في أغراضهم التنصيرية ونشر أفكارهم في مختلف بقاع العالم الإسلامي وأينما حلوا ، لأنهم أدركوا مدى خطورة توظيف وسائل الإعلام في التنصير فبذلوا الجهود الكبيرة وأنفقوا الأموال الكثيرة لهذا الغرض

فقد نشرت مجلة الدعوة السعودية [١] تقريرا عن مؤتمر مجلس الكنائس العالمي المنعقد في مدينة جنيف بسويسرا عام ١٩٧٨م صرح فيه الجنرال شاهي بونا رسيما تونج، مخاطبا المؤتمرين قائلا: «إنه يجب السيطرة على وسائل الإعلام خاصة التلفزيون».

كما نشرت مجلة دينية تصدر في «سويسرا» خبرا خطيرا مفاده أن قيمة الإنفاق على أعمال التنصير البروتستانتي في العالم بلغت مئة وخمسة وثلاثين مليون دولار، وزع منها على الدول الإسلامية مبلغ مائة وخمسة ملايين دولار ومبلغ ثلاثين مليون دولار أنفق في المجالات الإعلامية للتنصير [٢].

فهم يسخرون جميع وسائل الإعلام بكافة أشكالها من إذاعة وتلفزيون وسينما ومسرح ومجلات وصحف ونشرات وغيرها وبمختلف درجات تأثيرها وقد يركزون على بعضها بحسب مقتضى الظروف والحال وبحسب قوة التأثير لكل وسيلة.

ففي جبال النوبا لجأت الكنائس والمؤسسات التنصيرية إلى استخدام بعض هذه الوسائل بصورة أكبر من غيرها، فهي مثلا تركز على النشرات التي تحمل صورا وأفكارا مسيحية كصورة السيد المسيح وصورة السيدة مريم العذراء، وتوزع على الأهالي أثناء الزيارات والجولات التي يقوم بها المنصرون في المنطقة، وكذلك توزع داخل الكنائس وبالتالي تصبح هذه النشرات والمطبوعات في متناول كل أسرة وتصل إلى كل بيت.

---

(١) مجلة الدعوة : الرياض العدد ٧٨٢ ، ربيع الأول ١٤٠١ هـ .

(٢) مجلة الاصلاح : دبي ، العدد الثامن ، السنة الأولى ، ذي الحجة ١٣٩٨ هـ .

ولما كانت المنطقة تتسم عموما بالتخلف ولم يتم توسيع دائرة البث التلفازي حتى تشمل جميع أنحاء المنطقة لم يكن للتلفاز دور كوسيلة لنشر الأفكار ، وأعتقد أنه إذا تم ادخال التلفاز وغيره من وسائل الإعلام إلى المنطقة سوف لايكون هذا في صالح حركة التنصير ، لأنه سوف يؤدي إلى ربط المنطقة ببقية أنحاء البلاد ثقافيا واجتماعيا وهذا ما تخشاه الكنيسة ولا تريده ، ولأن الكنيسة لاتملك مثل هذه الوسائل كالتلفاز والإذاعة فهي الآن تستفيد من جو العزلة التي يعيشها أهل المنطقة ومن التخلف والفقر .

وبناءً على ذلك كان نشاط الكنيسة الإعلامي يتمثل في الندوات والمحاضرات والنشرات والسينما ، فمثلا كانت كنائس منطقة عبري لها ندوة ثابتة كل يوم أربعاء وترانيم وابتهالات ولها سينما متجولة تقوم بالطواف على ريف المنطقة كل يوم احد ، مما يكسر حدة روتين البيئة الريفية ، فهم في هذه السينما يمكنهم عرض ما يشاؤون على الناس ويعملون على مسخ عقولهم بتلك الأفلام [١].

كما أن لأجهزة الفيديو المتنقلة دور كبير في بث الأفكار النصرانية وهذا ما تستخدمه الكنائس أيضا .

أما الإذاعات ، فلا توجد إذاعة في منطقة جبال النوبا وليس هناك مجال للكنائس أن تنشئ مثل هذه الإذاعات وتوجهها إلى النوبا بلغتهم المحلية وذلك للصعوبات العملية في ذلك إذ أن المنطقة تتعدد فيها اللهجات « أكثر من ٦٠ لهجة » بالإضافة لعدم استقرار بعض هذه القبائل كما أن اهتماها بالمواشي والزراعة لايجعلها تستمع إلى ما يذاع أيا كان

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢١٠ .

شكله ونوعه .

ولكن هناك إذاعة «ساعة الإصلاح» تبث برامجها من الخرطوم باللغة العربية لتغطي مناطق واسعة من العالم العربي والإسلامي بالاضافة إلى السودان ، ويصل مدى بثها الإذاعي إلى جمهورية أندونيسيا شرقا وقد سمعتها عدة مرات وهي تدعو صراحة للنصرانية وتنشر تعاليم المسيح المخلص ابن الرب ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ وتدعو مستمعيها إلى الكتابة إليها عن طريق صندوق البريد رقم (٢٢) .

كما أن هناك عددا من الإذاعات التنصيرية الموجهة من الخارج إلى السودان والمنطقة العربية والإسلامية بصفة عامة وهي [١] :

١ - إذاعة صوت كلمة الحياة من مالاكا بأسبانيا .
٢ - إذاعة المحبة والوفاء من بيروت بلبنان
٣ - إذاعة نداء الرجاء من شتوتغرات بألمانيا الغربية .
٤ - إذاعة مونتكارلو من فرنسا .
٥ - المدرسة الإذاعية الإنجيلية من مرسيليا بفرنسا .
٦ - إذاعة المركز المعمداني من بيروت بلبنان .
٧ - إذاعة دار الهداية من سويسرا .
٨ - الإذاعة النصرانية من جزيرة سيشل .
٩ - إذاعة آسيا التبشيرية من الفلبين .

وهناك بعض البلدان الاسلامية التي أحكم المنصرون عليها قبضتهم لاسيما في مجال وسائل الإعلام كما هو الحال في اندونيسيا

---

(١) سهيري إلياس نور الدين : التنصير ووسائل الإعلام في أندونيسيا ، ص٧٦ ، بحث غير منشور المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٠٥ .

حيث سيطر المنصرون على قطاعات كبيرة من وسائل الإعلام فأصبحت لهم إذاعاتهم وصحفهم ودورياتهم التي تخدم أغراضهم التنصيرية ، فهم يملكون عددا من الإذاعات بالاضافة إلى عدد من المؤسسات الصحفية ودور النشر التي تقوم بإصدار عدد من الصحف والنشرات باللغة الأندونيسية والإنجليزية واللغات المحلية في المناطق الداخلية [١].

أما في مجال التلفزيون فالنصارى لهم زاوية رسمية في التلفزيون الحكومي المركزي أو الإقليمي يبثون فيها برامجهم التنصيرية في مساحة زمنية مماثلة لما يعطى للمسلمين ، بل لم يكتفوا بهذا وبما لديهم من إمكانيات قاموا بانشاء استديوهات للإنتاج التلفزيوني تنتج برامجا خاصة مبرمج لها بدقة هدفها النهائي هو تنصير المسلمين .

وهذه البرامج تباع للتلفزيون الحكومي ولمحطات التلفزيون الأهلية الأخرى بسعر زهيد ، لتجد طريقها إلى البث عبر هذه الوسيلة الخطيرة « التلفزيون » ليتلقاها ملايين المشاهدين [٢].

إن وسائل الإعلام المختلفة اليوم ، من صحافة وإذاعة وتلفزيون وسينما وغيرها ، نجدها مسخرة لإشاعة الفاحشة والإغراء بالجريمة والسعي بالفساد في الأرض إلا مارحم الله ، مما يترتب عليه خلخلة للعقيدة وتحطيم للأخلاق والقيم وهي عماد بناء الأمة ، فكيف تبنى أمة بلا أخلاق ؟ وقد قال الشاعر :

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا [٣]

---

(١) التنصير ووسائل الإعلام في أندونيسيا ، ص٦٠ - ٦١ .

(٢) سهيري نور الدين : التنصير ووسائل الإعلام في أندونيسيا ، ص٧٧ .

(٣) أحمد شوقي « الشوقيات » ، ص١٨٣ ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، دار العودة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٣ م .

نعم إذا انهدم الأساس فكيف يقوم البناء فالأخلاق عماد بناء الأمم وأقل مافي هذه الوسائل من خطورة أنها تعلم الناس توافه الأمور ، ثم أنها تلهي الناس عن الكثير من المثابرة والجد وتورثهم الخمول والكسل .

بعض الوسائل التنصيرية الأخرى المتفرقة

من أهم وسائل التنصير التي تستخدمها الكنائس في منطقة جبال النوبا ، الاختلاط بين الجنسين والذي تمارسه الكنيسة في كل تجمعاتها سواء في الفصول الدراسية أو الاحتفالات أو المعسكرات الشبابية المختلطة والتي تسببت في ارتداد بعض الشباب المسلمين وتنصرهم ، وقد وجدت ثلاث حالات تنصر في وسط طلاب المرحلة المتوسطة المسلمين في منطقة كادوقلي وقد تنصر هؤلاء لتفضيلهم اسلوب التحرر والاختلاط مع البنات الذي تمارسه الكنيسة [١].

كذلك نجد الكنيسة البروتستانتية في الدلنج تركز على الشباب والاختلاط حيث يوجد فريق نسائي للكرة الطائرة مما يؤدي إلى جذب الشباب والشابات واختلاطهم .

- ومن الوسائل المتخذة أيضا : اطلاق الإشاعات المضادة للمسلمين والتي دفعت بعضهم إلى الهجرة من المنطقة ، ومنها التخويف بالمنشورات والإغراء من قبل الفتيات النصرانيات للشباب من أبناء المسلمين بالزواج وغيره ، ومداهمة النصارى للمسلمين في منازلهم ودعوتهم للنصرانية ، وقد حدثت حالات تنصر كثيرة خصوصا وسط النساء المسلمات ، وذلك نتيجة لهذه الزيارات التي يقوم بها المنصرون لهؤلاء النسوة في غياب أزواجهن ، إما في منتصف النهار حيث يكون الرجال في العمل أو في حالة غيابهم الطويل أو لظروف هجرة الرجال للعمل في مناطق السودان

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢١٥ .

المتفرقة [١].

وكذلك من الوسائل الفعالة في التنصير والأساليب المستخدمة أسلوب كنائس قرية الأزرق ريفي هيبان ، وهي الاجتماعات في أعياد الميلاد «الكريسماس» والمناسبات الكنسية الأخرى التي يحضرها ويجتمع لها المسلمون والنصارى على السواء ، حيث تقدم لهم وجبات اكل دسمة ، وتقام الترانيم والأناشيد مما يغري السذج والجهلاء بالدخول في النصرانية .

وتركيز المنصرين على العنصر النسائي ، والرقص والاختلاط في الكنيسة «اسلوب كنائس منطقة عبري» أوجد وفرة في النساء المسيحيات وهؤلاء بدورهن أصبحن يشكلن جزءاً كبيراً من حركة الضغط على الشباب ليتنصروا ، وهناك عدد من المسلمين المتزوجين بنصرانيات وعدد من النصارى المتزوجين بمسلمات ، وهناك حالات كثيرة لشباب مسلم تنصر في سبيل ارضاء زوجته ، أو طمعا في الزواج من مسيحية .

والفتيات المسيحيات هنا في المنطقة في أغلب الحالات أكثر مالا وتحضرا - بلغة العصر - ونظافة وتعليما [٢].

كذلك من الأساليب التنصيرية الجديدة التي ابتكرتها الكنائس للدعوة للمسيحية والتي تناسب بيئة الجبال ، حيث تقوم الكنيسة بتجهيز بعض النصارى المختارين للقيام بجولات ميدانية يحملون معهم الغذاء للطواف بالقرى والأرياف ويقومون بعمل المهرجانات الشعبية

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢١٠ .

«النقارة» فيلتف حولهم الناس ويسمعون منهم كلمة المسيح المخلص كما يقولون، وتقوم بممارسة هذا النوع من التنصير كنائس ريفي دلامي .

ومن الوسائل المستخدمة كذلك استغلال طبيعة التركيبة الجغرافية والسكانية للأرض في جبال النوبا ، حيث إن الجهل والفقر والتخلف والنعرات العنصرية كانت مرتعا خصبا للكنيسة استغلتها أيما استغلال فكانت الكنيسة تشعر الأهالي بدونية العنصر الأسود وأن الإنسان الأسود دائما مظلوم ومضطهد وكذلك محاولة إيهام الأهالي بتفوق العنصر الأوروبي عنصريا وثقافيا وإيهامهم بمدى انسانية العنصر الأوروبي رغم تفوقه .

ومن أساليبهم في التنصير أيضا إيجاد علاقات وثيقة مع الكجور والاعتماد عليهم في إبعاد الناس عن الاسلام ، وتنفيرهم عنه بمنع العادات المحببة إليهم كالمصارعة وشرب الخمر التي يعتمدون عليها في غذائهم ، فيقولون لهم إن الاسلام يحرم عليكم المصارعة ويحرم عليكم الخمر وتربية الخنزير ، وهم يعلمون أن الخنزير مثلا من أهم الحيوانات التي يربيها النوبا في مزارعهم ، وكذلك ينفرونهم عن الإسلام بتشويه صورة الإسلام بالرق والقتل وفي المقابل يحببون إليهم النصرانية بالتلبس بعادات أهل المنطقة ومجاراتهم في ممارسة طقوسهم وتعلم لغتهم وطبع الأناجيل المحرفة التي تؤيد عادات أهل المنطقة وترغبهم في النصرانية،ويكثرون لهم من اللهو والموسيقى لملء فراغ الأهالي السذج وبعد هذا كله فإن من لم يتنصر منهم يحاولون إبقاءه على الوثينية بقدر الإمكان .

ومن أساليبهم أيضا المكر والخديعة : فمن الروايات الشفهية المتداولة في منطقة هيبان ، أن القساوسة كانوا يعدون أنواعا من الحيل لتنصير السكان المسلمين وجذبهم للمسيحية فمثلا يأتي القس بمجموعة من المسامير ويبدأ في التقاطها بمغنطيس وفي وسط دهشة الريفيين البسطاء يشبه لهم المبشر بأن هذا هو حال المسيح الذي ينزل إلى الأرض لإلتقاط اتباعه وأحبائه ليرفعهم إلى الفردوس ، ثم يأتي بعد ذلك بقطعة خشب ويهوي بها على المسامير فلا تلتقط شيئا فيشبه لهم هذا بحال رسولنا محمد ﷺ ويصفه بالعجز وأنه لايستطيع حمل أتباعه .

هذه بعض المعالم والصور البارزة لوسائل المنصرين وأساليبهم التي استخدموها في منطقة جبال النوبا ، وغيرها من بلاد الإسلام فخربوا بها عقائد بعض الناس وضللوهم وأخرجوهم عن الصراط المستقيم والحنفية السمحاء إلى عقيدة الثالوث والخرافة والانحراف .

الفصل الرابع

تأثير التنصير على مجتمع النوبا

ويشمل المباحث التالية :

المبحث الأول : التأثير العقـــدي ٠

المبحث الثاني : التأثيـر الثقافـــي ٠

المبحث الثالث : التأثير الاجتمـاعي ٠

المبحث الأول
التأثير العقدي

لقد كان التنصير وتبديل عقائد المسلمين هما الهدف الأساسي للعمل التبشيري ، وهذا هو السبب في تكالب الإرساليات على دول العالم الإسلامي وشعوبه ، ومن بينها السودان لإغراء المسلمين بالدخول في النصرانية .

وهناك محاولات مستميتة تبذل من قبل النصارى لإخراج المسلمين عن دينهم إلى النصرانية ، كلما أمكن ذلك ، حيث عبر عن ذلك الدكتور « هاريسون » بقوله : « إننا نريدهم مسيحيين »[١] . وقد وضح ذلك جلياً من خطط المنصرين في مؤتمر كلورادو الذي انعقد بأمريكا الشمالية عام ١٩٧٨ م ، باسم « مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين » وقد انتهى المؤتمر بوضع خطة سرية لتنصير مسلمي العالم أجمع أينما كانوا[٢].

وقد بحث المنصرون في هذا المؤتمر أساليبهم القديمة في التنصير والتي وجدوا فيها ضعفاً وعجزاً وقصور عن استيعاب المسلمين في النصرانية .

يقول آرثر . ف . كلاسر أحد المشاركين في هذا المؤتمر :

« إن التصريحات التي كان يطلقها المنصرون الأوائل مثل زويمر

---

(١) عبد المالك خلف التميمي ، التبشير في منطقة الخليج ، ص٤٧ ، الكويت ١٩٨٢ .

(٢) عبد الرزاق على ديار بكري ، تنصير المسلمين ، ص١١ ، ١٤ ، بحث في أخطر خطة طرحها مؤتمر كلورادو التنصيري ، دار النفائس ، الرياض ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

كافية لأن تخلق رد فعل قوي لدى المسلم حتى يستعصى على التنصير »[١] ، ومع هذا تبقى خطط زويمر ومؤتمره الذي عقده في القاهرة عام ١٩٠٦ م ومؤتمر القدس ١٩٣٥ م من أخطر المؤتمرات بعد مؤتمر كلورادو .

إن من الأساليب القديمة الي كان يبثها المنصرون - زويمر وغيره - عملية التنصير الفردي بمعنى أن يتصل المنصر بالشخص الذي يريد تنصيره ويحاول اجتذابه بكافة الوسائل والسبل من أجل إدخاله في حظيرة النصرانية . لكنهم وجدوا أن هذه الطريقة عقيمة وقليلة الجدوى فلذلك ثار المؤتمرون في كلورادو على مثل هذا الأسلوب داعين إلى أساليب ووسائل حديثة تتفق وروح العصر . وإن أبرز الأساليب الجديدة في حركة التنصير الحديثة هي تلك الأساليب التي ركز عليها مؤتمر كلورادو والمتمثلة في الدعوة إلى التنصير الجماعي مستغلين الأزمات وحالة عدم التوازن التي تحل ببني البشر ، والظروف الخاصة التي تدعو إلى التحول الاجتماعي . وقد عبر عن ذلك أحد المؤتمرين وهو ديفيد . أ . فريزر قائلاً : « ولكي يكون التحول فلابد من وجود أزمات معينة ومشكلات وعوامل إعداد وتهيئة تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادوها »[٢].

هذا ما أراده المنصرون وخططوا له بدقة وهو تنصير المسلمين في كل العالم ، فقد كان من توصيات هذا المؤتمر إنشاء مركز يكون معهداً للبحوث والتدريب على تنصير المسلمين ، وقد أنشىء هذا المعهد بالفعل

---

(١) تنصير المسلمين ، ص٢١ .

(٢) عبد الرزاق ديار بكري ، تنصير المسلمين ، ص٢٣ .

وسمي باسم « معهد صمويل زويمر » بشمال كاليفورنيا بأمريكا الشمالية [١].

أما إذا لم يكن فلا أقل من إخراجهم من الإسلام إلى الإلحاد واللادينية ، ولو لم يدخلوا النصرانية . وفي هذا يقول المبشر الأمريكي « صمويل زويمر » في أحد مؤتمرات التنصير مخاطباً المؤتمرين : « أيها الأبطال والزملاء الذين كتب لهم الجهاد في سبيل المسيحية واستعمارها لبلاد الإسلام . فأحاطتهم عناية الرب بالتوفيق الجليل المقدس ، لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن أداء ، ووفقتم لها أسمى التوفيق وإن كان يخيل إليَّ أنه مع اتمامكم العمل على أكمل الوجوه ، لم يفطن بعضكم إلى الغاية الأساسية فيه .

إنني أقركم على أن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين ، لقد كانوا أحد ثلاثة :

١ - إما صغير لم يكن له من أهله من يعرفه بالإسلام .

٢ - أو رجل مستخف بالأديان لا يبغ غير الحصول على قوت يومه وقد أشتد به الفقر وعزت عليه لقمة العيش .

٣ - وآخر يبغى الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية .

ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم الدول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها .. وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام ، وهذا

---

(١) عبد الرزاق ديار بكري ، تنصير المسلمين ، ص١٤ .

ما أهنئكم عليه ، وتهنئكم عليه المسيحية والمسيحيون جميعاً .

لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا فيها مكامن التبشير والكنائس ، والجمعيات ، والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية . ولقد أعددتم في بلاد الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية . وبالتالي جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار .. لا يهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل ولا يصرفه همه في دنياه إلا للشهوات . إن مهمتكم قد تمت على أكمل وجه وانتهيتم إلى خير النتائج [١].

فعندما يئس المنصرون من إدخال المسلمين في النصرانية لجأوا إلى زعزعة عقائدهم وتشويه أفكارهم الدينية ، واستطاعوا أن يدخلوا كثيراً من التغيير على عقائد الإسلام ومبادئه الخلقية . وعلي الرغم من أننا قد نجد أعداداً قليلة من الذين تنصروا رسمياً من المسلمين واعتنقوا النصرانية وتم تعميدهم ، إلا أننا نلحظ المئات من أبناء المسلمين الذين تأثروا بالفكر النصراني والذين انتزعوا الدين الإسلامي من قلوبهم واعتنقوا النصرانية من طرف خفي بشكل من الأشكال .

وحينما بدأ المطران دانيال كمبوني نشاطه التنصيري في السودان عام ١٨٥٧ م مع مجموعة من زملائه المنصرين ، وركز جهوده في منطقة جبال النوبا ، استطاع أن يحرز نجاحاً كبيراً وأسس عدداً من

---

(١) أحمد عبد الوهاب ، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ص١٦٠ - ١٦١ ، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨١ م .

المراكز المسيحية وتبعه عدد من أهل المنطقة من الذين استطاع أن يغير عقيدتهم ويدخلهم في عقيدة الثالوث . ونذكر أسماء بعض الذين تنصروا من المواطنين على يد المطران كمبوني وتدرجوا في مراتب النصرانية واستطاع أن يعد بعضهم ويؤهلهم في كل المجالات ومن تلك الشخصيات على سبيل المثال :

١ ـ الأب دانيال دينج سرور :

وهو من أبناء قبيلة « الدينكا » الذين يسكنون في منطقة « أبياي » التابعة لجنوب ولاية كردفان ناحية جبال النوبا ، ويذكر أنه كان أحد الأرقاء الذين أخذوا من هذه المنطقة إلى « مدينة الأبيض » وهناك استطاع أن يهرب من منزل سيده الذي اشتراه والتجأ إلى الإرسالية ، فقبله كمبوني وأولاه بعنايته وأدخله في النصرانية وتعهده حتى عمده باسم « دانيال » ثم أرسله إلى روما ليكمل تربيته الكهنوتية في معاهدها وبعدها رسم قساً ليصبح أول قس من الدينكا [١].

٢ ـ الراهبة فورتاناتا كواشي :

وهي من بنات النوبا ، ولدت في منطقة جبال النوبا حوالي ١٨٤٠ م ، وفي عام ١٨٥١ م ، استطاع المرسلون إدخالها الكنيسة عندما كانت في الخرطوم . ثم أرسلت إلى أوروبا للتعليم والتدريب وتعمدت في مدينة فيرونا عام ١٨٥٤ م ، وعادت إلى مصر في سنة ١٨٦٧ م لتنضم إلى معاهد المعلمين والمعلمات التي افتتحها دانيال كمبوني من أجل السودان . وعادت إلى البلاد في قافلة من المعلمين والمعلمات السودانيين قادها المطران دانيال كمبوني إلى الخرطوم عام ١٨٧٣ م

---

(١) جونتاني فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٢٤٢ .

وعملت معلمة في مدارس الإرسالية بالخرطوم ثم في جبال النوبا بالدلنج. وفي سنة ١٨٧٩ م ، طلبت أن تلتحق بدير راهبات كمبوني ونذرت نفسها للرهبنة سنة ١٨٨١ م ، وظلت تعمل في جبال النوبا. وفي سنة ١٨٨٢ م ، اعتقلت وبعض الراهبات الأخريات في مدينة الأبيض عند سقوطها في أيدي أنصار الثورة المهدية ، ونقلت إلى أم درمان وفي سنة ١٨٨٥ م ، استطاعت أن تهرب من أم درمان إلى مصر حيث ماتت هناك عام ١٨٨٩ م [١].

٣ ـ الراهبة بخيتة :

وهي من قبيلة الداجو التي تسكن ولاية دارخور وجنوب كردفان تم إدخالها الكنيسة في الأبيض وتنصرت على يد المطران كمبوني ، وبعد أحداث الثورة المهدية غادرت بخيتة برفقة بعض الأسر الأجنبية إلى إيطاليا ، وهناك في إيطاليا تلقت المزيد من التعاليم المسيحية وترهبت في عام ١٨٩٠ م ، وعملت مدرسة في مدارس الرهبنة في مدينة البندقية بإيطاليا حوالي خمسين سنة ، وتوفيت في سنة ١٩٤٦ م . وتعد بخيتة من القديسات اللائي يتوقع أن يعلن إسمهن البابا . وعلى هيكل كنيسة الأبيض اليوم تعلق صورة الراهبة بخيتة [٢].

٤ ـ كذلك تنصر طالب سوداني آخر تخرج من مدرسة إرسالية إفريقيا الوسطى واسمه « اندريه شريف » وكان هذا الطالب بعد أن نال قسطاً من الدراسة في الخرطوم رغب في دراسة الفلسفة واللاهوت

---

(١) ج . فانتيني ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، ص٢٤٣ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٤٣ .

فسافر إلى روما عبر الإسكندرية حيث توفى هناك قبل اتمام دراسته .

وتواصلت حركة النشاط التنصيري حتى عصرنا الحاضر الذي حدث فيه كثير من حالات التنصر وسط الشباب والطلاب والنساء متأثرين بأفكار الكنيسة وعقائدها التي حلت محل العقيدة الإسلامية التي كانت في قلوبهم [١].

وأما عن الوثنيين واللادينيين ودخولهم في النصرانية فحدث ولا حرج إذ أن الكنيسة تعمل وسطهم ليل نهار حتى اعتنق النصرانية عدد كبير منهم . فقد نجحت الإرساليات النصرانية في تثبيت دعائم النصرانية في منطقة هيبات من جبال النوبا وسط الوثنيين حتى أصبحت نسبة النصارى في هذه المنطقة ٨٥ ٪ والمسلمون ٥ ٪ والبقية من السكان لا تزال على الوثنية [٢].

وزيادة دخول الوثنيين في النصرانية في إفريقيا بصفة عامة أصبحت ظاهرة مضطردة في معظم أجزاء القارة السوداء يقول الشيخ أحمد ديدات [٣]. وإذا نظرنا إلى الواقع الإفريقي نجد أن القارة السوداء كانت في بداية القرن العشرين نسبة النصارى بها ٣ ٪ والآن عددهم يزيد عن ٤٠ ٪ من سكان القارة . ومخططهم المعلن هو أن تكون القارة الإفريقية نصرانية في نهاية القرن العشرين .

إن الإسلام في هذه المنطقة مهدد بالذوبان وسط هذا الركام من العقائد النصرانية والوثنية وغيرها ، لعدم وجود إسلام قوي ، فتختلط

---

(١) انظر حسين مكي ، المشروع التنصيري في السودان ، ص٢٢٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٢٢١ .

(٣) في مقابلة أجرتها معه مجلة الدعوة السعودية بتاريخ ١٨ / ١ / ١٤١٤ هـ ، ص٦ .

- انظر مجلة الدعوة ص٣٨ في العدد ١٣٢٤ بتاريخ ٥ / ٧ / ١٤١٢ هـ .

العادت والتقاليد المحلية والنصرانية مع التعاليم الإسلامية ، كما يحدث في بعض المناسبات ، مثل الدعوة للاحتفال بالكجو ر والأسبار الوثنية تحت لافتة « الفلكلور » والفن الشعبي والموروث السوداني . وهذه إعادة للوثنية من أوسع أبوابها ومن حيث لا يشعر المسلم . وبهذه الطريقة لا يعرف المسلم حدود دينه ومعالمه . فنجد من المسلمين من يقول بأن النصارى أهل كتاب وليسوا بكفار ، ونجد زواج النصراني بالمسلمة وزواج المسلم بالنصرانية وغيرها من مظاهر اختلاط الأمور والأديان الأمر الذي يبين فداحة التأثير النصراني على عقول وعقائد الأهالي وخاصة العوام منهم .

إن المسلم في هذه المنطقة يتعرض للفتنة في دينه خلال احتفالات أعياد الميلاد المسيحية التي يظهر فيها الإسراف والبذخ من أزياء وأطعمة وهبات للنصارى فيفتن المسلم لفقره ، وربما أرتد بعض النوبا عن الإسلام بسبب الفقر والجوع . والفقراء من المسلمين يتلقون الدعم النصراني من الكنائس بينما يقف المسلمون مكتوفي الأيدي تجاه إخوانهم .

أما من لم يتنصر من المسلمين فلم يسلم من التشويش الفكري وبلبلة العقائد وذلك عن طريق شغلهم بالأفكار الغربية ومساندة وتشجيع العادات المحلية كالأسبار والكجور وغيرها من المظاهر الوثنية المضادة للإسلام . ودعم الكجور مادياً ومعنوياً حتى يقوى ويعلو صوته على صوت الإسلام في المنطقة . وإيهام الأهالي بأن هذه العادات أفضل من الدين الإسلامي رغم أنها لم تكن منزلة من السماء ، وإنها أكثر إنسانية منه .

هذه بعض الصور المختصرة لتأثير النشاط التنصيري على عقائد أهل المنطقة ، ومعالمه البارزة التي ترسخت في أذهان الكثيرين وتحتاج لعمل إسلامي جاد ومكثف لمقاومتها ومحوها .

المبحث الثاني
التأثير الثقافي

لقد أثرت حركة التنصير تأثيراً بالغاً في المجتمع الإسلامي ، وفي هذه المنطقة خاصة ـ منطقة جبال النوبا ـ إذ ظهرت آثاره جلية في كافة نواحي الحياة في ذلك المجتمع . الثقافية ، والتعليمية ، والأخلاقية والاجتماعية . وقد بذل المنصرون كل ما في وسعهم وطاقتهم متخذين عدة وسائل وطرق لتحقيق أهدافهم وغاياتهم . فحاولوا استغلال الفقر والجهل والمرض المتفشي في المنطقة ، ففتحوا الإرساليات ومدارس التبشير النصراني ووضعوا لها خطة مبرمجة في إطار خطة يراد لها النجاح ثم الاستمرار والاستقرار بعده . فبدأوا نشاطهم التنصيري في نمط متسلسل محكم ، يبدأ من تحديد الهدف بدقة ثم وضع خطة فكرية واضحة لتحقيقه ، ثم إخراجها إلى حيز التنفيذ بالوسائل المختلفة .

إن نجاح حركة الإرساليات النصرانية في إفريقيا في القرن التاسع عشر ، كان بصورة ما خداعاً ونجاحاً مزيفاً ، إذ تم وسط أقوام متخلفين وعلى مستوى متدن من الثقافة ، وفي ظل غياب إسلامي مفزع. وحينما جاء المبشرون الأجانب بثقافاتهم الغربية فإنهم أي الإفريقيين غلبوا على أمرهم نتيجة للتفوق الثقافي التبشيري ، مما حدا بهم لنبذ ثقافتهم والدخول في طاعة العهد الجديد .

لقد دخلت الثقافة الغربية على يد أولئك المبشرين والتجار الأوربين حيث تتطابق توجهاتهم في كثير من المناحي تجاه الحضارة الغربية ومفهومها . وبما أن الحضارة الغربية تملك التفوق الفني والتقني على ما عداها ، فإن هذا قد يجعل لها التفوق الثقافي

وربما الأخلاقي والروحي ، لأن المغلوب دائماً مولع بتقليد الغالب والمشي في ركابه والإعجاب بثقافته ولغته ، بحيث كان من المتعذر على القبائل المتخلفة سواء في جبال النوبا أو جنوب السودان أو غيرها من مناطق الوجود الإفريقي أن تشق الحجب لتصل إلى أن هناك حضارة أصلية مبدعة غير الحضارة الغربية .

وكما حدث هذا التأثير في إفريقيا ولسكان منطقة جبال النوبا في عصرنا الحاضر ، فقد حدث في الأندلس في أيام عز المسلمين ومجدهم. فقد كان الأسبان في أيام عبد الرحمن الداخل قد أقبلوا على اللغة والثقافة والأدب العربيين وتركوا فلسفة المسيحية وكتبها حتى جعل الغيورين منهم يتباكون على قومهم لأنهم تركوا لغتهم اللاتينية وتبعوا العرب في ثقافتهم وأدبهم [١].

ولعل هذا الزهو والكبرياء الناتج من التفوق المادي ، مثّل طاقة دافعة متعالية ، ظهرت في الكيفية التي تم بها كسب الأفراد والقبائل والمجموعات للنصرانية ، إذ لم يراع المنصرون في تجنيدهم الأهالي للنصرانية أي مظهر من مظاهر الإحترام لشخصية وكرامة الإنسان وخاصة الطفل الصغير الذي ذهب إلى المدرسة ليتعلم ولكي يكون إنساناً مفيداً لنفسه ولمجتمعه . ولكنهم نظروا إليه كخامة صالحة فقط كي تلحق بالكنيسة . وهذا الطفل القاصر ، غير مؤهل لاتخاذ ما يراه صالحاً لنفسه وعليه فإن محاصرة هذا الطفل ، وإخضاعه لعمليات غسل الدماغ في الفصول الدراسية لتنصيره وصهر سلوكه في اتجاه معين والتحكم في

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص١١٨ ، من مطبوعات المجلس العلمي لجامعة الإمام ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

نمو ذهنه وتطوره العقلي ، يرقى لمرتبة العبث والاستهتار بالطفولة والدين . لقد لجأ المنصرون إلى كل وسيلة للزج بالأهالي في النصرانية واستعملوا كل الوسائل المتاحة من إغراءات مادية ، واستغلوا حاجتهم للملبس فكسوهم بالملابس المزينة بالصليب ، وأرغموهم على اتخاذ دورب النصرانية حتى في ظروف المجاعات والأوبئة ، بسلطان الطعام والقهر النفسي والعقلي .

لقد تمثل القهر الثقافي والفكري ، والإرهاب العقلي في تنفير الأهالي البسطاء من الدين الإسلامي ، الذي هو دين الفطرة ، والذي هو مجالهم الطبيعي للتكامل ومتابعة الترقي . لقد شن المبشرون حملة جائرة ظالمة ضد الإسلام ، وعمدوا إلى تشويه مقاصده ، وربطوه بكل قبيح . فالشبهات التي تثيرها الكنيسة ضد الإسلام ، أدت إلى فهم أعداد كبيرة من الناس للإسلام بأنه دين القهر والظلم والعبودية والرق .

فكان همُّ المنصرين الأكبر هو إبعاد هؤلاء الناس عن الثقافة العربية والتراث الإسلامي لأنهما يبصران الفرد بالدين الإسلامي ويرشدانه إلى فهم حقيقة سماحة الإسلام . وكان المنصرون يغرسون فيهم ، بأن الرقي والتقدم لا يكون إلا بالثقافة الغربية . فكان لهذا أثره الواضح ومعالمه البارزة في المجتمع ، إذ تغيرت الأسماء إلى أسماء غربية أعجمية مثل فيليب ، ويوحنا ، وبولس ، وكالو ، وغيرها . كما سادت معظم العادات الغربية في الملبس والمأكل والمشرب ، وأصبح تقليدها هو الرقي والحضارة . وكذلك تعلم اللغة الإنجليزية والميل الشديد إلى دراستها والتعمق فيها ، وتفضيلها على اللغة العربية . وهذه لا شك بعيدة كل البعد عن الثقافة الإسلامية ، وبالتالي أدى هذا إلى عزل الشباب النوباوي ، عن واقعه السوداني ، وعدم الإندماج مع

بني وطنه والتمسك بعاداتهم وأخلاقهم وعقائدهم . وحتى القصص المتداولة بين الأهالي ، أصبحت تدور حول خلاص العرقية النوباوية عن طريق المسيحية .

إن الكنيسة مسئولة عن كل الخراب والدمار النفسي والفكري والاجتماعي والاقتصادي الذي أصاب هذه المجتمعات . فالمنصرون حينما قدموا إلى السودان استخدموا بالدرجة الأولى التعليم ، لنشر مبادئهم وتعميق مفاهيمهم لدى السكان المحليين ، وكان التعليم عندهم وسيلة وليس غاية في حد ذاته ، وكما ذكر بعضهم عنه بأنه الطريق الذي يقود إلى المسيح [١].

والتعليم قد يقود إلى البناء والتعمير والسلام ، سلام النفس والسلام مع المجتمع والعالم ، وقد يكون ضاراً ومدمراً للفرد والمجتمع والعالم ، وذلك بحسب نوعية التعليم ومقاصده . وواقع وحال الصفوة النوباوية المتعلمة ، على أيدي النصارى اليوم يكشف أن التعليم الذي رضعوه قد عاد عليهم بالضرر والدمار . ويكشف عن مدى فشل التعليم الكنسي الذي تلقاه هؤلاء . لقد انتهت جهود المبشرين في السودان وخاصة في مناطق جبال النوبا وجنوب البلاد ، إلى إعداد صفوة من المتعلمين المتنصرين الغرباء في وطنهم ، يفقدون الهوية بقدر ما يفقدون الإحساس بالإنتماء للأرض والأمة والثقافة والوطن [٢].

فالغربة تحيط بهم وتحاصرهم في اللسان والزمان والمكان والمظهر والمخبر ، وقد صور المؤرخ الإنجليزي « توينبي » غربة « الإسم » بصورة

---

(١) انظر الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، ص٦٦ .

(٢) انظر الفصل الثالث المبحث الثالث من هذا البحث « التعليم » .

سافرة في كتابه « بين النيجر والنيل » قائلاً : « على مدى جيلين تم استيعاب عدد من قبائل الشلك والدينكا في عداد الإنسان الحديث ، وأحد هؤلاء كاتب شارك في إعداد كتاب صدر حديثاً باللغة الإنجليزية ، عن مشكلة جنوب السودان ، وقد تم تعميده ليصبح اسمه « وليم » ووليم دينق هذا يعيش في هذه الأيام لاجئاً ولو كنت في وضعه لغيرت اسمي المسيحي إلى اسم من جنس العالم الذي أعيش فيه » [١].

وقد جاء في إحدى الدراسات عن تاريخ التنصير في إفريقيا أعده الأستاذ عمار هلال ، الأستاذ بمعهد العلوم الاجتماعية بالجزائر : « أن الإرساليات التنصيرية عمدت إلى خطة بالغة الخطورة تمثلت في إنشاء نخبة من الأفارقة الموالية للاستعمار الأوروبي فكراً وديناً وثقافةً ولغةً بشكل أدى إلى استئصال الشخصية الإفريقية منهم [٢].

انظر ، لقد أصبح هؤلاء مسخرة ومضحكة حتى من النصارى أنفسهم ، أهل عقيدتهم وملتهم ، لأنهم دروا أن هؤلاء انسلخوا من جلدتهم ومحوا معالم شخصيتهم فأصبحوا مسخاً مشوهاً غير واضح المعالم . أن أمثال هؤلاء قد فاجأتهم الصحوة الأوروبية الهائلة ، وهم في غفلة من أمرهم ، وجاءهم الاحتلال ومن بين يديه ومن خلفه آثار حضارية فاتنة ، وزاد الطين بلة أن كان المسلمون في فترة ركود حضاري وثقافي ، وجمود اجتماعي سببه الأول التفكك والتشرذم وعدم تطبيق الدين على المجتمع التطبيق الصحيح الذي يعصم الأمة ويوحد كلمتها ، ويحفظها كقوة لا يستهان بها . ولذلك كانوا هم الطرف

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٤٠ .

(٢) انظر صحيفة عكاظ بتاريخ الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩٩١ م . صفحة الفكر الإسلامي .

الضعيف في هذا الصدام ، وتبعاً لذلك كانت لديهم قابلية شديدة للتأثر وتشرب الأنماط الوافدة ، ذات البريق الاجتماعي والثقافي ، ومن هنا بدأت دروة التقليد والمحاكاة ومضاهاة الكفار الغربيين في كثير من عاداتهم وأحوالهم الفاسدة والإنكباب على أشكال حياتهم وأساليبهم المظهرية .

وربما دافع المبشرون عن تعليمهم قائلين لولاه لم يكن تعليم وهذه مقولة مرفوضة ، إذا لولا أن الإرساليات والكنائس احتكرت حق التعليم في هذه المناطق وجعلته على نهجها المسيحي الغربي لأنتشر التعليم الحكومي والمدني ، ولازداد التفاعل بين أبناء الوطن الواحد شماله وجنوبه ، شرقه وغربه ، ولما كان هناك فوارق ثقافية ودينية مؤثرة ، كما هو الحال اليوم ، ولكان بوسع أهل هذه المناطق أن يسيروا خطوات إلى الأمام ، واثقين بأنفسهم معتزين بأرضهم ، مشاركين في حركة البناء والتعمير مع بقية أبناء وطنهم الواحد ، ولكن هيهات وهل يجدي الندم على ما فات .

ومن العناصر المؤثرة في المجتمع ، والتي عمد الاستعمار على نشرها ومن خلفه جيوش المنصرين ، الاختلاط - وهو وسيلة لنشر الأفكار والثقافة أخص من التقليد - الذي كان له أثره البالغ في المجتمع من حيث الأهداف والأخلاق والسلوك . وقد كثر اختلاط المسلمين بالكفار الأجانب من كل لون ، ولكثرة الوافدين من هؤلاء الكفرة إلى بلاد المسلمين في ركاب جيوش الاحتلال أو من قبل البعثات والإرساليات التبشيرية . وقد تعددت أيضاً شعب هذا الاختلاط في الأعمال والوظائف والبيوت والأندية وأمتد إلى روابط الصداقة والحياة الأسرية والتزوج بالأجنبيات ، أو الزمالة في أسفار الدراسة ، وكان من أخطر وأخبث

الأجواء التي تم فيها هذا الأختلاط هو الجو الدراسي بمناهجه وبيئته الخاصة ، المكيفة تكييفاً مخططاً مرسوماً . والتي كان يشرف عليها الرهبان والراهبات والمبشرون المحترفون . والتي هيأوا فيها للأطفال المسلمين مناخاً مزدوج التركيب من فلسفة الحياة المسيحية وألوان العادات والأخلاق الأوروبية [١].

إن الجامعات المختلفة التي أنشأها المستعمر في البلاد الإسلامية ما تزال إلى اليوم في أغلبها مختلطة ، وتدرس بلغة المستعمر ، وتنشر ثقافته وحضارته . وقد كان هذا الاختلاط في كثير من الأحيان مدعماً بتخطيط ماكر ، ليؤد دوره الثقافي والتربوي الخطير ، وليحقق التغيير بواسطة هذه الطبقة الجديدة التي تمثل قلب الأمة .

وما يدل على ذلك مثل ما نجده في خطط اللورد « كرومر » معتمد الاحتلال البريطاني في كل من مصر والسودان ، حيث يقترح في هذا الصدد : أن يكون هناك نظام مدبر لعرض وجهة النظر التي تبدي عطفاً معقولاً على المسلمين ، عن طريق أفراد من المشتغلين بالسياسة لا عن طريق الحكومة . وكان يأمل من وراء ذلك أن تجد أجيال المسلمين القادمة من الحكمة وسعة الأفق ـ حسب تعبيره ـ ما يحفزها للعمل بصبر وإخلاص مع الأوروبيين ، الذين يعطفون عليهم حتى يستطيعوا متعاونين وضع مثل عليا جديدة ، تحل محل المثل الأعلى للمسلم المتدين الذي لم يعد صالحاً في هذا الزمان ـ حسب زعمه ـ للحكم والريادة [٢].

لقد صرف المنصرون جهودهم خلال نصف القرن المنصرم إلى

---

(١) سيد أحمد يحيى ، التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص١١٤ .

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص٢٦٢ .

نقض الإسلام ومحاربته، ومحاصرته، ومحاربة الثقافة العربية واللغة العربية في المنطقة، وبث الثقافة الدينية الأوروبية أو بتعبير آخر « المسيحية المعاصرة ». وعندما فشل تلامذة المبشرين في مواصلة هذا المشروع التنصيري، لجأوا إلى شعار « عليّ وعلى أعدائي» وظلوا لاهثين في محاولة يائسة لتحصين الثقافة الإنعزالية التي أفرزها الاستعمار أثناء احتلاله للبلاد، والتي فقدت كل مبررات البقاء بعد خروجه وزواله.

إن المأساة التي خلفتها الثقافة الغربية الكنسية لتغذية النزعة الاستهلاكية والعربية والتطلعات المادية التي أفرزتها في بيئة فقيرة تقوم على التكاتف والأثرة، لا يمكن تصور أبعادها. لقد مسخت هذه الثقافة نفسية الإنسان النوباوي، وجعلتها أسيرة لتطلعات مادية يتعذر تحقيقها في المجتمعات الإفريقية المتواضعة، لأنها لا تناسب تلك المجتمعات مادياً وروحياً. وهكذا جعلت هذه الثقافة الفرد الإفريقي كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى.

إن الجيل الجديد في المنطقة جيل الحرب والتشتت والتيه يحس بالضياع وعدم الإنتماء والفقر والجوع، جوع البدن وجوع الروح. وعلى الجيل النوباوي الجديد أن يتحمل مسئوليته في تصحيح مساره، وأن يعمل على إصلاح ما أفسدته الثقافة الكنسية وأن يعيد بناء جسور الوفاق والمودة، على أنقاض الهوة التي صنعها الحكم الأجنبي للبلاد وعملت على تعميقها الإرساليات النصرانية، لتفصل بين أجزاء الوطن الواحد ولتفرق بين أبنائه. إن للثقافة التي بذرتها الإرساليات، دوراً كبيراً في إيجاد هذا التوتر الذهني والنفسي، والجنوح للعنف والتمرد وعدم الثقة بين المواطنين في القارة الإفريقية جمعاء.

لقد دمرت الثقافة الكنسية المجتمعات الإفريقية بقضاءها على ركائز هذه المجتمعات ، من عادات ونظم وتقاليد ، ممثلة في ظاهرة الأسرة المتشعبة وعادات الزواج ، وتعدد الزوجات وغيرها . وحلت محلها عقيدة الأوروبي ، القائمة على الاعتراف والخطيئة الأولى والثانية وتحريم تعدد الزوجات ، مما أدى إلى إخلال بالتوازن النفسي ، وإنهيار التعاون الاقتصادي ، وإخلال بالنمو السكاني ، في بلاد تصل فيها نسبة موت الأطفال إلى ٢٠ ٪ [١] . كذلك عمدت الكنيسة الأوروبية إلى قمع اللغة الإفريقية العربية ، وإبدال الحرف العربي بالحرف اللاتيني في كتابة اللغة السواحلية والهوسا وغيرها ، لفصلها عن جذورها العربية وكما فعلوا في جبال النوبا بمنعهم استخدام اللغة العربية ، وكتابة اللهجات المحلية باللغة اللاتينية . ولا يمكن أن يمضي الإفريقي إلى الأبد مستخدماً البرتغالية والإيطالية والفرنسية والإنجليزية في التخاطب متجاهلاً اللغة العربية التي تمتد جذورها في تربة القارة آلاف السنين [٢] .

وبعد ما جرى للمسيحية من تحريف وتبديل وتغيير ، لا يمكن نسبة طقوس المسيحية الأوربية المعاصرة ومعاييرها إلى المسيح ابن مريم عليه السلام ، إذ أن شخصية المسيح نمت في الغرب وضاعت وسط ركام الفلسفة الإغريقية الرومانية . وبذات المنطق يقوم الأفارقة بصياغة مسيحية جديدة وفق مزاجهم الإفريقي ، ولكن حينما شرع رئيس الأساقفة « عموانيل ميلينجو » رئيس أساقفة لوساكا عاصمة

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري ، ص١٣١ - ١٣٢ .

(٢) انظر مجلة الدراسات الإفريقية ، ص١١٣ ، العدد الأول رجب ١٤٠٥ هـ .

- انظر أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي ، ص٨ .

زامبيا ، في نحت مسيح إفريقي ، فيما يعرف بأفرقة المسيحية تصدى له الفاتيكان واستدعاه لروما ، لغسل دماغه ، ولكنه ثبت على دينه فأعلن الفاتيكان أنه أصبح مرتداً . وقد ذكر في كتاب له : « أن محاولة إقناعي بأن سلامة عقيدتي المسيحية لا تتم إلا بتبني الحضارة والثقافة الأوروبية ، وهي بمثابة إكراهي على تغيير شخصيتي بالقوة ، وإذا جاز أن الله قد أخطأ بأن خلقني إفريقياً - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - فإن ذلك لم يتضح لي »[1] .

وقد أخذت حركة الكنيسة الجديدة التي تزعمها القس ميلينجو في التمدد والاتساع محتلاً مواقع الكنيسة الكاثوليكية على نحو يهدد باستئصال الكاثوليكية في إفريقيا .

لقد استند بناء الرجل الأبيض في إفريقيا على دعامتين : الأولى جيش الاحتلال لفرض إرادته الاستعمارية ، والثانية الإرساليات لفرض ثقافته . وقد أخطأت الكنيسة قراءة تطور أوضاع إفريقيا فيما بعد الحرب العالمية ، إذ ظنت أن الاحتلال الأوروبي ، سيخلد في إفريقيا إلى الأبد . لذا ، وبدلاً من أن تسهم الكنيسة في تغذية حركات التحرر بالمدد الروحي والفكري ، شغلت نفسها بالتمكين للحكم الأجنبي ، وإطالة بقائه ، وفي المقابل أدانت حركات التحرر[2].

وما يزال القساوسة السود ، يصابون بالذهول والحيرة إزاء موقف الكنيسة الكاثوليكية من الصراع في جنوب إفريقيا ، ومناداتها بنبذ العنف في التصدي للقضاء على نظام التفرقة العنصرية .

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٢ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد ١٣٣١ ، ص٣٦ ، بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٤١٤ هـ .

ويحفظ الأفارقة للبابا جون الثالث عشر موقفه في عام ١٩٦٥ م عندما رفض أن يقابل وفد يمثل حركة تحرير أنجولا . وبعد ضغوط وافق البابا على مقابلة قيادات حركات تحرير أنجولا ، وموزمبيق ، وغينيا باعتبارهم مسيحيين وكاثوليك ، لا بصفتهم قادة لحركات سياسية تحررية ، وكانوا في نظر الإعلام الكنسي مجرد عصاة خارجين على السلطة الشرعية ، ولم يظهر الفاتيكان أي توجهات ترضي تطلعات قادة الكنائس الإفريقية حول قضايا التحرير في المستعمرات البرتغالية . وقال الرئيس الموزمبيقي « سامورا ميشيل » في عام ١٩٧٧ م : « لقد قررنا وضع حد نهائي لكل المعتقدات الدينية كما منعنا تلقين الأطفال وكذلك الكبار مبادىء المسيحية في العطلات العامة »[(١)].

وهكذا انتهت أسطورة أن الكنيسة وحدها تملك مفاتيح الخلاص في إفريقيا ما وراء الصحراء ، حيث تعددت الأناجيل من ليبرالية ومادية ، وأناجيل الأنبياء الإفريقيين المحلية وغيرها . لقد تمزق النسيج الكنسي الذي قام على تضحيات المبشرين والقساوسة في إفريقيا الذين جاءوا في شكل معلمين ومكتشفين وأطباء . حيث فقد أكثرهم حياته في دهاليز القارة السمراء ومجاهلها[(٢)].

واليوم فإن تشعب الفكر الكنسي وتعقيداته وغربته جعل أهل كل بيئة إفريقية يأخذون ما يوافق هواهم ، وقد تكاثرت الكنائس الإفريقية حتى وصلت إلى سبعة آلاف كنيسة لا تكاد نجمع بينها رابطة فكر أو تنظيم ، وهذا ملموس في منطقة جبال النوبا ، وجنوب السودان

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٣ .

(٢) في السودان وحده مات اثنان وعشرون منصراً في سنة واحدة . وفي غضون ١٤ عاماً بلغ عدد الوفيات ٦٤ حالة وفاة . ج . فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية ، ص٢٣٤ .

حيث تتعدد الكنائس والمذاهب ، ولا يكاد يجمع بينها شيء سوى العداوة المشتركة للإسلام والمسلمين . وتمارس هذه الكنائس مختلف أنواع الطقوس التي يتصل بعضها بالسحر وبعضها بالعبادة التقليدية والطب الروحي ، والرقصات الشعبية المختلفة . وهذه الكنائس التقليدية وبطقوسها الخاوية روحياً لم تلب احتياجات بعض مواطني المنطقة فأدى هذا إلى نفور بعض الناس منها ، مع كونهم نصارى ، ولم يدخلوا في الإسلام . ومع هذا حرصت الكنيسة على إبقائهم على هذه الصورة وعدم مطالبتهم بالتكاليف المسيحية ، خوفاً من زيادة نفورهم ودخولهم في الإسلام [١] وتكررت هذه المشاهد في بقية أجزاء إفريقيا الأخرى فمثلاً في غانا ، برزت ظاهرة نفور كبار القوم من الكنائس التقليدية الكبيرة المعروفة ، وكذلك فإن كثيراً من الأفارقة على مستوى الرؤساء وقادة الكنائس ، يقبلون على الإسلام ، ففي الجابون ، أسلم الرئيس عمر بونجو [٢]. وفي تنزانيا أسلم عدد من التنزانيين من بينهم ٢٣ قسيساً [٣]. وحدث مثل ذلك في السودان .

وقد أوردت مجلة الدعوة السعودية بعض البيانات والإحصاءات عن عملية تحول الوثنيين للإسلام في إفريقيا بأنها تزيد عن التحول الوثني إلى النصرانية بنسبة ٢ : ١ لصالح الإسلام . ويقول الشيخ « سبكي سيلا » مدير مركز الإشعاع الإسلامي بداكار بالسنغال : « إن

---

(١) ونسي محمد خير ، المدرس بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم في مقابلة معه بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٤١٣ هـ .

(٢) حسن مكي ، المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٤ .

(٣) صرح بذلك لمجلة الدعوة أبو بكر موابو الذي أسلم بعد أن كان من بطارقة الكنيسة في تنزانيا مجلة الدعوة بتاريخ ١٢ / ٤ / ١٤١٣ هـ .

المستقبل في إفريقيا للإسلام بإذن الله »[1].

وفي تنزانيا أيضاً أنتقلت عائلة الرئيس التنزاني السابق جوليوس نايريري الكاثوليكي إلى الإسلام . وأما زائير التي تعتبر أكبر قطر إفريقي كاثوليكي ، فإن الكاثوليكية فيه تتعرض إلى إمتحان عسير على يد الرئيس الزائيري الكاثوليكي موبوتو سيسيسيكو نفسه الذي لم تقبل عقليته منهج الكاثوليك المتطرف ، الذي يطمث ثقافة الإفريقي ، ويجرده من اسمه وعاداته بإسم الثقافة الأوروبية الوافدة[2] .

وفي هذا يقول الأستاذ عمار هلال : إن ما يحدث حالياً من نزعة الأفارقة لإثبات شخصيتهم الإفريقية الأصيلة ، يرجع في جذوره لإدراكهم بوجود نخبة من المتغربين الذين صنعهم الاستعمار والتنصير بين صفوفهم[3].

لقد أصاب الكنيسة قلق من ظاهرة نبذ النصرانية والتخلي عنها في السر والعلانية ، ودفعت البابا بأن يعجل ببرنامج تسييس إفريقيا إذ سجل البابا أول زيارة في تاريخ البابوية لإفريقيا في رحلته إلى أوغندا عام ١٩٦٩ م ، ثم تلا ذلك رحلة البابا جون باول الثاني الذي كاد يكون قد جاب معظم إفريقيا ، حيث زار في عام ١٩٨٠ م كلاً من زائير والكنغو ، وكينيا ، وفولتا العليا ، وساحل العاج ، في عام ١٩٨٢ م زار الجابون ، وغينيا الإستوائية ، ونيجيريا ، وبنين ، وفي عام ١٩٨٥ م

---

(١) مجلة الدعوة ، العدد ١٣٣١ ، ص٢٦ ـ ٢٧ ، بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٤١٢ هـ .

(٢) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٢ .

(٣) انظر صحيفة عكاظ ، صفحة الفكر الإسلامي ، بتاريخ الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٤١٢ هـ الموافق ٣ أكتوبر ١٩٩١ م .

زار توجو ، وساحل العاج ، والكاميرون ، وجمهورية إفريقيا الوسطى وزائير ، وكينيا ، وفي عام ١٩٨٨ ، زار زيمبابوي ، وموزمبيق وبتسوانا ، وليسوتو ، وسوازيلاند ، وجنوب إفريقيا مع أنها لم تكن في البرنامج [١].

وفي عام ١٩٩٠ م ، زار دولة تنزانيا وافتتح بعض الكنائس والمشروعات التنصيرية ، حضر احتفالات النصارى بمناسبة مرور مائة عام على دخول النصرانية تنزانيا كما قام في عام ١٩٩١ م ، بزيارة إلى السنغال وجامبيا وغينيا [٢].

وينطلق الفكر المسيحي الآن في عداوته للإسلام وتعامله معه من منطلقات تاريخية قديمة تدخل في جملتها الأزمات الصليبية بحروبها وأبطالها ومعاركها ودعاياتها ، وما خلفته تلك الحروب والأزمات من آثار بعد فشل الغرب وهزيمته فيها ، فإن هذه الحروب قد أعطت الغرب المسيحي صورة مشوهة عن الإسلام ، وما زالت آثار هذه الصورة واستمرارها على العقلية الغربية ، يجعلها متحيزة ضد الإسلام. وحينما جاء الاستعمار الحديث ومعه إرسالياته وكنائسه وأفكاره ، جاءت هذه الإرساليات المسيحية معبأة بالأدب النصراني الداعي إلى تدمير الإسلام ، واقتلاع مجتمعاته ، والقضاء عليه عقيدة وشريعة . ولكن بعد كل الذي فعلته الإرساليات النصرانية في المجتمعات الإسلامية فإنها عجزت عن تحقيق البديل المسيحي . لقد حققت الإرساليات بعض النجاح في تدمير صورة الإسلام ، وإيجاد حالة لا هي

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري ، ص١٣٤ .

(٢) مجلة الدعوة ، العدد ١٣٣١ ، ص٣٥ ، بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٤١٢ هـ .

بالإسلامية ولا هي بالمسيحية . ومثال ذلك الوضع في جبال النوبا وجنوب السودان ، وغيرها من المناطق التي ابتليت بالوجود الكنسي إذ دمرت الإرساليات الثقافة والأعراق المحلية وصدت عن الإسلام ، ولكنها فشلت في إقامة إنسان مسيحي ، ومجتمع مسيحي ، وحضارة مسيحية ، مما جعل التكوين العقلي لهذه المناطق رهيناً للتوترات العقلية والنفسية والصراعات الذهنية . حيث إن الثقافة الغربية الكنسية اجتاحت العقلية الإفريقية من جذورها دون أن يكون في طاقتها إعطاء البديل الروحي المناسب .

لقد أدت الدعاية النصرانية إلى مزيد من التوتر في العلاقات العرقية والثقافية والدينية ، مما أدى إلى تصاعد الصراع وإنقسام الصفوة وتفتيتها ، وأصبحت المساهمة المرئية للفكر الكنسي ، تتمثل في ظاهرة إنعدام الثقة والخوف والمواجهة بين الشمال والجنوب .

إن الكنيسة تضمحل بحكم تشعب فكرها العقدي والديني وتعقيداته الشديدة الصعوبة ، ولأنها لا تملك الإجابة على الأسئلة التي يطرحها الناس حول أمور العقائد والدين بصفة عامة ، وإقناعهم بفكرها المعقد ، مثلما يجيب على ذلك الإسلام بكل وضوح وبساطة . كما أن الإسلام في وسعه منح الإنسان المعاصر إجابات لقضاياه وأزماته الفكرية والرحية . إن إفريقيا أكثر إنتماءاً لمجال الثقافة الإسلامية ، حيث يرمز الإسلام للحقيقة في شكل مبسط ومفهوم ومحبب للذهنية الإفريقية .

المبحث الثالث
التأثير الاجتماعي

الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية وآداب سلوكية وما يحيط بها من عادات وأعراف وتقاليد ، كانت ولا تزال هدفاً ضخماً لأعداء الإسلام والمسلمين . فبالسيطرة عليها ، أو تغريبها يستطيع الأعداء أن يسودوا المجتمعات الإسلامية ، وأن يغرسوا في نفوس الناس ، ما شاءوا من قيم وآداب وأعراف وعادات . وإذا أفلحوا في ذلك استطاعوا بأيسر مجهود ، أن يقتلعوا من نفوس الناس القيم الإسلامية ، والآداب القرآنية ، وكل فضيلة دعا إليها الإسلام .

وفي هذا المجال أي مجال التغريب والإفساد الاجتماعي ، كان لحركة التنصير والمنصرين ، التي اجتاحت مناطق متعددة من العالم الإسلامي في الآونة الأخيرة ، القدح المعلي في هذا الجانب . فنشاط المنصرين في أوساط المجتمعات الإسلامية ، لم يجعلهم نصارى تماماً كما كان يريد لهم المنصرون ، إذا لم يتنصر إلا العدد القليل منهم . ولكنه ترك آثاراً سيئة في نواحي المجتمع المختلفة ، تظهر جلياً في جانب المرأة والأخلاق ، والعادات والسلوك ، وتماسك المجتمع .

التأثير الاجتماعي في جانب المرأة :

فالمرأة باعتبارها نصف المجتمع ، والشريحة الهامة منه . بل هي في الحقيقة مدار الحياة الاجتماعية في كل مجتمع إنساني ، أصبحت هدفاً أساساً للمبشرين وحملاتهم المغرضة . لأن الوصول إليها بالأفكار الغربية المشوهة ، هو وصول إلى الأسرة بأسرها . فلذلك أنشأ النصارى

جمعية الشابات المسيحيات وغيرها من الجمعيات النسائية المختلفة .
وعندها خرجت المرأة المسلمة من عتبة دارها وخرجت إلى الهواء الطلق ، إلى التبرج ، وإظهار زينتها بعد أن خلعت حجابها ، وسارت في ركاب الحضارة الغربية الخاوية . لقد استجابت المرأة المسلمة وللأسف الشديد للدعايات التبشيرية الهدامة . فقد ظل المبشرون ومنذ زمن طويل يهدفون إلى الهجوم على هذا المعقل الحصين في الإسلام ، فزعموا أن المرأة المسلمة متأخرة ، وأنها لا تتحرر إلا إذا دخلت في النصرانية . ثم إنهم يزعمون قائلين أن الدين الإسلامي نفسه مصدر ألم المرأة المسلمة حيث إنها تتألم طبيعياً وروحياً وعقلياً ، إنها تخاف من زوجها ، ومن الموت ، ومن الطلاق [1].

ولعل جهل المرأة بدينها ، وجهل المجتمعات التي تعيش فيها أدى إلى تأثرها بهذه الإفتراءات والشائعات الكاذبة والدعايات المضادة .

لقد اقترنت الهجمة الصليبية الماكرة على العالم الإسلامي - بتخطيط لغزو فكري ، يستهدف إيمان الأمة وإسلامها . فقد كان رجال الكنيسة في أوروبا والبابوات ، هم المحرضين على الحروب الصليبية التي استهدفت بيت المقدس وعقيدة المسلمين . ولما فشلت هذه الحروب في القضاء على الإسلام وإبادة أهله ، جاء الاستعمار الحديث والتبشير بديلاً عنها ، وكذلك لم ينجح في تنصير المسلمين ، حيث بدا لهم أن الأمر في غاية الصعوبة . فكان لابد من إيجاد البديل عن التنصير لإخراج هذه الأمة من دينها وإبعادها عن عقيدتها فكان البديل هو

---

(١) سيد أحمد يحيى : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ص١٢٨ .

التغريب أو التغيير الاجتماعي [1].

فإن التغيير الاجتماعي بتغيير قيم الأمة ومثلها صار البديل عن تنصير المسلمين ، إذ يؤدي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم وهو بديل عن ردتهم الدينية .

تأثير التنصير على تماسك المجتمع :

لقد أوجد التنصير مشكلات اجتماعية سلبية في مجتمع النوبا ذلك المجتمع المتماسك حتى في زمن الوثنية الذي ولى . فقد عمد المنصرون إلى إيجاد الشقاق والكراهية بين أبناء المنطقة . فصار النصراني والوثني ينظرا ن إلى المسلم بحقد دفين وكراهية ويكيدا ن له كل الكيد . كذلك من آثاره إثارة النعرات العنصرية والقبلية ضد العناصر العربية المسلمة التي تقطن المنطقة . ويخاطب في الإنسان النوباوي الممارسات المشوهة عن العربي المسلم في حق الإنسان النوباوي الإفريقي الأسود ، ومخاطبة العبودية فيه بتصوير العربي المسلم في صورة المستعمر الذي جاء ليستعبد أهل المنطقة الأفارقة السود .

ومن الأمثلة الشاهدة على ذلك ما تمارسه الكنائس الآن عن طريق أنصارها من زعزعة للأمن وبذر بذور الفرقة والشتات والفتنة . فقد أولت الكنائس في المنطقة لأحد أنصارها وهو القس النوباوي المدعو « الأب فيليب عباس غبوش » مهمة فك الإرتباط بين النوبا والعرب وتمزيق العلاقة بينهم ، وربط النوبا بالجنوبيين من حيث الإفريقية

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص٢٧٧ .

والتخلف . وهذا ما حدث بالضبط لحركة المتمرد من أبناء الجبال « يوسف كوة » إذ كان وثيق الصلة بالكنيسة وبحركة المتمرد جون قرنق في جنوب السودان . وحركة التمرد التي أنشأتها وغزتها الكنيسة ترى أن تجربة زنزبار في تصفية العنصر العربي والإسلامي هي أمثل طريقة تستخدم في جبال النوبا ، لتصفية العنصر الإسلامي العربي من أبناء الجبال [١] .

واليوم تطالب هذه الحركات النصرانية المتمردة ، بإقامة دولة منفصلة لها تضم إقليم جنوب السودان ، ومنطقة جبال النوبا وجنوب النيل الأزرق ، لإعلانها دولة إفريقية نصرانية ، بدعم وتحريض من الإمبريالية العالمية والكنيسة الدولية .

كما عمد المنصرون إلى إيهام المسيحي ، بأنه هو من أرقى الطبقات إذ يمارسون التمييز بين الأهالي بسبب المعتقدات بترتيبهم اجتماعياً على النحو التالي :

أولاً : المسيحي ، ثانياً : الوثني ، ثالثاً : المسلم . ومع هذا فإن الكنيسة في إفريقيا ، تضع النوباوي النصراني في أدنى الدرجات ولكنه الخداع والتضليل الذي تمارسه الكنيسة لكسب المويدين لها . فمن الناحية الاجتماعية فإن الكنيسة تضع النوباوي في أدنى السلم المسيحي ، وتقدم عليه الجنوبي والإريتري ، وقلما يصل النوباوي إلى رتبة مطران أو نحوها . وتنظر الكنيسة إلى النوبا على أنهم قوم سيسلمون لقربهم من المؤثرات العربية والإسلامية [٢].

---

(١) الشيخ الحمدابي : موظف بالشئون الدينية والأوقاف وإمام مسجد الجريف شرق في مقابلة معه بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٤١٣ هـ .

(٢) المصدر نفسه .

كذلك تعمل الكنيسة على تمكين جو العزلة للمسيحيين وعدم إتاحة الفرصة لهم للاختلاط بالمسلمين ، والتعرف عليهم عن كثب والتعرف على دينهم خشية إسلامهم . وهذه العزلة هدفها تقوية الروابط بين المسيحيين لذلك لجأت الكنيسة لإنشاء الجمعيات الثقافية والاجتماعية ، وروابط الشباب والأندية وتوفيرها للمسيحيين ، والمحافظة على عاداتهم وتقاليدهم المحببة إليهم ولو كان في ظاهرها تتعارض مع مبادىء النصرانية ، مثل شرب الخمر ، والاعتقاد في الكجور ، وتربية الخنزير واللبس القصير الذي يظهر مفاتن المرأة . كما تحرص الكنيسة على إقامة الزواج للنصارى داخل الكنائس .

التأثير الاجتماعي في جانب الأخلاق والسلوك :

ومن آثار التنصير السيئة والمدمرة في المجتمع إشاعة الاختلاط بين الجنسين في كل مرافق الكنيسة ، في مدارسها ، وصلواتها ومعابدها ، واحتفالاتها ، ومهرجاناتها ، التي تقيمها على مسمع ومرأى من الناس وفي الأماكن العامة ، بحيث يجتمع إليها الناس ، وقد يحضرها حتى المسلمين أنفسهم في بعض المناطق . وهذا الأمر جعل ظاهرة الاختلاط واللبس القصير عند الفتيات أمراً مألوفاً في المنطقة فسرى شره على غير النصارى من أبناء المجتمع ، مسلمين كانوا أم وثنيين . إذ لم يمض على ذلك زمن طويل حتى أصبح الاختلاط بين البنين والبنات في أكثر معاهد التعليم وفي أغلب الحياة الاجتماعية أمراً مسلماً به .

وما داهية اختلاط النساء بالرجال ، إلا واحدة من حلقات المخطط التنصيري العالمي الرهيب ، المعادي للإسلام والمسلمين ، والتي يحاول

بها العدو أن يقضي على رجولة الرجال وأنوثة النساء ، ويصل من وراء ذلك إلى إشاعة التخنث والميوعة والتفاهة في الرجال ، والترجل والتهتك والعري في النساء . فتنسلخ شخصية المسلم من دينها ، وتندفع على غير وعي وهدى إلى تقليد الأوروبيين في هذه الدواهي التي يحرمها الإسلام وتخالف روحه ونصوصه [1].

ولقد كان من أفحش النتائج المدمرة بسبب هذا الاختلاط ، ظهور عادات وأخلاقيات جديدة في المجتمع ، تحاد الدين وتضاده ، أو تتنافى مع ذوقه وآدابه في أقل الأحوال . وهو السبب أيضاً وراء ظاهرة الجنوح والإنحراف واحتراف الحرف المخلة بالآداب والمنافية للشرف والأمانة .

أما عن الكنيسة ذاتها فحدث ولا حرج ، فإن حفلات الاختلاط التي تقيمها الكنائس في المنطقة ، كما يحدث في كنائس قرية الأزرق بريفي هيبان ، إذ نتج عن هذا الاختلاط كثير من حوادث الحمل سفاحاً ، بل إن هذه الحوادث أمر شائع على امتداد منطقة هيبان .

تأثير التنصير على استقرار المجتمع :

ومن أسوأ آثار التنصير الاجتماعية ، إدخاله لمعظم النصارى في المنطقة تحت مظلة التمرد الذي يقوده في المنطقة ربيب الكنائس المدعو يوسف كوة ، وما أدى إليه التمرد من قتل وتشريد ونهب وأخذ لحق الغير بالظلم ، وبغير حق ، وتدمير للمؤسسات والمنشآت الاقتصادية والاجتماعية ، وإفساد للبلاد والعباد . فترك أثراً اجتماعياً لا مثيل له ، وما لحق بالمجتمع النوباوي من فرقة وشتات فضلاً عن الوقيعة التي

---

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ص١٢٦ .

وقعت بين العنصر العربي والنوباوي .

وكانت نتائج هذا التمرد في السنوات الفائتة وما أصاب المنطقة من خراب ودمار كالآتي :

١ - النازحون الذين تركوا ديارهم ومساكنهم ، ٢٠٠ ألف نازح .

٢ - القرى التي هجرها المواطنون ، ٥٠ قرية .

٣ - المدارس الابتدائية التي تعطلت ، ٥٠ مدرسة . والمدارس المتوسطة التي توقفت ، ٥ مدارس ، وفصول محو الأمية التي تعطلت أيضاً ٥٢ فصلاً .

٤ - التلاميذ الذين شردوا ، ١٢ ألف تلميذ .

٥ - المساجد التي أحرقت ، ١٥٠ مسجداً .

٦ - السيارات التي دمرت بالألغام والحرق ، ٢٥ سيارة .

٧ - الماشية التي تم نهبها ، ١٥ ألف رأس من البقر و ٦ آلاف رأس من الماعز ، وثلاثة آلاف رأس من الإبل .

٨ - الأطفال اليتامى ، ثلاثة آلاف طفل .

٩ - الشهداء من المواطنين الأبرياء فقط ٤٥٠ شهيداً .

ويقول الشيخ كافىء طيارة [١] : إن الكنائس هي السبب الرئيسي في التمرد في المنطقة ، وخاصة منطقة « شاد الدمام » ، « حجر الدبيب » و « هيبان » و « أم دورين » . وقال : إنه كان هناك قس فرنسي « خواجه » في المنطقة يقوم بعملية تهريب المقاتلين وكان القس « الخواجة » يعطي مبلغاً من المال للشخص المرشح للخروج ويحثه على اللحاق بالمتمردين . كما تم تجنيد عدد من الأفراد في الكنيسة

---

(١) الشيخ كافىء طيارة : عمدة منطقة شاد الدمام « ٤٤ سنة » في مقابلة معه بكادوقلي بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٤١٣ هـ .

الكاثوليكية بالخرطوم ، ليتدربوا على حمل السلاح .

ومن المعروف أن حركة التمرد هي عالمية المقصد ، وهي أساساً ضد المد الإسلامي . ولذا نجد أن التمرد ، قد وجد أرضاً خصبة ومناخاً طيباً في جنوب السودان ، ومناطق جبال النوبا عموماً ، حيث احتضنت مواطنوا المناطق المسيحية ، قادة التمرد ووفروا لهم المعلومات والحماية والغذاء وسعوا بين الشباب والأقوياء من الرجال لتجنيدهم ونشر أفكار التمرد بينهم . ويلاحظ في كل جبال النوبا أن التمرد بدأ في المناطق التي بها كثافة عالية من المسيحيين مثل :

١ - أم دورين .

٢ - هيبان .

٣ - جميع قرى ومناطق الريف الجنوبي من كادوقلي « كاتشا - تبانيا - أندولو والمساكين » .

٤ - المناطق الجنوبية من الكواليب « أبيض - عبري - دري » وهي المناطق التي بدأ فيها التمرد أولاً بمحافظة الدلنج [١] .

وقد قام التمرد بأبشع الممارسات في المنطقة . إذ قام بإختطاف واغتيال عدد من قادة العمل الإسلامي وزعمائه في القرى شملت أئمة المساجد والمؤذنين ، وزعماء القبائل المؤثرين من العمد والمكوك والشيوخ المسلمين . وذلك لإثارة الفزع والرعب وإدخاله في نفوس الآخرين ، حتى يرجعوا عن الإسلام . وكان أيضاً من تلك الممارسات إدخال أفكار التمرد للمسيحيين داخل الكنائس أيام الآحاد حيث يجتمع

---

(١) تقرير منظمة الدعوة الإسلامية : بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ ، ص٢ ، ٣ ، مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة ، الخرطوم .

أعداد كبيرة جداً من الجنسين داخل الكنائس ، ويتم بث هذه الأفكار وعرض بعض الأفلام عن تعذيب البيض للزنوج في جنوب أفريقيا ويدعون أن هؤلاء يعذبون لإجبارهم على الدخول في الإسلام [١].

كما يتم إخفاء قادة التمرد داخل الكنائس ، حيث تنعقد الاجتماعات السرية ، ويتم رسم الخطط لاختطاف المسلمين ، والهجوم على القرى التي بها بعض المواطنين من العناصر العربية ، مثل قرى « أم برمبيطة ـ دلامي ـ كوكاية » . كما استخدمت وسائل النقل الخاصة بهذه الكنائس لتحركات قادة التمرد داخل المنطقة « جرار القس فضل بمنطقة القنى والذي وضع تحت تصرف المتمرد الأمين أبو سدر » . وقد استخدمت أبشع الوسائل لتعذيب المسلمين بحجة أنهم يقفون ضد هذا التيار [٢].

وكان من هذه الوسائل :

١ ـ ذبح إمام مسجد كوكاية أمام المصلين .

٢ ـ سبي النساء وتجريدهن من الملبوسات .

٣ ـ كي وحرق من يقع في أيديهم .

وإلى غير ذلك من الممارسات غير الإنسانية والتي تنم عن غيظ وحقد دفين تجاه المسلمين ، والتي تنفذها الكنائس من خلال عملائها وربائبها المتمردين .

تمر الكنيسة السودانية في وقتها الحاضر بمنعطف تاريخي خطير جعلها تتنكب عن أداء دورها وتبليغ رسالتها وتنصرف إلى العمل السياسي المحض ضد شعب السودان المسلم ، وضد أمنه ومؤسساته العسكرية ، كما أنها أخذت تروج الإشاعات الخطيرة الضارة بسلامة

---

(١) تقرير منظمة الدعوة الإسلامية عن النشاط الكنسي بجبال النوبا ، ص٣ ، بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ . مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة ، الخرطوم .

(٢) المصدر نفسه .

المجتمع وتماسكه ، واصمة إياه بممارسة الرق [1] ، وهي الهيئة المسئولة التي يساندها آلاف المبشرين المنتشرين في أنحاء البلاد ، وتعرف تماماً ما يجري داخل المجتمع السوداني ، كما تعلم أن مسألة الرق هذه لا تعدو أن تكون فرية كاذبة لا أساس لها من الصحة . وعندما تسعى الكنيسة إلى ترويج الأكاذيب ، وتفقد القدرة على النطق بالحق ، فإنها لا تعود مؤسسة روحية ، ولا يتأتى لها أن تقود المجتمع نحو القيم السامية والتماسك الأخلاقي ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، ولما كانت رسالة الكنيسة الأساسية ، وجودها على أرض السودان ، وبين شعبه الطيب الذي منحها حرية العمل ، والذي ينفحها بالامتيازات ، بينما تنفخ هي في العالم أن يهب لمعاقبة السودان ومحاصرته بدلاً من نجدته .

ففي منتصف يوليو ١٩٨٨ م ، قام القس مكرم ماكس أسقف كنيسة الأُبَيِّض بجولة في الولايات المتحدة الأمريكية ، داعياً إلى معاقبة السودان بفرض عقوبات اقتصادية عالمية ، وأهاب بالغرب الذي توقف عن إعانة السودان عسكرياً أن يكثف من ضغوطه على الدول الإسلامية

---

(١) وهي مزاعم نشرها أستاذان في جامعة الخرطوم من طائفة اليسار حول ممارسة الرق في السودان فكانت بمثابة هدية وقعت برداً وسلامة على الكنيسة . وقد استندت تلك المزاعم إلى نزاع قبلي معروف بين الدينكا وقبائل جنوب كردفان ، فصورته على غير حقيقته ، وأصبح الموضوع في قائمة جدول أعمال مجلس الكنائس السوداني ، وهو يتأهب للمشاركة في اجتماع مجلس عموم كنائس إفريقيا ، المنعقد في لومي عاصمة توجو في الثاني من ديسمبر ١٩٨٧ م فأوردت مذكرة المجلس أن السودان يمارس نظام العبودية ، في تحد تام لقواعد العدالة وحقوق الإنسان . وورد في ورقة رسمية بعنوان « إنقاذ السودان » ما يلي : « المناداة بضرورة إيجاد السودان الجديد الخالي من السيطرة العربية » ودعت الورقة مجلس الكنائس الإفريقي والعالمي إلى المساهمة في إيجاد هذا السودان الجديد . المشروع التنصيري في السودان ، ص١٢٨ .

كي تكف عن دعم السودان عسكرياً . وأشار إلى أن الحكومة السودانية مقبلة على سن تشريعات تمنع غير المسلمين من تولي المناصب العامة في الدولة ، وأن الحكومة قد عقدت صفقة سرية لاستبدال وكالات الإغاثة العربية بوكالات إسلامية [١].

بعدها أخذت حركة تطبيق الشريعة الإسلامية في السودان بعداً عالمياً ، حينما أصبحت واحدة من القضايا المثارة في أروقة مؤتمر لامبث العالمي في بريطانيا ، في يوليو عام ١٩٨٨ م [٢] ، حيث صدرت ثلاث توصيات بشأن السودان ، من أصل التوصيات السبع الصادرة في حق العالم الإسلامي . الأولى تعلقت فيما أسماه المؤتمر بظاهرة بروز الأصولية الإسلامية . حيث ذكر أن الإنبعاث الإسلامي أدى إلى خرق فاضح لحقوق الإنسان الأساسية ، وأن هذا الإسلام الأصولي مسئول عن ظاهرة تدمير الكنائس في نيجيريا والسودان .

وحثت التوصية الثانية حكومة السودان ، على التفاوض مع المتمردين ، بواسطة طرف ثالث كمجلس الكنائس العالمي أو الإفريقي . كما أبدت التوصية الثالثة ، قلقها المتزايد بشأن اتجاه حكومة السودان ، لإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وفرضها على شعب السودان ، وحثت التوصية الحكومة على إعادة النظر في قرارها ، حتى تحل محل الشريعة قوانين أكثر إنسانية في معاقبة المجرمين على حد قولهم [٣].

---

(١) حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٢٨ .

(٢) هو مؤتمر كنسي يعقد كل عشر سنوات ، تحت رئاسة رئيس أساقفة الكنيسة الإنجليزية ويحضره كل قادة المذهب الإنجلكاني على مستوى العالم ، وللمؤتمر أهمية سياسية وفكرية . نظراً لأثر الكنيسة على السياسة في بريطانيا وأمريكا وكندا وأستراليا . المشروع التنصيري في السودان ، ص١٢٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص١٢٨ ، ١٢٩ .

وهذا هو دأب الكنيسة ، المحاربة الصريحة الواضحة للإسلام وأهله وشرائعه ومعتقداته ، والتدخل السافر في شئون الدول ومحاولة التحكم في مصيرها . وخاصة في إفريقيا إذ أخذ المبشرون يلهثون وراء دقائق الحياة السياسية ، واستغلال المجتمع الإفريقي . وما تزال في حلوق الأفارقة غصة من تجارة الرقيق ، وما زالت ذكرياتها عالقة بأذهانهم ، وهم يسترجعون تاريخ القرن التاسع عشر ، حينما كانت سفن الرجل الأبيض تتنافس في تصدير الرقيق الإفريقي الرخيص وقبل إجراء الشحن يتم تعميد العبيد الأفريقيين بإضفاء أسماء أوربية عليهم ، دلالة على الامتنان والإنسانية ، وتعبيراً عن مشاعر حب الكنيسة ، لهؤلاء البؤساء . ومع هذا لا تستحي الكنيسة ، من أن تصف المجتمع الإسلامي بالرق . وهي التي بممارساتها غير الإنسانية زادت من شقاء الإنسان الإفريقي ، الذي اجتيحت هويته ، بعد أن ضاعت منه أرضه . وما تزال الكنيسة تبشر بإنجيل السلام ، وتدير الكف الأيسر لصفعات الرجل الأبيض ، في جنوب إفريقيا وغيرها .

وحتى يومنا هذا ، ما تزال هناك بعض الكنائس تحاول باستماتة الدفاع عن سياسات التمييز العرقي واللوني ، على قواعد مسيحية منطلقين من القصة الواردة في العهد القديم ، والتي ورد فيها أن حاما نظر إلى عورة أبيه نوح السكير وضحك ، وحينما علم نوح بذلك دعا على ابنه حاما قائلاً « فلما استيقظ نوح من خمره علم به ابنه الصغير فقال عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك الرب إله سام . وليكن كنعان عبداً لهم »(١)

---

(١) حسن مكي : المشروع التنصيري في السودان ، ص١٣٧ ، نقلاً عن العهد القديم ، الإصحاح التاسع الفقرة قبل الأخيرة .

وهكذا ينص العهد القديم المحرف على أن الأفارقة جبلوا بلعنة نوح ليكونوا عبيداً للأوربيين والساميين .

وما تزال هذه النظرة للأفارقة ، قابعة في أذهان الأوربيين ، لقد عمل في جنوب السودان وجبال النوبا ، آلاف الأوربيين ، تجاراً وموظفين وجنوداً ومبشرين ومغامرين وسياحاً . ومات بعضهم ودفن هناك ، وكون بعضهم ثرواتهم هناك ، ولكننا لم نسمع أن أحداً منهم تزوج بإمرأة نوباوية أو جنوبية ، أو أي إمرأة من القبائل الإفريقية الأخرى . كثير منهم اتخذوا من الإفريقيات خليلات ، ولكنهم لم يرتقوا بهن إلى مرقى الزوجية ، لقد كان بعضهم يهجر الخليلة ، بعد أن ينجب منها عدة أطفال ويتركها دون مال ودون أمل .

إنه من الصعب اتهام المسلمين بالعرقية والعنصرية [١] ، وما تقوم به الكنيسة من إطلاق للدعايات والإشاعات المضادة للإسلام والمسلمين لا أساس له من الصحة ، ولا يجد له مكاناً بين المسلمين ، لأن المسلمين في السودان ، كانوا نتاجاً لزيجات العرب المسلمين بالأفارقة ، ومن خلال اختلاط القبائل العربية المهاجرة مع أهل البلاد وبشكل تلقائي دون

---

(١) اتهمت بريطانيا ، وبعض الجهات الغربية والمسيحية ، السودان باضطهاد المسيحيين . ونشرت تقارير عن معاناة المسيحيين في جبال النوبا . صحيفة الحياة ص١٥ ، العدد « ١١٢٩٠ » بتاريخ ٢ شعبان ١٤١٤ هـ ، كما شاعت اتهامات غربية ومسيحية للسودان بتطبيق سياسة التطهير العرقي في جبال النوبا . مجلة الوسط ص٢٦ ، العدد « ١٠٢ » بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٩٤ م .
- كما قام القس جورج كيري ، كبير أساقفة كانتربيري بزيارة لمناطق التمرد في جنوب السودان وطالب في خطاب ألقاه في يوم ٣٠ / ١٢ / ١٩٩٣ م الأمم المتحدة ، بعمل شيء لوقف الجور الذي يمارسه السودان على أبناء الجنوب النصارى ، وإكراههم على الدخول في الإسلام حسب زعمه . مجلة المجتمع ص٣١ ، العدد ١٠٨٣ ، بتاريخ ٢٩ رجب ١٤١٤ هـ .

إكراه أو عنف . ولهذا فإن التكالب الإرسالي ، على مناطق جبال النوبا وجنوب السودان ، لن تجني منه هذه المناطق أي خير ، سوى زيادة التخلف والدمار .

وحقاً فإن ما يعانيه السودان اليوم ، من ويلات حرب أهلية بين أبناء الوطن الواحد ، تدور رحاها في جنوب البلاد ، وفي منطقة جبال النوبا ، إنما كان أثراً مباشراً من آثار التنصير ، ومن ورائه الاستعمار الغاشم .

وما يعانيه السودان اليوم ، من مشكلات اجتماعية واقتصادية ونعرات عنصرية وقبلية ، تفت في عضده ، إنما كان نتيجة حتمية لسموم النصارى ، التي نفثوها في جسمه ، في غفلة من أهله وفي غفلة من أبناء الأمة الإسلامية ، في عهد من عهود التيه والضياع ، التي مرت بها الأمة وفي عصر من عصور الجهل والتمزق والضعف . وإن لم تنتبه الأمة اليوم وتصحو من سباتها فإنها ستكون الطامة الكبرى .

إن أمتنا لم تزل محتلة القلاع ، مستباحة الحصون ، مشدودة بأغلظ قيود التبعية ، في أخطر وأجل ما ينبغي أن تستغل به أمة وتتميز به عما عداها ، وهو الفكر والتشريع والأخلاق والسلوك والتربية والتعليم ، وما يتبعها من مناهج وكتب وغيرها من حصاد الغزو الفكري وثمرات الإنقلاب الاجتماعي ، التي تمت على أيدي الكفار ومن خلفهم الطبقة البديلة .

وإذا كانت الأمم تحرص على استقلالها الفكري والاجتماعي ، بدافع من العزة القومية و الكرامة الوطنية أو غيرها من دعاوي الجاهلية ، فإن المسألة عندنا تختلف تماماً ، لأن الاستقلال عندنا في هذه الأمور إنما هو قضية عقيدة ودين ، ومسألة وجود ومصير ، ومسئولية رسالة ودعوة

وضرورة بعث وإنقاذ لأنفسنا وللعالمين ، ثم هي مهمة قيادة وهداية وتمكين لتعاليم الوحي الإلهي المشرق . وتمييز لها عن المناهج والنماذج البشرية ، التي سيطرت على الأرض وملأتها ضلالاً وإلحاداً ، وعناداً وفساداً . والإسلام ديناً ومنهجاً ، يأبى علينا التبعية كل الإباء . في كل مظاهرها ، في التربية والتعليم ، والمناهج والكتب ، وإعداد المعلمين وفي كل جزء أو شطر من أسلوب حياتنا اليومية ، وممارستنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل إن التبعية في ذلك تصبح خيانة لرسالتنا وجناية على أمتنا ، وشروداً بالقافلة البشرية عن طريق ربها الواحد القهار .

ويزيد الأمور سوءاً ، الإصرار على الماضي والاستمرار على خط الكفار ، وأسلوبهم في التوجيه المعنوي ، في التربية والتعليم ، والإعلام بمختلف أشكاله « صحافة ـ إذاعة ـ تلفزيون ـ وغيرها » وفي مظهر التشريع أيضاً . وهذه المظاهر تعتبر أهم آثار التنصير في إيجاد العلمانية والتغريب الاجتماعي .

ومن ثم فإن على « دعاة الإسلام » وأصحاب المنهج الإسلامي أن يكونوا على تمام اليقظة والإنتباه لطبيعة المرحلة التي يعيشون فيها وطبيعة المعركة التي يخوضونها ، وأنها معركة أشد فداحة وشراسة من معارك الكفاح والسلاح ، التي خاضتها أمتهم لتحصل على استقلالها الجزئي المحدود .

ومن هنا وجب ألا يضيعوا أوقاتهم في معارك جانبية ، أو في محاولات الترقيع ، وإنما يجب أن يلفتوا نظر أمتهم ، إلى واقعها الأليم ومصادمته للإسلام ، وأن هذا أثر مباشر من آثار التنصير والاستعمار الذي حاك خيوطه الكفار ، ورسموا خطوطه عبر قرون من الحقد

والتآمر والكيد للإسلام .

ولا يجدي غير هذا السبيل في مواصلة استنفار عزائم أمتنا حتى تتخلص باسم الإسلام وتحت رايته ، من أخطر وأخبث ما منيت به من ألوان الاحتلال والغزو الفكري والعقائدي ، والذي يكفي في التدليل على فظاعته ، أنه ترك المسلمين كالمريض الذي فقد مناعته ، وهزلت مقاومته ، واختلط عليه أمره ، فهو يتشفى بالداء ، ويفر من الدواء ويتعرض كل يوم لجديد من الوباء .

الفصل الخامس

مواجهة النشاط التنصيري في المنطقة

ويشمل المباحث التالية :

المبحث الأول : الجهود الفردية .

المبحث الثاني : الجهود الجماعية .

المبحث الثالث : الجهود الرسمية .

المبحث الرابع : جهود العالم الإسلامي .

المبحث الأول
الجهود الفردية

إن مواجهة التنصير أمر لا بد منه ، لصد التيار الجارف الموجه من ملة الكفر نحو الإسلام في جميع بلاد المسلمين ، وهي معركة تختلف باختلاف المواقع ، فتتفاوت من بلد لآخر. وهي في السودان أشد ضراوة لموقعه الوسط من إفريقيا ، التي يركز الغرب عليها ، ويعتبرها منطقة نفوذ له ، تمده بثرواتها الغنية ، ومنتجاتها الزراعية ، وسوقا لاستهلاك سلعه التجارية ، وليس هناك ما يحول بينه وبين تحقيق أطماعه سوى الإسلام ، ويعتبر السودان الموصل الأول له لما يمتاز به من وسطية الموقع إذ يجاور السودان تسع دول من أقطار القارة الإفريقية البكر ، تحيط به على امتداد حدوده الواسعة . كما أن السودان يعد النموذج المصغر للقارة من حيث المناخ والسكان ، مضافا إلى ذلك ثقافته الإسلامية ولغته العربية ، وقد فطن الغرب إلى أنه موصل جيد للإسلام فسارع للحيلولة دون ذلك بشتى الوسائل ، بدءا بالبعثات التنصيرية الأولى من عهد (سبيك ، وصامويل ، وغوردون) حتى الاحتلال ومحاولة استئصال الإسلام من شماله بعلمنة التعليم ، ومحاولة تفتيت القطر ، وسن قوانين المناطق المقفولة ، ومحاربة اللغة العربية ، ووضع العراقيل المتعددة أمام تقدم الإسلام المندفع من الشمال والغرب نحو جنوب القارة وشرقها وما زالت حكومات الغرب تلقي بثقلها نحو هذا الهدف ، وترصد الأموال الطائلة ، وتنشئ المعاهد الكبرى لإعداد الشباب للعمل في هذه المناطق وتتوارى خلف هذه المؤسسات الكثيرة التي تتلون بألوان شتى ، وتتخذ أسماء متعددة ، فتارة باسم التنمية ، وتارة باسم الإغاثة ، وأخرى

بالخبرات الأجنبية والفنية ، وهي في حقيقة أمرها مؤسسات كنسية مدعومة ماديا ، ومعنويا بالمال والرجال والسند السياسي.

فنشرت الخوف والذعر باسم السلام ، والخراب والدمار باسم التنمية ، والأحقاد والضغائن باسم المسيحية ، وتمد المتمردين والخارجين على الدولة بالأسلحة والمؤن.

وتعتبر الفاتيكان على صغر حجمها أكثر دول العالم إلماما بدقائق أخبار الدول الداخلية سياسيا واجتماعيا ، واقتصاديا ، وثقافيا فتعرف مواطن ضعف الدول ، ومواطن قوتها لكثرة انتشار المبشرين الكاثوليك التابعين لها الذين يزودونها بالأخبار والمعلومات والمنتشرين في جميع أنحاء العالم مما أهلها لأن تكون أعلم الدول بما يجري في العالم [١].

وهذا أمر تدركه الدول الغربية جيدا ويجهله كثير من المسلمين أو يتجاهلونه. ففي أثناء الحربين العظميين عامل رؤساء الدول المبشرين معاملة المحاربين ، فأسر من أسر وأبعد من أبعد ، وحدث في السودان إبان الفترة الاستعمارية أن طردت الحكومة الإنجليزية البروتستانتية المذهب المبشرين الإيطاليين الكاثوليك لعداوتها مع إيطاليا. وكذلك حدث الشيء نفسه مرة أخرى في سنة ١٩٦٤م ، لتدخلهم في الشؤون الداخلية للبلاد [٢] ، كما حدث ذلك في الحبشة سنة ١٩٣٥م ، وفي الصين سنة ١٩٥٠م [٣].

---

(١) إبراهيم عكاشة : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، ص٢٣ .

(٢) انظر الملحق رقم (٦) .

(٣) المصدر السابق ، ص٢٥ .

إن السياسة التي تبنتها الإدارة الاستعمارية في منطقة جبال النوبا ، والمتمثلة في محاربة الإسلام وتعزيز وتعميق الوجود التنصيري في المنطقة بتكريس جو العزلة ، وإتاحة الفرص لمؤسسات التنصير لكي تنفذ برامجها التنصيرية في منطقة الجبال ، وقد أثارت حفيظة المسلمين ، وخاصة المجموعات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية ومحيطها إذ مثّل تحيز الإدارة الاستعمارية لإرساليات التبشير النصراني تحديا واضحا لمشاعر المسلمين ، مما دفع بعض الشخصيات الإسلامية إلى التنبيه إلى هذا الخطر ومناهضة تلك السياسة ، وقد تجسدت تلك المناهضة في نشاط أفراد من المسلمين جاهدوا في سبيل نشر الإسلام ووقف الخطر التنصيري الزاحف. وعلى الرغم من قلة الإمكانات وضيق ذات اليد ، وضراوة الحرب فإن أثرهم الإسلامي فاق في مدة وجيزة ما فعله النصارى في وقت طويل مع توفر إمكاناتهم ، الأمر الذي يبشر بأن المسلمين إذا بذلوا الجهد المستطاع من القوة والعتاد ، فإن النصر سيكون حليفهم بإذن الله ، والمستقبل لدينهم دين الفطرة.

ولعلنا هنا نتطرق على سبيل المثال ، لجهود بعض أولئك النفر المخلصين لدينهم والذين استيقظوا مبكرين ، وانتبهوا لخطورة التنصير وعملوا على التصدي له ، فكان منهم الشيخ محمد الأمين القرشي والشيخ محمد البرناوي ، والمك كندة كربوس ، وبعض الخيرين من التجار. وسنعرض فيما يلي لنشاطهم بالتفصيل :

نشاط الشيخ محمد الأمين القرشي في جبال النوبا وجهوده :

ولد الشيخ محمد الأمين القرشي - رائد حركة التبشير الإسلامي في جبال النوبا - في رفاعة في ١٢ ربيع الأول ١٣٠٨هـ ، وكان والده القرشي ود البصير أحد أمراء الحركة المهدية على منطقة رفاعة وتلقى

محمد الأمين القرشي تعليمه في خلاوى رفاعة حيث تمكن من حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بكلية غوردون ودرس القضاء الشرعي، وبعد إتمامه الدراسة عمل في المجال القضائي متنقلا بين مدن السودان المختلفة إذ عمل في كل من الخرطوم، بارا، سنجة، أبو زبد، الدلنج، أم درمان الحصاحيصا، عطبرة، بورتسودان، الأبيض، الدويم[1].

إن انخراط الشيخ محمد الأمين القرشي في العمل القضائي - إذ كان قاضيا في الدلنج - أتاح له التعرف على منطقة جبال النوبا وطبيعة سكانها، والنشاط التنصيري فيها الأمر الذي شكل رغبته في القيام بالدعوة إلى الإسلام في منطقة الجبال، إذ أنه لما ترك العمل القضائي عام ١٩٤٦م، التحق بالتدريس وكانت فكرة القيام بالدعوة الإسلامية قد سيطرت على تفكيره، فترك التدريس عام ١٩٤٨م، وتفرغ نهائيا للعمل الإسلامي، فخاطب الحكومة الاستعمارية للسماح له بالتبشير الإسلامي في جبال النوبا. ولكن الإدارة البريطانية تلكأت في الرد على طلب الشيخ مما دفعه إلى مقابلة السكرتير الإداري، وناقشه في أمر التبشير في جبال النوبا [2].

حاولت الإدارة الاستعمارية اثناء الشيخ القرشي عن فكرته هذه، فكلفت السيد عبد الرحمن المهدي بالقيام بذلك الدور، كما عرضت عليه (أي الشيخ) منصب مفتي السودان وقاضي قضاة حضرموت نظير أن يتنازل عن أمر الدعوة الإسلامية في جبال النوبا. بيد أن تلك الإغراءات لم تثن الشيخ عن المضي في تنفيذ خطته. ولما أدركت السلطات تصميم وعزم الشيخ القرشي على الدعوة في جبال النوبا

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان، ص٧٤، ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص٧٧.

سمحت له بذلك [١].

شرع الشيخ القرشي في اتخاذ التدابير اللازمة لمشروعه الإسلامي ، فكون لجنة في أم درمان لتكون مظلة للعمل الدعوي الإسلامي ولجلب التمويل اللازم للمشروع. ثم توجه الشيخ بعدها إلى منطقة جبال النوبا واستقر في منطقة الدلنج في الجبال الشمالية ، واتخذها مركزا لنشاطه الدعوي في منطقة الجبال. وقد وجد مشروع الشيخ القرشي الدعوي في منطقة جبال النوبا تجاوبا منقطع النظير ، إذ التف حوله عدد من الأشخاص المتحمسين للعمل الإسلامي وسموا أنفسهم بجماعة التبشير الإسلامي [٢].

إن استقطاب جماعة التبشير الإسلامي لكندة كربوس الذي كان يتمتع بمهابة عند النيمانج ، وصديق كيلاني [٣] الذي كان موضع ثقة النيمانج أكسب حركة الدعوة الإسلامية بعدا شعبيا كما دفع جموع النيمانج إلى الإنخراط في صفوفها الأمر الذي شجع الشيخ القرشي على التركيز على منطقة النيمانج.

---

(١) الشيخ سعد حامد : إمام مسجد كادوقلي الكبير وأحد أصدقاء الشيخ القرشي في جماعة التبشير الإسلامي ، في مقابلة معه بأم درمان بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٤١٣ هـ .

(٢) ضمت جماعة التبشير الإسلامي في صفوفها بالإضافة إلى الشيخ القرشي كل من : الشيخ سعد حامد إمام مسجد كادوقلي الكبير ، والشيخ إبراهيم الكبيرة إمام مسجد الدلنج سابقاً والشيخ التجاني صديق أحد تجار الدلنج ، والملك كندة كربوس : نوباوي أحد مكوك قبيلة النيمانج ، وصديق كيلاني من قبيلة النيمانج .

(٣) يعتبر صديق كيلاني من أوائل الذين أسلموا من النوبا وكان اسمه أنجلو فسماه الشيخ القرشي صديقاً تيمناً بأبي بكر الصديق ، وعينه مؤذناً على أحد المساجد وكان يعرف بشدة تمسكه بالإسلام . انظر أحمد عبد الرحيم ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي ، ص٨٤.

كون الشيخ القرشي لجنة لرعاية العمل الإسلامي في جبال النوبا إثر التجاوب الذي وجده في الدلنج بعد إنشائه معهدا دينيا فيها ، ثم طاف على معظم جبال النوبا لعرض مضامين مشروعه الإسلامي. وقد شمل طوافه في منطقة النيمانج (جبال النتل الجنوبي) وجبل (كركرة) و(جبل الفسو) والنتل الشمالي وجبل (كَرْمَتي). ويروي الشيخ سعد حامد [1] قصة بداية التبشير الإسلامي في منطقة جبال النوبا قائلا :

أرسلنا من (الدلنج) مناديب إلى مكوك الجبال ليضعوا ميعادا لتجميع الناس لعرض الفكرة التي من أجلها أتينا ، واستعنا في ذلك ببعض رجال النوبا الأفاضل ، لأن كثيرا من النوبا لا يعرفون العربية ولا يأمنون العرب ، ولا يصدقونهم فيما يقولون [2] لكن بحمد الله وجدنا مؤمنا صادقا شجاعا هو الملك كِندة كربوس ، وكان في وظيفة عمدة النيمانج ، ومعه نصر الله صارمين وبعض أولاد النوبا بجانب جماعة التبشير الإسلامي. بدأنا بالنتل الجنوبي يوم الإثنين ، وبعده جبل (كركرة) ، ثم جبل (الفسو) والحمد الله وجدنا إقبالا صادقا على اعتناق دين الإسلام ، وقدمنا إلى تلك الجموع ما أمكن تقديمه ، ثم رجعنا إلى النتل الشمالي ، وقوبلنا بالترحاب ثم إلى جبل كرمتي ، وهناك حلت صلاة الظهر فأذن الشيخ التجاني صديق وأحسب أن ذلك كان أول أذان في تلك البقعة ، فنزل الجبل عن بكرة أبيه ، وتقبل الإسلام. وما زلنا

---

(١) في مقابلة معه بأم درمان بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٤١٣ هـ .

(٢) حدثت هذه الجفوة بين العرب والنوبا من جراء المفاهيم الخاطئة التي ركزها الاستعمار في أذهان النوبا عن العرب ، إذ صور لهم أن العرب جاءوا للمنطقة لاستعبادهم وبيعهم في سوق النخاسة وفرض دينهم عليهم بالقوة .

مرتبطين بمواعيد في مدينة سلارا عاصمة جبال النيمانج ، وفيها أمين دردمة مدير المدرسة (وهو نصراني) فقابلنا مقابلة فاترة. ثم ذهبنا إلى جبل (الكاركو) والحمد لله فإن كل من وجدناه تقبل الإسلام. وبعدها رجعنا إلى الدلنج وكانت تلك أول رحلة ولم تواجهنا فيها عقبات إلا من المفتش الإنجليزي.

كانت مدرسة سلارا الحكومية التبشيرية تضم (١٤٩) تلميذا ومديرها ومدرسوها نصارى ، وكانوا يعملون على تنصير التلاميذ ، إذ كان بالمدرسة كنيسة يؤدي فيها التلاميذ الصلاة مع النصارى. ففكر الشيخ القرشي في طريق إدخالهم في الإسلام ، فذهب إلى أولياء أمور التلاميذ والمكوك في المنطقة وشرح لهم طريقة تنصير أبنائهم من قبل المدرسة ، وحذرهم من عمل القسيس وحرضهم على حث أبنائهم على رفض أداء الصلاة في الكنيسة ، وإعلان إسلامهم. فكانت هذه هي بداية الاضطرابات في المدرسة التي انتظمت كل المدرسة وثار فيها الطلاب على محاولة تنصيرهم ، وفي يوم الأحد عندما قرع جرس الكنيسة للصلاة ، رفض الطلاب الذهاب للكنيسة ، واصطفوا صفا واحدا ، وأعلنوا إسلامهم جميعا ، فخر القسيس مغشيا عليه ، ونقل إلى المستشفى. وقد شغل ذلك الحدث السلطات الحكومية ، ونال اهتمامها ، فزار وزير المعارف (عبد الرحمن علي طه) المدرسة للوقوف على حقيقة الأوضاع فيها ومعه مدير المعارف ، وانتهت الزيارة بانحياز الحكومة للطلاب. وطرد القسيس من المدرسة إلى غير رجعة بعد أن خسر جهد (٢٥) عاما في لحظات. بعدها زار الشيخ ورفاقه المدرسة يوم الجمعة وصلوا معهم الجمعة ، وأنشد الشيخ القرشي في هذه الحادثة قصيدة بعنوان (سلارا

الجميلة) يقول فيها [١] :

تقدم يا أخي أسلم وأهلك كلهم أعلم

وقل إني فتى مسلم دخلت الدين لم أحجم

***

جبال النوبا انشرحت إلى الإسلام بل فرحت

ترى سكانها خرجت لدين الله وابتهجت

***

جبالك كلها تشهد بتوحيد العلي الأوحد

ولولا فضله تنهد ولم يبق بهن أحد

***

فوحد مثلها ربك وأسلم يغفر لك ذنبك

ونور بالهدى قلبك وأصلح أمتك شعبك

لقد لاقت حركة الدعوة الإسلامية تجاوبا ونجاحا منقطع النظير والتف حولها الكثيرون من مجموعات النوبا، حيث كان لها الدور الأكبر في حمل الكثيرين منهم على اعتناق الإسلام. وتذهب بعض الروايات إلى أن حوالي تسعمائة وستة وثلاثين شخصا من منطقة تندية أسلموا في يوم واحد أثناء طواف جماعة التبشير الإسلامي عليهم، بفضل الله ثم بفضل جهود أولئك الدعاة [٢] . كما لم يقتصر نشاط جماعة التبشير الإسلامي على منطقة النيمانج بل امتد إلى معظم مناطق جبال النوبا لاسيما منطقة الكواليب بجانب مناطق أم دورين والبرام وغيرها من المناطق.

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير ، ص٩٢ ، ٩٤ .

(٢) المصدر نفسه ، ص٩٢ .

رأى الشيخ القرشي ، أثر التفاف جماهير النوبا حوله ، فقرر إنشاء مراكز لبث مفاهيم الدين الإسلامي وسط النوبا ، فوقع اختياره على جبلي (كرمتي) و (الكاركو). وقد أشرف بنفسه على العمل في كرمتي بينما أشرف الشيخ سعد حامد على جبل الكاركو. ولكن كان لاستقرار قطبي الدعوة الإسلامية (الشيخ القرشي، والشيخ سعد حامد) في كرمتي والكاركو أثر كبيرعلى مسار الدعوة الإسلامية في جبال النوبا. إذ أسهم ذلك في حصر نطاقها كما أثر على انسياب الدعم لمشاريع التبشير الإسلامي الأخرى. غير أن ذلك لم يستمر طويلا إذ أملت ضراوة الاستقرار في كرمتي والكاركو بجانب تزايد أعداد الطلاب فيهما اختيار موضع يكون أكثر رحابة ، فتم اختيار مركز جديد بحي الرديف بالدلنج ليكون مركزا دائما لحركة التبشير الإسلامي في جبال النوبا. وقد تألف المركز من مسجد وخلوة يقدر عدد طلابها بثمانين طالبا. وقد استقر بعض مجموعات النوبا حول ذلك المركز الإسلامي الأمر الذي أثار سخط السلطات الاستعمارية ، إذ خشيت من تجمعات النوبا ودخولهم في الإسلام فأشارت على الشيخ القرشي بتغيير المكان. ووسط إصرار الشيخ ورفضه ترك المكان استجابت السلطات لرغبته وسمح له باتخاذ مركز حي الرديف مركزا إسلاميا في منطقة الدلنج [١].

كان لحركة التبشير الإسلامي بصمات واضحة في منطقة النيمانج . وكان أثرها في نشر الإسلام واضحا ظاهرا ، إذ اكتسبت الحركة شعبية كبيرة في المنطقة ، وكان من المتوقع أن تتسع شعبيتها أكثر من ذلك لولا بروز بعض المستجدات التي صاحبت انعقاد الانتخابات

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير ، ص٨٩ .

البرلمانية الأولى في البلاد ، إذ شق التنافس الحزبي الذي صاحب انعقاد الانتخابات طريقه إلى منطقة جبال النوبا ، وانقض الصرح الذي أسسه الشيخ القرشي في منطقة الجبال إذ تقاسمت الأحزاب المتنافسة أتباع الشيخ القرشي ، وأجهضت حركته الدعوية فلم تثمر أكثر من ذلك. إذا قام الحزبان الكبيران آنذاك ، حزب الأمة الذي يضم طائفة الأنصار الدينية ، والحزب الاتحادي الديمقراطي الذي يضم طائفة الختمية الدينية باستقطاب كل من أسلم على يد الشيخ القرشي إلى صفوفهما باعتبار أن هذه الأحزاب دينية وبقصد المشاركة في السلطة.

جهود المك كِنْدة كربوس :

يعد الملك كربوس من أبرز الشخصيات النوباوية التي ناهضت النشاط الكنسي في جبال النوبا ، كما كان له دور هام وكبير في دعم حركة الدعوة الإسلامية التي قام بها الشيخ محمد الأمين القرشي في منطقة الجبال.

نشأ الملك كندة كربوس [١] في منطقة النيمانج (النتل) في وقت كانت فيه جبال النوبا ترزح تحت براثن الجهل والتخلف، وانخرط في صفوف العسكرية تطلعا أن يجد ما يشبع نهمه ويجسد نزواته ، وتدرج في الجيش حتى وصل إلى رتبة ضابط ثم أحيل بعدها إلى التقاعد. وقد توجهت أنظار قومه إليه إثر تقاعده عن الوظيفة طمعا في أن يتولى أمورهم ويمثل وجهات نظرهم لدى الدوائر الحكومية فاختير مكاً للنتل [٢].

---

(١) توفى الملك كندة كربوس رحمه الله وبقى أحفاده ولكن لم تذكر المصادر تاريخ وفاته أو ولادته .

(٢) الشيخ سعد حامد : في مقابلة معه بأم درمان بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٤١٣ هـ .

إن مـا أبـرزه الملك كندة كـربـوس من جـدارة أثـنـاء تـولـيـه لمكوكـيـة النتل عمق ثقة قومه به حتى أضحى اسمه على ألسنة النيمانج بل وأصبح موضع فخرهم واعتزازهم، ولم يقف الأمر عند ذلك بل تطلع الكثيرون من مجموعات النيمانج لتنصيبه ناظرا لعموم شرائح النيمانج بدلا عن أمين دردمة.

إن الصراع السياسي الذي صاحب فترة الانتخابات البرلمانية الأولى دعم اتجاه تنصيب الملك كندة كربوس في نظارة النيمانج، إذ أن انخراط أمين دردمة في حلبة الصراع الحزبي أسهم في تشكيل معارضة ضده انتهت بإبعاده عن منصب نظارة النيمانج، إذ كان ذلك في حسبانهم يمثل بزوغ فجر جديد مفعم بالخير والتفاؤل. وقد كان الملك كندة كربوس جديرا بتلك الثقة إذ كان مسلما شجاعا صقلته الجندية، كما كان متفانيا تواقا إلى الإصلاح، ويقول عنه الشيخ القرشي: «إنه كان يستغرب من شجاعة ذلك الرجل (كندة كربوس) ومن غيرته على أهله وسعيه لإصلاح أحوالهم وإدخالهم في الدين الإسلامي»[١].

لقد رحب الملك كندة كربوس بمشروع الشيخ محمد الأمين القرشي ووظف سلطاته الإدارية والقضائية في سبيل ترسيخ مفاهيم الدين الإسلامي لدى شعب النوبا. كما شارك في طواف جماعة التبشير الإسلامي على القرى والمدن لشرح تعاليم ومبادئ الدين الإسلامي الحنيف لمجموعات النوبا المختلفة. وكان يقوم بترجمة خطب الشيخ القرشي وتبسيط معانيها تيسيرا للأهالي على فهمها. وقد ذهب الملك كندة كربوس في حماسة للدعوة الإسلامية ونشر الدين أبعد من ذلك إذ اقترح على

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير ، ص٨٨ .

الشيخ القرشي تقديم استقالته من منصب النظارة والتفرغ كليا لنشر الدين الإسلامي ، بعد أن تشاجر مع المأمور الإنجليزي بسبب نشاطه الدعوي ، غير أن الشيخ القرشي رفض ذلك الاقتراح نظرا لأهمية منصب نظارة النيمانج ، وأثره في نشاط حركة التبشير الإسلامي [١].

وعموما يمكن القول بأن تولي الملك كندة كربوس لنظارة النيمانج أعطى حركة الدعوة الإسلامية في الجبال دفعة قوية إلى الأمام وأكسبها القبول والبعد الشعبي وسط مجموعات النيمانج.

اهتم الملك كندة كربوس بتعميق مفاهيم الإسلام في منطقة النيمانج ومحاربة العادات الضارة المنافية للإسلام ، فأصدر عدة تشريعات لمحاربة العري ، وأكل الخنزير ، وتمشيط شعر الرأس للرجال بحيث يصبح مشابها لشعر النساء ، واللعب المميت بالعصى، بجانب منع اختلاط الرجال بالنساء في الاجتماعات ، ولإيجاد الشرعية لتلك التشريعات ولسد المنافذ أمام اختراقها كان الملك كربوس يجمع مكوك النيمانج في مجلس اتحاد النيمانج ويعرض عليهم تشريعاته وما وضع لها من عقوبات ، كما يعمل جاهدا لحمل مكوك النيمانج على الموافقة على تلك التشريعات مما أكسبها هيبة وسط شعب النيمانج.

إن محاولات الملك كندة كربوس في تنزيل مفاهيم الإسلام على شعب النوبا لم تكن وقفا على مجموعة النيمانج بل امتدت إلى سائر مجموعات النوبا الأخرى ، إذ استغل الملك كربوس اجتماعات مكوك

---

(١) أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير ، ص٨٦ ، ٨٨ .

الجبال في بحيرة البيضة [١] وناشدهم في عدة مرات إصدار تشريعات لمحاربة العادات المنافية للإسلام. وقد كان للمك كربوس القدح المعلى في حمل اجتماع بحيرة البيضة المنعقد في فبراير ١٩٦٠م، على تقديم احتجاج إلى السلطات الحكومية ضد النشاط الكنسي في جبال النوبا بحجة أن الكنائس أدخلت أولادهم في النصرانية. كما هاجم ذلك الاجتماع تعليم المدارس المختلط والموجه من قبل السياسة التبشيرية للكنائس.

وهكذا قضى المك كندة كربوس حياته داعيا إلى الإسلام مدافعا عنه متصديا لكل التيارات التي تقف عائقا في سبيل نشره، ووظف كل مقدراته وسلطاته، وإمكاناته التي وهبها الله له في سبيل نشر هذا الدين، فكان أن جاءت جهوده طيبة ومثمرة. وبات أثرها واضحا على مجتمعه الذي تسربت إليه المعاني والمفاهيم الإسلامية.

جهود الشيخ البرناوي (١٨٨٤-١٩٦٧م):

ينتسب الشيخ محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عثمان البرناوي إلى الأسرة الحاكمة في بلاد برنو [٢] التي ترجع أصولها إلى قبيلة حمير اليمنية. ووالده عبد الله أحد العلماء في بلاد برنو، وقد

---

(١) هو اجتماع قبلي يعقد في منطقة بحيرة البيضة ويكون عادة في منتصف فبراير من كل عام ويحضره كل من مفتش كادوقلي والدلنج وتقلي وممثل قبائل المسيرية بجانب عدد كبير من رؤساء المصالح الحكومية في المنطقة كالمفتش الطبي والبيطري وضابط وقاية النباتات ومدراء مديريات أعالي النيل وكردفان. ويعد ذلك الاجتماع من أهم الاجتماعات القبلية السنوية التي تبحث المشكلات الإدارية والقبلية لقبائل المنطقة.

(٢) يقع إقليم برنو غرب بحيرة تشاد، أي في المنطقة الواقعة الآن في جمهورية نيجيريا الحالية وقد وقعت تحت الاستعمار البريطاني من ١٩١٤ - ١٩٦٠ م.

حفظ الشيخ البرناوي القرآن الكريم منذ عمر مبكر [١].

وعندما وقعت بلاد برنو تحت وطأة الاستعمار البريطاني آثر البرناوي السياحة حيث غادر بلاد برنو في مجموعة من أصحابه ، فعبر الأراضي السودانية إلى المناطق المقدسة. ولعل ما حظي به الشيخ البرناوي من حفاوة وترحاب من السودانيين أثناء عبوره إلى الحج قد شجعه على الانضمام إلى جماعات العمل الإسلامي في السودان. إذ أن الشيخ بعد أدائه لفريضة الحج وعند عودته من مكة آثر الاستقرار في السودان.

اتجه الشيخ البرناوي إلى الدعوة الإسلامية في جبال النوبا وواصل سيره حتى وصل إلى منطقة كالوقي (جنوب شرق الجبال) والتقى هناك بالشيخ جامع ود البدري [٢] الذي كان قد سبقه إلى تلك المنطقة ، ومكث الشيخ البرناوي فترة قصيرة في الجبل الأحمر [٣] ثم في كالوقي وبعدها توجه إلى تالودي حيث تعرض للاعتقال من قبل السلطات الاستعمارية هناك. إذ أمر مستر نورث سكوت مفتش تالودي سنة ١٩١٨م ، بسجنه لبضعة أشهر ، كما حذره دينق جبرا مفتش الدلنج من خطورة ما يقوم به من أعمال على الاستقرار والأمن للمستعمر. ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في تالودي حتى تزوج فيها عام ١٩١٩م [٤] ثم أمر بمغادرة الجبال ومنع من دخول المنطقة التي فرض فيها قانون

---

(١) مخطوط الشيخ البرناوي : باالليري شرق ، غير مطبوع .

(٢) هو تلميذ الشيخ عبد الباقي المكاشفي راعي الطريقة القادرية بالجزيرة .

(٣) يقع الجبل الأحمر شرق كالوقي على بعد ثلاثة أميال تقريباً .

(٤) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٠ .

المناطق المغلقة ، إذ ذهب مرتين إلى هيبان وأخرى إلى دلامي ، وكان دائما مطاردا من قبل السلطات الاستعمارية إذ لا تكاد تمضي ليلة واحدة حتى يأتيه القس ومعه المفتش والعسكر ويتم إجلاؤه عن المنطقة [١].

بعد إجلاء الشيخ البرناوي عن منطقة جبال النوبا ذهب إلى الجزيرة بوسط السودان ، ثم رجع مرة أخرى إلى الجبال ، فوصل كالوقي والليري حيث تعرض لبعض المتاعب والمساءلة من قبل السلطات الاستعمارية. ولما كثر أمر الاعتقال على الشيخ البرناوي قرر الزواج من تالودي رغبة في أن يجد مسوغا لصرف أنظار السلطات عنه. ومن تالودي واصل الشيخ البرناوي نشاطه في سائر مناطق جبال النوبا فوصل إلى كدبر في عام ١٩٣٩م ، ثم هيبان التي وجد فيها معارضة شديدة من قبل المبشرين المسيحيين ، ثم توجه إلى الشواي [٢] فمكث فيها ثلاثة أشهر وانتقل بعدها إلى منطقة الهدراء [٣] التي مكث فيها قرابة أربع سنوات استطاع خلالها كسب الكثيرين من النوبا إلى الإسلام وإدخالهم في الدين الحنيف [٤].

واصل الشيخ البرناوي نشاطه في جبال النوبا وتجول في عدة مناطق مع أتباعه حيث وصل إلى الدلنج ، وكادوقلي ، والليري وكالوقي. ثم اتجه إلى قرية أم حيطان [٥] حيث ركز نشاطه بها فتجاوزت مدته بها

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٠ .

(٢) تقع الشواي شمال شرق كادوقلي على بعد ٦٠ ميلاً تقريباً .

(٣) تقع الهدراء في منتصف المسافة بين الدلنج وكادوقلي .

(٤) مخطوط الشيخ البرناوي - بالليري شرق .

(٥) تقع قرية أم حيطان شمال شرق كادوقلي على بعد ٥٥ ميلاً تقريباً . (انظر الخريطة ملحق رقم ٢) .

ثلاث عشرة سنة.

وفي قرية أم حيطان وفي عام ١٩٦٣م ، ولما مرض الشيخ البرناوي وأدرك أن صحته آخذة في التدهور انتقل إلى الليري شرق واتخذها المقر الدائم لإقامته ، وظل مستقرا فيها حتى وافته المنية بها عام ١٩٦٧م [١].

بوفاة الشيخ محمد البرناوي عام ١٩٦٧م ، توقفت القوافل التي كانت تجوب المناطق في جبال النوبا بغرض الدعوة إلى الإسلام ، ولم يبق إلا بعض الجهود البسيطة المتفرقة التي لم يكن أثرها كبيرا حتى ظهور الهيئات والمؤسسات الدعوية الحديثة والتي بدأت تؤسس لها عملا دعويا في المنطقة بصورة منظمة.

هذه صورة مختصرة تمثل بعض أوجه نشاط الشيخ القرشي والشيخ البرناوي والملك كندة كربوس في نشر الدعوة الإسلامية ومحاربة التنصير في المنطقة. وهي مثال للنشاط الفردي الذي قام به الدعاة المسلمون في منطقة جبال النوبا والذي أسهم في فتح معظم مناطق الجبال أمام المؤثرات الإسلامية.

وعموما يمكن القول بأن الأثر الذي ترتب على نشاط الشيخ القرشي والبرناوي والملك كربوس وسائر الدعاة الإسلاميين في الجبال يعد شاهدا على دور الدعاة المسلمين في إثراء الوجود الإسلامي في منطقة جبال النوبا ونشر الإسلام بين أبنائها.

---

(١) أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة ، ص٣٠ .

نشاط التجار:

لقد كان التجار المسلمون يمثلون الطلائع المتقدمة في نشر الإسلام بين المجموعات الإفريقية المختلفة. وقد ازدوج عملهم التجاري ونشرهم للإسلام إلى درجة أصبح فيها من الصعوبة وضع فواصل بينهما حيث إن التجار المسلمين في إفريقيا كانوا دعاة، والدعاة كانوا تجارا. وأن ذلك الإزدواج كان عاملا فاعلا في تقبل الأفارقة للإسلام وانخراطهم في صفوفه، وقد كتب في ذلك توماس آرنولد قائلا:

إن هذه الدعوة الإسلامية كانت إلى حد كبير في أيدي التجار وخاصة في إفريقية وبلاد أخرى غير متمدّنة، حيث يرى الأجنبي موضع الريبة والشك بطبيعة الحال من أهالي هذه البلاد. أما في حالة التاجر فنجد أن مهمته المعروفة التي لا ضرر فيها تضمن له مناعة من أي إحساس بمثل هذه الريبة، على حين نرى خبرته بالناس والأخلاق وحنكته التجارية في معاملة الناس تنيلانه قبولا حسنا، وتزيلان ذلك الشعور بالضيق الذي قد ينشأ بطبيعة الحال من وجود الغريب [١].

ويرى ترمنجهام، أن الاتصال الثقافي والتجاري كان من أقوى العوامل في الانتشار الطبيعي للإسلام، وأن الإسلام ينتشر عبر الطرق التجارية، وأن السود كانوا على اتصال مع التجار والدعاة. ولذلك كان إنتشار الإسلام وسط مجموعات السود نتيجة للعمل التبشيري الشخصي للتجار [٢].

---

(١) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ص٤٦١، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن ود. عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

(٢) Trimingham J.S : Islam in the Sudan, P. 247 - 250, Oxford University Press, London, 1965.

وقد تسرب الإسلام إلى قبائل جبال النوبا عبر التجار (الجلاّبة) الذين تعودوا أن يذهبوا إلى قبائل النوبا للبيع والشراء في أسواقهم وقلما يقوم هؤلاء الجلابة بدعوة مباشرة إلى الإسلام ، لكن كثيرا ما تأتي الدعوة بطريق غير مباشر حين يبسط الجلابة حصيرهم في الأسواق العامة لأداء الصلاة أمام المئات من أفراد القبائل الوثنية. وبالرغم من أن التجوال وإظهار الشعائر الإسلامية في الملأ كان محظورا عليهم في فترة الحكم الاستعماري إلا أنه كان من العسير أن يهتدي إليهم أحد من رجال الإدارة الاستعمارية لأن زعماء القبائل كانوا يأوونهم ويخفونهم عن الأنظار [١].

وبهذا استطاع التجار المسلمون أن يشكلوا إحدى العقبات التي تقف أمام الزحف التنصيري في المنطقة ، فكان لهم أثر كبير في جذب بعض النوبا إلى الإسلام وإبعادهم عن النصرانية.

وعليه فإنه يمكن القول بأن التجار المسلمين كان لهم إسهام كبير في تصدير المؤثرات الإسلامية إلى منطقة جبال النوبا قبل إنتشار الدعاة الإسلاميين في المنطقة مؤخرا. وكانت حركة التجار هذه مثلت الأرضية الخصبة التي اعتمد عليها الدعاة في نشر الإسلام فيما بعد في المنطقة.

---

(١) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ص١٤٤ ، ط٢ ، الدار السودانية للكتب ، ١٩٦٧ م .

المبحث الثاني
الجهود الجماعية

تمثلت الجهود الجماعية في نشر الإسلام ومقاومة التنصير في جبال النوبا في المنظمات والهيئات الدعوية الحديثة على مستوى السودان مثل: المركز الإسلامي ببابنوسة ، الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة ، مؤسسة موفق الخيرية ، هيئة إحياء النشاط الإسلامي وغيرها.

وسنتطرق بإذن الله في هذا المبحث إلى أنشطة هذه المؤسسات بشيء من التفصيل كمثال للجهود الجماعية في مواجهة التنصير.

١ - المركز الإسلامي ببانوسة :

أنشئ المركز الإسلامي ببابنوسة - جنوب كردفان - عام ١٤٠٢هـ من قبل بعض العناصر المسلمة والحادبة على الدعوة الإسلامية درءاً للخطر التنصيري الزاحف على المنطقة ومجابهته بصورة عملية ومنظمة خاصة وأن منطقة بابنوسة أو جنوب كردفان عموما ، تعتبر منطقة صراع قبلي وديني وثغرا مهما من ثغور الإسلام. والمركز يقوم بدور كبير في الحد من النشاط الكنسي بالمنطقة ، ويقوم بتحذير السكان المسلمين في المنطقة ويثير فيهم الغيرة الدينية [١].

والمركز تتعدد أنشطته فتشمل النشاط الدعوي والتعليمي والرعاية الاجتماعية ، والخدمات.

وتشمل الأنشطة الدعوية الآتي:

١ - دروسا دورية في التوحيد والفقه والتجويد والتفسير والسيرة

---

(١) تقرير مجلس أمناء المركز الإسلامي - ببانوسة - جنوب كردفان ، أول رمضان ١٤٠٩ هـ .

النبوية الكريمة.

٢ - الدعوة والوعظ من خلال المساجد.

٣ - التوعية بين البدو الرحل حول المنطقة ويقوم بها دعاة متجولون.

٤ - إقامة المحاضرات والندوات لتبصير الناس بأمور دينهم في الأحياء التي يبلغ عددها أربعة وعشرون (٢٤) حيا.

٥ - إحياء ليالي رمضان بالذكر والتلاوة وإقامة صلاة التراويح والتهجد.

٦ - تخصيص دروس دينية للمؤلفة قلوبهم من النازحين من الإقليم الجنوبي وذلك بإعطائهم دروسا في مبادئ الإسلام وحفظ قصار السور، وتعليمهم كيفية الصلاة، ويبلغ مجموع المستفيدين مئة وستة وخمسون دارسا.

كما تضم شعبة التعليم الآتي:

١ - المعهد الأوسط لتعليم القرآن الكريم ويضم (١٨٠) طالبا.

٢ - فصول محو الأمية تعليم الكبار للنساء، ٨فصول.

٣ - فصول محو الأمية وتعليم الكبار للرجال، ٣ فصول.

٤ - دروس تقوية لطلاب المرحلة الثانوية في مواد التربية الإسلامية واللغة العربية والرياضيات واللغة الإنجليزية.

٥ - فصول تعليم الحياكة مع دروس دينية للنساء.

٦ - الإشراف على ست وثلاثين مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم (خلوة) حول المنطقة.

٧ - أربع رياض للطفل المسلم تضم خمسمائة طفل.

كما يهتم المركز بشؤون الرعاية الاجتماعية والخدمات، فيقدم المنح والإعانات الشهرية والموسمية والملابس لعدد من المعوزين والأرامل

واليتامى والنازحين والذين تكتظ بهم المنطقة. كما يقوم المركز أيضا بمساعدة الطلاب الفقراء المحتاجين في مراحل لتعليم المختلفة. كما يساهم في تخفيف ودرء آثار الكوارث بالمنطقة كالحرائق والسيول والجفاف وغيرها من أنواع الخدمات التي كانت تقدمها الكنائس للمواطنين فتستدر بها عطفهم نحوها وتستميل بها قلوبهم إلى النصرانية، فكان بذلك المركز الإسلامي ببابنوسة السد المنيع أمام الإغراءات الكنسية المشبوهة. فجزى الله خيرا القائمين على أمره ووفقهم[1].

٢ ـ الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة :

وتعمل الوكالة في عدة مجالات، أهمها مجال الصحة، إذ أقامت الوكالة مراكز بكل من معسكر السلام للعائدين من حركة التمرد وفي عدد من المخيمات، كما تقوم الوكالة بعمل فرق صحية متحركة تقدم الخدمات الصحية في المدارس والسجون وأماكن تواجد النازحين. كما أنشأت الوكالة مركزا للتحصين لتطعيم الأطفال والحوامل، وأنشأت الوكالة كذلك مراكز للتغذية للأطفال والرضع، والمسنين بمعسكر السلام للعائدين من حركة التمرد[2].

وفي مجال التأهيل العلمي والصحي قامت الوكالة بعقد دورات تدريبية للجنسين في الرعاية الصحية الأولية، حيث تم تدريب دفعة تضم (٤٥) دارسا. وكذلك أقيمت دورة نسائية ضمت (٤٥) دارسة، وذلك للكوادر الصحية الوسيطة. كما أن للوكالة الآن مشروعا لكفالة الأيتام

---

(١) تقرير مجلس أمناء المركز ـ رمضان ١٤٠٩ ـ إعداد مصطفى أبو بكر رئيس مجلس الأمناء.

(٢) سيف النصر حسن محمد : ورقة دور المنظمات الإسلامية في الدعوة، ص٤، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة.

يضم (٧٥) يتيما تكفلهم الوكالة كفالة تامة [١].

ومن خلال ما تقدمه هذه الوكالة من خدمات للمواطنين فإنها تقوم بدور الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وتثبيت قيم الدين في المجتمع. كما تعمل على سد الطريق أمام المنظمات الأجنبية والهيئات التنصيرية ذات الأهداف المشبوهة. وذلك بتوفيرها البديل للخدمات التي كان يقدمها المنصرون عبر مؤسساتهم المختلفة ، وبالتالي تكون قد سحبت البساط من تحت أقدامهم.

٣ ـ مؤسسة موفق الخيرية :

بدأت مؤسسة موفق الخيرية عملها في منطقةجبال النوبا حديثا إذ كان ذلك في أوائل التسعينات من هذا القرن. ولها مكتب في الدلنج وآخر في كادوقلي.

ويشمل نشاط المؤسسة النواحي الدعوية والرعاية الاجتماعية والتنمية.

ففي المجال الدعوي يقول الأستاذ علي حسن مدير : تقوم المؤسسة بفتح المدارس والخلاوي (مدارس تحفيظ القرآن) وإنشاء دور للمؤمنات والمساهمة في بناء المساجد في المنطقة وترميم القديم منها. كما قامت المؤسسة بتوفير عدد من الشيوخ الحفظة لتدريس القرآن وتجويده وعدد من الدعاة المتخصصين للقرى المتفرقة إذ يشكل هؤلاء فريق دعاة متجول يطوف بالقرى لإلقاء المحاضرات والدروس في مختلف علوم الدين والتي تشمل الحديث والسيرة والعبادات والتوحيد. وكذلك تشمل دروس التوعية الدينية المحاضرات والندوات المعروضة على شريط

---

(١) سيف النصر حسن محمد : ورقة دور المنظمات الإسلامية في الدعوة ، ص٤ .

الفيديو. كما أقامت المؤسسة مراكز للمهتدين من أبناء المنطقة والأقاليم الجنوبية الذين يدخلون في الإسلام حديثا. وقد شملت هذه الأنشطة عددا من القرى الابتدائية والمتوسطة.

وفي مجال الرعاية الاجتماعية كان لهذه المؤسسة دور كبير في توفير بعض الخدمات لأهالي المنطقة والتقليل إلى حد كبير من اعتمادهم على مساعدات المؤسسات الكنسية والنصرانية. فكان هذا العمل الاجتماعي المصحوب بالتوعية الإسلامية له دور كبير في نشر الإسلام والوعي الديني في المنطقة مما فوت الفرصة على أعداء الإسلام والمتربصين به. حيث تقوم المؤسسة بدعم الأسر الفقيرة، ودعم وتنمية قرى السلام النموذجية بريفي كادوقلي لإيواء النازحين والعائدين من حركة التمرد. كما قامت المؤسسة بإنشاء مراكز لكفالة الأيتام بكادوقلي ودار للمؤمنات بحي السوق، وتعمل المؤسسة على تنظيم برنامج مائدة الرحمن (إفطار صائم) في شهر رمضان المبارك، ومشروع كساء العيد للفقراء والمحتاجين.

وفي مجال التنمية تعمل المؤسسة على إنشاء مراكز الأسر المنتجة، والعمل على إصحاح البيئة، ونشر الصناعات الصغيرة وتنمية المناطق الأكثر تخلفا بتوفير احتياجاتها الأساسية. ودعم القرى بالجرارات الزراعية وطواحين الغلال، وكل ذلك يتم بالاستعانة بوسائل البحث العلمي والإعلام والتدريب لتطوير عمل المؤسسة [١].

---

(١) الأستاذ علي حسن مدير: مدير مكتب المؤسسة في الدلنج في مقابلة معه بالدلنج بتاريخ ٢٧ / ١١ / ١٤١٣ هـ.

٤ ـ هيئة إحياء النشاط الإسلامي :

نشأت هيئة إحياء النشاط الإسلامي وسط موجة من الزحف التنصيري الهائل الذي اجتاح المنطقة بإمكاناته الضخمة والدعم الدولي المتواصل له تحت مختلف الأسماء والعناوين . فتارة تحت ستار الإغاثة وتارة تحت ستار التوطين وإعادة التعمير وأخرى تحت ستار مكافحة الجفاف والتصحر . ففي غمرة هذا الطوفان قام بعض الأفراد المسلمين الخيرين الغيورين على دينهم بالسعي للدعوة الإسلامية والتبشير الإسلامي بإمكانياتهم ومواردهم الفردية ، فأحس بهم بعض المسلمين الحادبين على الدعوة الإسلامية ، وحماية العقيدة وإثراء العمل الإسلامي بين الناس فأجمعوا في ٢١ جمادى الآخرة ١٣٩٤ هـ ـ الموافق ١٧ / ٤ / ١٩٧٤ م على تكوين هيئة إحياء النشاط الإسلامي [١].

فوضعوا دستورها ولوائحها ، وسجلت رسمياً وبدأت عملها بعون الله وتوفيقه لإنقاذ الناس والسعي لهدايتهم والعمل لإحياء ما اندرس من تعاليم الإسلام بالمدن والقرى والبوادي ، وذلك بالتركيز على دعوة المسلمين إلى المساجد ، وحثهم على ارتيادها ، وبإنشاء مدارس تحفيظ القرآن « الخلاوي » ، والمعاهد الدينية والمكتبات وتوفير الخدمات الاجتماعية . ودعوة غير المسلمين للدخول في الإسلام .

من أنشطة الهيئة وإنجازاتها :

قامت الهيئة منذ إنشائها بتحقيق إنجازات عدة منها :

إنها استطاعت إرجاع قرية كاملة في جبال النوبا بغربي

---

(١) الشيخ سعد حامد : في مقابلة معه بأم درمان بتاريخ ١٠ / ١١ / ١٤١٣ هـ .

السودان إلى دين الإسلام بعد أن أغرتهم وضللتهم الكنيسة فخرجوا عنه وقد حفرت لهم الهيئة بئراً يسقي الناس والأنعام وبنت لهم مسجداً وفتحت لهم خلوة . وما زالت تتولى رعايتهم وتساعدهم في أمور حياتهم المعيشية وغيرها . كذلك من أبرز إنجازات الهيئة بناء المركز الإسلامي في بابنوسة وتعطيل تصديق إنشاء كنيسة بابنوسة [١].

واستطاعت الهيئة أن تثبت دعوتها في أنحاء القطر المختلفة وتركز أكثر جهودها في المناطق المتخلفة ذات الكثافة الوثنية والنشاط الكنسي ، كمناطق جنوب السودان وجبال النوبا والأنقسنا في جنوب شرق البلاد . حيث أقامت ثلاث دورات تدريبية لمعلمي الخلاوي « مدارس تحفيظ القرآن » ومدرسي الكتاتيب بالتعاون مع قطاع الشئون الدينية والأوقاف ، وذلك من أجل تطوير التعليم الديني في هذه المناطق .

هذه بعض المعالم البارزة والمختصرة لجهود هيئة إحياء النشاط الإسلامي وغيرها من المؤسسات الدعوية والتي تمثل الجهود الجماعية في درء خطر التنصير ومواجهته على سبيل المثال لا الحصر . والتي كان لمجهوداتها الدور الكبير والفعال في مقاومة الزحف التنصيري والكنسي المنظم والمدعوم مادياً من عدة جهات ، والذي كان يهدد البلاد من أدناها إلى أقصاها .

---

(١) الشيخ / حامد عبد الرحمن الحمدابي : أمين مجلس هيئة النشاط الإسلامي السابق والموظف بالشئون الدينية والأوقاف في مقابلة معه بالخرطوم بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٤١٣ هـ .

المبحث الثالث
الجهود الرسمية

الجهود الرسمية في مواجهة التنصير في المنطقة تتمثل في مكاتب الإرشاد والتوجيه « الشئون الدينية والأوقاف » سابقاً . وهي تعتمد على موارد الدولة وموارد الدولة ضعيفة ولا ترقى لمستوى مقاومة جهود الكنيسة الدولية بإمكانياتها غير المحدودة . خاصة وأن موارد الولايات والأقاليم ضعيفة .

يقول الشيخ إدريس إبراهيم [١] : إن الجهود التي تقوم بها الجهات الرسمية لمواجهة التنصير في المنطقة والمتمثلة في الشئون الدينية والأوقاف تعتبر حركة محدودة نظراً لضيق الإمكانات وعدم توفر الدعم المادي والبشري . ومكتب الشئون الدينية بالدلنج لا يمتلك أية سيارة منذ عام ١٩٨٥ م ، فلذلك ينحصر نشاطه داخل مدينة الدلنج والأرياف القريبة ، حيث يقوم المكتب بالإشراف على المساجد والأئمة وتقديم الندوات الدينية ، ودعم الخلاوي مادياً ، وهي إعانة رمزية لا تذكر في مقابل جهود الكنائس التنصيرية . ويتم الإشراف على « ١١٨ » مسجداً وإماماً ، ثلاثون منهم معينون رسمياً من الشئون الدينية وتصرف لهم رواتب شهرية ، والبقية منهم تصرف لهم إعانات متقطعة وغير منتظمة . ومكتب الدلنج به داعيتان يعملان في كل المنطقة في الوعظ والإرشاد وليس لهم دعم مالي ثابت بالإضافة إلى مرشدة واحدة داخل المدينة.

---

(١) مدير مكتب الشئون الدينية بمحافظة الدلنج بالنيابة في مقابلة معه بالدلنج بتاريخ ٢٧ / ١١ / ١٤١٣ هـ .

ولعل الناظر إلى إمكانيات وطاقات وزارة الشئون الدينية المحدودة لا يتوقع منها الكثير في مواجهة المد التنصيري الزاحف .

وربما كان لحساسية وضع السودان والأوضاع العالمية وما أفرزته من مواقف عدائية تجاه السودان [١] أثر كبير في عدم بروز جهود رسمية واضحة واحتكاك مباشر مع الجهات الكنسية . ولكن يوجد نوع من الرقابة والتضييق على الجمعيات والمؤسسات التنصيرية ونشاطات الأفراد العاملين في المنظمات الإغاثية والتي هي أصلاً ذات طابع تنصيري خفي . وذلك بحصر أنشطتها ، وعدم السماح لها بالتوسع وإقامة مباني وأفرع جديدة ، ولعل هذا مما زاد في هذه الهجمة الكنسية ضد السودان .

كما أن قرار الحكومة بسودنة الكنائس في جنوب كردفان كان له الأثر الكبير في إيقاف المد الكنسي بالمنطقة ، وكذلك طرد المنظمات الطوعية والكنسية التي كانت تعمل بدون ترخيص ، بحجة أنها تعمل في المجال الطوعي والإنساني . وكانت هناك محاولة من السلطات المحلية لحسم ظاهرة الكنائس العشوائية في مجلس ريفي هيبان في السنوات الأخيرة وأمرت بإغلاقها في فترة السيد / عبد الرحمن إدريس الذي كان محافظاً لجنوب كردفان [٢] . والذي قام بتحويل مجمع بابنوسة الكنسي

---

(١) مثل الاتهامات العالمية والغربية الكنسية المتكررة للسودان باضطهاد المسيحيين والتضييق عليهم وإجبارهم على الدخول في الإسلام . واتهامه بالأصولية ودعم الإرهاب ونحو ذلك . انظر الفصل الرابع ـ المبحث الثالث ص٢٧٠ من هذا البحث .

ـ انظر مجلة البيان ، ص٦٩ ، ٧٠ الصادرة عن المنتدى الإسلامي بلندن العدد ٧٣ ، رمضان ١٤١٤ هـ .

(٢) عبد الرحمن إدريس : محافظ محافظة جنوب كردفان في الفترة (١٩٧٨ م ـ ١٩٨٠ م) (٨٢ ـ ١٩٨٥ م) في مقابلة معه بأم درمان بتاريخ ٣٠ شوال ١٤١٣ هـ .

إلى مدرسة ثانوية للبنات . الأمر الذي أوجد نوعاً من الحقد والرواسب العدائية تجاه سلطات المحافظة وفروعها ، حيث سجل اجتماع المطارنة بجوبا عاصمة جنوب السودان المنعقد في سنة ١٩٨٣ م ، صوت إدانة لعبد الرحمن إدريس . ولكن كانت معظم هذه الكنائس التي أغلقت أو صدر أمر بإغلاقها تتحايل على السلطات بحيل وليعاد فتح بعضها بالقوة إثر صدامات عنيفة بين السلطات المحلية في المنطقة والنصارى وبمساعدة رجال الإدارة الأهلية من النصارى .

أما في الجانب التعليمي فقد تم تغيير المناهج الدراسية والتربوية بما يتوافق مع المنهج الإسلامي وتم إبعاد الفاسد منها والذي تشوبه بعض الأفكار العلمانية ومظاهر التغريب . كما تم الاهتمام بمساجد المدارس وإعادة تأهيلها والاهتمام بالمظهر الإسلامي .

كما تم حديثاً إنشاء هيئة الدعوة الإسلامية ، وهي هيئة إسلامية تهتم بالدعوة والدعاة وتأهيلهم ، برئاسة الدكتور شيخ : زهير عثمان علي نور أحد خريجي جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . وقد تم تأهيل ألف داعية في العام الماضي وتم ابتعاثهم إلى مختلف مناطق السودان ، وخاصة المناطق ذات الكثافة المسيحية كجبال النوبا وجبال السودان .

كما تقوم الهيئة الآن برعاية وتنفيذ برنامج للدعوة الشاملة بالتعاون مع وزارتي التربية والتعليم والإرشاد والتوجيه « الشئون الدينية » .

هذه بعض المعالم البارزة والمختصرة للجهود الرسمية في مواجهة التنصير ودرء خطره والتي اتسمت بأنها محدودة الأثر . ولو كانت الجهود الرسمية بمستوى جهود المنظمات والهيئات الطوعية لبلغت

الدعوة الإسلامية في جبال النوبا شأواً بعيداً ولانحسر التنصير في أضيق الحدود . ولكن الجهة المنوط بها تنفيذ برامج الحكومة في الدعوة هي الشئون الدينية والأوقاف ، وهذه تعاني من شح الموارد والإمكانيات ونقص الكوادر البشرية المؤهلة . ومع أن هناك جهود طيبة بدأت تظهر مؤخراً ، إلا أنها ما زالت ضعيفة ومحدودة ، وعلى الجهات الرسمية القيام بالمزيد ومضاعفة الجهد والإمكانات .

المبحث الرابع
جهود العالم الإسلامي

كما أنه قد كانت هناك جهود فردية وجماعية لمواجهة التنصير فكذلك قامت هيئات إسلامية عالمية بالدعوة الإسلامية ومواجهة التنصير . فكان من بين هذه الهيئات والمؤسسات التي تمثل جهود العالم الإسلامي والفكر الإسلامي والإرتقاء بالمسلمين ومكافحة التيارات الهدامة : منظمة الدعوة الإسلامية في إفريقيا ـ المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ـ رابطة العالم الإسلامي .

وكان لهذه المؤسسات والهيئات جهودها المثمرة في منطقة جبال النوبا وفي السودان بصفة عامة . وفيما يلي نتطرق لأنشطة هذه المؤسسات بشيء من التفصيل .

منظمة الدعوة الإسلامية :

على غرار ما قام به النصارى من إنشاء للجمعيات والمؤسسات التنصيرية ، حاولت بعض الجماعات الإسلامية تأليف جمعيات لنشر الدعوة الإسلامية مع الاهتمام بالقضايا التعليمية والعلاجية في مجال الدعوة الإسلامية . ومن أمثلة هذه الهيئات ما أنشىء منها في بلاد الهند مثل : أنجمن حماية إسلام التي تأسست في لاهور ، وأنجمن هداية إسلام في دلهي . وكما تأسست في عام ١٢٩٢ هـ ـ ١٨٧٥ م ، « جمعية القسطنطينية » لنشر الدعوة الإسلامية في يوغندا ، ولكن الحرب الروسية التركية سنة ١٢٩٥ هـ ـ ١٨٧٨ م ، حولت أنظار الأتراك عن أي

مشروع من هذا القبيل [١].

وأنشئت حديثاً بعض المنظمات المهتمة بهذه الجوانب من بينها منظمة الدعوة الإسلامية في « إفريقيا » التي تكونت عام ١٤٠١ هـ - ١٩٨٠ م ، ومقرها في العاصمة السودانية الخرطوم . وهي منظمة غير حكومية يضم مجلس أمنائها خمسة وأربعين عضواً من المملكة العربية السعودية ، والكويت ، وقطر ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، ومصر ، وليبيا ، والسودان ، وأوغندا ، ونيجيريا وجامبيا. بالإضافة إلى ممثلين عن كل من رابطة العالم الإسلامي والندوة العالمية للشباب الإسلامي ، والأزهر والبنك الإسلامي للتنمية [٢] .

وتهدف المنظمة إلى نشر الإسلام وتعاليمه وآدابه في أوساط غير المسلمين ، وترشيد الجماعات المسلمة من أجل تنمية الشخصية المسلمة القادرة على فهم عقيدة التوحيد ومدلولاتها العميقة في الحياة . وتهتم المنظمة بالتعليم والعلاج ، وعمليات الإغاثة وغيرها لصالح المسلمين الفقراء لسحب البساط من تحت أقدام الهيئات والمؤسسات الكنسية التي تستخدم هذه الوسائل في نشر مبادئها [٣].

---

(١) إبراهيم عكاشة : ملامح عن النشاط التنصيري في االوطن العربي ، ص٤١ .

(٢) إبراهيم عكاشة : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، ص٤٢ .

- انظر ، عبد الرحمن الضحيان : المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي - دراسة مقارنة - ص٤١٩ ، ط١ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

(٣) دليل منظمة الدعوة الإسلامية ، ص٥ ، الطبعةالرابعة ، صفر ١٤٠٩ هـ ، من مطبوعات المنظمة .

نشاط المنظمة في كادوقلي :

تعتبر منظمة الدعوة الإسلامية من أوائل المنظمات التي طرقت باب العمل في جنوب كردفان وجبال النوبا ، إذ بدأت نشاطها في محافظة كادوقلي عام ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥ م ، وقد أنشأت في المنطقة خمسة عشرة وحدة إسلامية متكاملة ، كل وحدة عبارة عن مجمع إسلامي صغير يحتوي على مسجد وخلوة ودار مؤمنات ، ويوجد بكل وحدة داعية متفرغ وآخرون متعاونون . وقد توقفت بعض تلك الوحدات بسبب التمرد القائم الآن في المنطقة . وقد تبنت المنظمة حوالي ثلاثين داعية تقدم لهم الدعم المادي والمعنوي في سبيل نشر الدعوة الإسلامية . وقد التقيت بأحدهم في زيارتي لكادوقلي وهو الشيخ يوسف الفائدي إمام وخطيب مسجد كادوقلي الكبير . والذي ينظم دروساً دورية في علوم الدين المختلفة ، بالإضافة إلى جهوده في المحاضرات والندوات ودروس التوعية داخل المدينة وفي المؤسسات الأخرى . وقد أشهر أُناس كثر إسلامهم خلال هذا النشاط . كما أن المنظمة لها نشاطها الاجتماعي والإغاثي الذي يخفف من وطأة المعيشة على الفقراء والمحتاجين ويسد الباب أمام المنظمات التنصيرية المشبوهة التي تتخذ من وسائل الخدمة الاجتماعية مدخلاً لها إلى قلوب وأفكار هؤلاء الضعفاء [١].

وقد قامت المنظمة بتشييد ثمانية مساجد بالمواد الثابتة في محافظة كادوقلي وهي :

١ ـ مسجد رئاسة المنظمة .

٢ ـ مسجد مجمع الهجرة .

---

(١) سيف النصر حسن محمد : ورقة دور المنظمات الإسلامية في نشر الدعوة ، ص٢ .

٣ - مسجد حي تافري .

٤ - مسجد حي مرتا .

٥ - مسجد أبو سون .

٦ - مسجد أم جبر الله .

٧ - مسجد أم دورين .

٨ - مسجد دمبا .

كما أنشأت المنظمة أربع خلاوي وتسع دور للمؤمنات [١] بكادوقلي . أما في مجال التعليم فقد أنشأت المنظمة المدارس الآتية :

١ - مدرسة إبتدائية للبنات .

٢ - مدرسة متوسطة للبنات .

٣ - مدرسة متوسطة للبنين .

٤ - روضة أطفال مجمع الهجرة .

وفي مجال الصحة شيدت المنظمة مستوصف نجلاء للأطفال الذي يقدم الخدمات الصحية والعلاجية للمواطنين بكادوقلي .

نشاط المنظمة بمحافظة الدلنج :

تواجه منظمة الدعوة بالدلنج وبمنطقة جبال النوبا عموماً تحدياً كبيراً ، إذ أن المنطقة تمثل مسرحاً كبيراً للوجود الكنسي المكثف في الأجزاء الشرقية من المحافظة ، والوجود الوثني في بعض الأجزاء الغربية من المحافظة . كما تواجه دمار وخراب الحرب الأهلية والتمرد المندلع منذ عام ١٩٨٣ م ، لذا فإن المنظمة تعمل جاهدة لنشر الدعوة الإسلامية

---

(١) دور المؤمنات هي جمعيات نسائية دعوية لنشر الإسلام وإقامة الدروس الفقهية وتحفيظ القرآن وتجويده .

وإدخال العباد في دين الله القويم ، وتطوير المجتمع المسلم فكرياً وثقافياً عبر الوسائل الآتية :

١ ـ قوافل دعوية لنشر الدعوة مباشرة .

٢ ـ معرفة أسلوب العمل عند المنصرين ومعرفة ظروف المنطقة .

٣ ـ محاولة وضع خطط مناسبة لأحوال المنطقة وحاجة الناس للدعوة .

٤ ـ إنشاء المؤسسات والجمعيات النسائية لنشر الإسلام وتحفيظ القرآن .

٥ ـ إنشاء ودعم الخلاوي .

٦ ـ بعث الدعاة وإقامة الدروس في المساجد .

٧ ـ الإسهام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والرعاية الصحية للجماعات المسلمة .

والجدول التالي يوضح النشاط الدعوي للمنظمة بمحافظة الدلنج لعام ١٤١٢ هـ حسب التقرير السنوي لمكتب المنظمة بالدلنج .

عدد القوافل	عدد دور المؤمنات	عدد المستفيدين	عدد الخلاوي	عدد الأطفال بالخلاوي	عدد حلقات التلاوة
٣	٦	١٦٩٠ شخصا	٤	٦٠٠	٣٠
حديث المسجد	دورات تحفيظ القرآن	دورات التجويد	عدد المستفيدين	الإفطار الجماعي	المناسبات الدينية
١٤٠	٤	١٢	١١٠	٤	١٣

النشاطات الشبابية والتعليمية للمنظمة :

لا توجد بالمنظمة في بعثة الدلنج مدارس تتبع للمنظمة إلا أن النشاط التعليمي الموجود يتم تنفيذه عبر الوسائل الآتية :

١ ـ رياض الأطفال .

٢ ـ فصول محو الأمية .

٣ - تقديم دروس التقوية لطلاب وطالبات المدارس .

٤ - المحاضرات والندوات الثقافية والعلمية .

٥ - المركز الثقافي الإسلامي عبر المكتبة - بالإضافة إلى المكتبة السمعية والمرئية (أشرطة الكاسيت والفيديو) . والجدول التالي يوضح نشاط المنظمة التعليمي للعام ١٤١٢ هـ . عن التقرير السنوي لأنشطة مكتب المنظمة بالدلنج :

عدد رياض الأطفال	عدد الأطفال المستفيدين	عدد فصول محو الأمية	الدارسون في كل دورة	الندوات والمحاضرات التي أقيمت	الجمعيات الطلابية
٣	٢٤٠	٤	١٦٥	٤٢	٣

الرعاية الصحية والاجتماعية :

لا توجد في البعثة مؤسسات صحية تتبع للمنظمة ، بل تساهم المنظمة في دعم مؤسسات الدولة القائمة ببعض المساعدات الدوائية البسيطة ومساعدة الأفراد عن طريق صندوق الاسعافات بالبعثة .

ويتركز نشاط البعثة في مجال الرعاية الاجتماعية في الآتي :

١ - مساعدات نقدية قدمت قدرها ٢٠ ألف جنيه استفاد منها طلاب المدارس والأرامل والمرضى .

٢ - ملبوسات قدمت تقدر بـ ٢٤٤٨ قطعة استفاد منها ٨١٦ شخصاً .

٣ - مواد غذائية قدمت تقدر بـ ٥ أطنان وزعت على النازحين والعائدين من حركة التمرد ومعسكرات الطلاب .

٤ - عدد الأطفال اليتامى المكفولين بلغ عددهم ٣٠٠ طفل ، بالتعاون

مع مؤسسة موفق الخيرية والجمعية الإفريقية لرعاية الأمومة والطفولة .

هذه بعض صور جهود المنظمة والتي تعتبر بحق أفضل ما استخدم في مواجهة الحركة التنصيرية في المنطقة . إذ أن المنظمة تستخدم الوسائل العلمية الحديثة والأساليب الفعالة . ولكن الإمكانيات الضعيفة تحول دون الإنطلاقة الكبرى التي تطمح إليها المنظمة .

المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم :

من المعروف أن إفريقيا كانت ولا تزال مسرحاً للحملات التنصيرية المتتابعة والمستمرة . وأن التنصير قد حقق أغراضاً استعمارية فيها بسبب التخلف والفقر والجهل ، فجاء قيام المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم في مرحلة هامة من تاريخ القارة الإفريقية ذلك لأن العوامل السياسية التي أقعدتها في الماضي عن السير في طريق التقدم قد زالت ، بعد أن تحررت من سيطرة الاستعمار وبدأت طريقها للتحرر من التبعية الفكرية ، وأصبح الطريق أمامها ممهداً للتطور الصالح .

والمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم : هو مكان لإعداد دعاة إفريقيين بعد تلقيهم تدريباً ذا طابع مميز يؤهلهم لخدمة الإسلام في إفريقيا . ومقره مدينة الخرطوم بالسودان ، وتم إنشاؤه في عام ١٩٧٢ م [١] .

والمركز الإسلامي بالخرطوم يعد خير أنموذج لتعاون العالم

---

(١) انظر مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد الأول رجب ١٤٠٥هـ - إبريل ١٩٨٥ م .

- انظر مجلة الأمة كذلك ، ص٤٣ ، العدد ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ .

الإسلامي في مجال نشر الدعوة الإسلامية ومكافحة التيارات الهدامة والمعوقة لانطلاقة العمل الإسلامي ، إذ شارك في تأسيس المركز وتحمل نفقاته كل من : المملكة العربية السعودية ، ودولة قطر ، ودولة الإمارات العربية المتحدة ، ودولة الكويت ، ومصر ، والمغرب ، والسودان .

ويعمل المركز على تحقيق الأهداف الآتية :

١ - العمل على نشر الإسلام وتعميق الثقافة الإسلامية في إفريقيا .

٢ - العمل على تصحيح العقيدة الإسلامية وتثبيتها بين المسلمين في إفريقيا .

٣ - إعداد الدعاة إلى الإسلام .

٤ - خدمة المجتمعات الإسلامية عامة والإفريقية بصفة خاصة .

٥ - التعاون مع الهيئات والمؤسسات الإسلامية على نشر الإسلام والثقافة الإسلامية [١].

دور المركز في مواجه التنصير في جبال النوبا :

يقدم المركز عدداً كبيراً من فرص الدراسة لأبناء جبال النوبا بأقسام المركز المختلفة ، وهؤلاء بدورهم بعد تأهيلهم في المركز وإعدادهم الإعداد الجيد الذي يمكنهم من حمل رسالة الدعوة ، يقومون بالدعوة الإسلامية في مناطقهم ووسط أهلهم ، حيث شرع خريجو المركز يسدون ثغرات هامة في مناطقهم . ولما كانوا هم من أهل المنطقة ومن أبنائها كان لهم الأثر الكبير في نشر الإسلام هناك وتصحيح مفاهيم العامة .

---

(١) انظر مجلة الدراسات الإفريقية ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٥ هـ - إبريل ١٩٨٥ م .

- انظر دليل المركز الإسلامي الإفريقي ، ص٧ ، رمضان ١٤٠٣ هـ .

كذلك يقوم المركز بتسيير قوافل دعوية وإقامة معسكرات تدريبية للطلاب في مناطق جبال النوبا المختلفة . فقد سير المركز قافلة إلى منطقة العباسية تقلي بالجبال الشرقية ضمت ٤٤ طالباً ، وأربعة من الأساتذة ، وقد اشتملت برامج القافلة على ندوات ودروس في المساجد من الأساتذة والطلاب في التفسير والفقه والتوحيد ، وزيارات لمعالم ومنشآت المدينة الدينية والاجتماعية . بالإضافة إلى بعض المساعدات العينية والمادية التي قدمت لأهل المنطقة [١].

كذلك سير المركز قافلة أخرى إلى منطقة كرتالا شرق الدلنج والتي شارك فيها أحد عشر طالباً من أبناء الجبال بالإضافة إلى ٥١ طالباً من المركز يمثلون ٢٠ بلداً إفريقياً ، وأربعة أساتذة في أعظم ملحمة وتجمع إسلامي . وقد قام الطلاب والأساتذة بالتجول على القرى حول كرتالا داعين إلى الله ومعلمين ومرشدين [٢] . كذلك أقام المركز معسكر « طروجي » والذي كان خلاصته إسلام ٩٥ شخصاً في عشرين يوماً هي أيام المعسكر [٣] .

هذه هي جهود المركز الإسلامي الإفريقي في نشر الدعوة ومواجهة النشاط التنصيري في جبال النوبا وفي غيرها من مناطق القارة الإفريقية الخضراء .

---

(١) انظر تقرير معسكر العباسية تقلي ، إعداد الأستاذ الصديق بركات آدم بتاريخ ١٥ رمضان ١٤٠٨ هـ - ١ / ٥ / ١٩٨٨ م . مكتبة المركز الإسلامي الإفريقي .

(٢) انظر تقرير معسكر كرتالا « جبال النوبا » ، ص٣ ، ٢٥ شعبان ١٤٠٨ هـ ، إعداد الأستاذ حنفي حميدة المشرف على المعسكر .

(٣) تقرير معسكر طروجي ، جبال النوبا ، ص٦ . إعداد آدم كوه كودي رئيس المعسكر .

رابطة العالم الإسلامي :

رابطة العالم الإسلامي منظمة إسلامية سياسية واجتماعية تهدف إلى تبليغ دعوة الإسلام والحفاظ على العقيدة الإسلامية والدفاع عن المسلمين وخدمتهم والحفاظ على هويتهم خاصة في البلاد التي يعتبرون فيها أقلية [١] .

ويتمثل دور الرابطة في مواجهة التنصير في العالم في منطقة جبال النوبا من خلال ما تقوم به في مجال تأهيل الدعاة الأكِفَّاء وتدريب الأئمة وبعثهم إلى مختلف مناطق العالم الإسلامي . ومن خلال حماية المسلمين والمجتمعات الإسلامية من التيارات الهدامة والمنحرفة التي تهدف إلى جر المسلمين عن دينهم وسلخهم من عقيدتهم وهويتهم الإسلامية ، ويمثلها في ذلك هيئة الإغاثة الإسلامية .

كذلك في مجال المنح الدراسية التي تقدمها الرابطة لأبناء المسلمين وخاصة الأقليات ، إذ كان من بينهم عدد من أبناء منطقة جبال النوبا [٢] ، والذين أكملوا دراستهم بالمملكة العربية السعودية،فقد بلغ مجموع المنح التي قدمتها الرابطة حتى نهاية عام ١٤٠٤ هـ « ٣٣٧ » منحة دراسية في مختلف الجامعات الإسلامية [٣].

---

(١) انظر : رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ عاماً إنجازات وتطلعات ، ص٧ . من مطبوعات الرابطة.

- المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي - دراسة مقارنة ، ص٣٦٢ .

(٢) راجعت مكاتب الرابطة في الرياض ولكني لم أعثر على عدد المنح التي قدمتها الرابطة لأبناء الجبال بالضبط .

(٣) رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ عاماً ، ص٩ .

كذلك للرابطة جهود كبيرة في مجال بناء المساجد ، وقد قامت الرابطة ببناء عدد من المساجد في منطقة جبال النوبا ، ومن هذه المساجد : مسجد « تلشي » ومسجد « قرنقو عبد الله » ومسجد « الليري شرق » ومسجد « الدلنج » ومسجد « القرقل » . وكان ذلك في عهد الشيخ عوض الله صالح رئيس مكتب الرابطة بالخرطوم وعضو المجلس التأسيسي للرابطة . ولكن للأسف الشديد توقفت هذه الجهود بعد وفاة الشيخ عوض الله صالح رحمه الله [1].

---

(١) الشيخ حامد عبد الرحمن الحمدابي : أمين مجلس هيئة إحياء النشاط الإسلامي السابق وموظف بالشئون الدينية والأوقاف وخطيب مسجد الجريف شرق في مقابلة معه بالخرطوم بتاريخ ١٣ ذي الحجة ١٤١٣ هـ .

الخاتمة

وتشمل :

١ ـ خلاصة البحث .

٢ ـ نتائج البحث .

٣ ـ التوصيات والمقترحات .

تمهيد :

في ختام هذه الدراسة المتواضعة التي شملت النشاط التنصيري في منطقة جبال النوبا بالسودان ، يمكن الخروج بملخص لهذا البحث وتوصيات واقتراحات على النحو التالي :

أ - خلاصة البحث :

إن تاريخ النصرانية في السودان قد أرتبط ومنذ القدم بالحكم الأجنبي للبلاد - هذا إذا استثنينا الممالك المسيحية في « علوة » و« المقرة » - وبذلك اقترنت النصرانية في أذهان الأهالي والوطنيين بالرجل الأبيض . فكانت الجهود السياسية أكثر تضافراً مع المبشرين خاصة في أيام حكم غوردون الذي فتح المنطقة كلها للكنائس . ثم خمدت حركة التنصير بمقتل غوردون عام ١٨٨٥ م ، ولكن ما إن تمكن الإنجليز من استعادة حكم السودان مرة أخرى والذي كان هدفه الأول تبشيري [١] حتى ظهرت حركة التنصير مرة أخرى وبرزت إلى الوجود ، واستعدت الجمعيات لتجعل من التنصير عملاً منظماً . ورأت تلك الجمعيات أن الاحتلال الإنجليزي للسودان كان فاتحة خير لها لاستعادة الأراضي والنفوذ الذي افتقدته بإندثار مملكتي « علوة والمقرة » .

أما المستعمرون فكانوا يرون أن التنصير من أهم وسائلهم التي تمكن لهم في الأراضي المستعمرة وتساعدهم على حكمها . ولذلك فقد سعت الإدارة الاستعمارية للاستعانة بالكنائس والإرساليات في مجال

---

(١) إذ أن كنيسة إنجلترا هي التي رسمت خطوط حملة كيتشنر الثأرية لاستعادة السودان وتحويله إلى دولة نصرانية بالكامل . انظر مجلة البيان ص٧٢ ، العدد ٧٣ ، رمضان ١٤١٤ هـ - فبراير - مارس ١٩٩٤ م .

التعليم والصحة والرعاية الاجتماعية وغير ذلك .

وعليه فإن الإدارة الاستعمارية يجب أن تدان على اتخاذها سياسة يشوبها الغموض وعدم الواقعية والوضوح تجاه التعليم في جبال النوبا . إذ أن تجربة التدريس بالخطوط الروماني كانت خطأ كبيراً وقعت فيه الحكومة خاصة في عهد إدارة جيلان للمنطقة . وكان اتباع العقل يحتم على الحكومة تغيير هذه السياسة إلى سياسة أكثر واقعية وملاءمة مع النوبا ، ولكن كما رأينا فإن السياسة التعليمية خضعت لأغراض سياسية موجهة وهي حماية النوبا وإبعادهم عن الإسلام والتعريب كهدف أولي وما عداه يأتي في المرتبة الثاني .

استخدم المنصرون عدة وسائل لنشر معتقداتهم في المنطقة كان منها التعليم ، والإغاثة ، والتطبيب ، الإعلام . وتعد الإغاثة والتعليم من أكبر العوامل والأسباب التي ساعدت على انتشار النصرانية في المنطقة ، إذا أن حاجة الناس للتعليم دفعتهم للانخراط في مدارس الكنائس التي خرجتهم فيما بعد نصارى ، بعد أن مسخت عقيدتهم الإسلامية السمحاء . كذلك كان لعوز الفقراء والمحتاجين وما صاحب ذلك من أحوال اقتصادية وطبيعية سيئة حلت بالمنطقة - كالجفاف والتصحر - الأثر البالغ في التمكين للنصارى الذين فتحت لهم المنطقة تحت ستار الإغاثة ومحاربة الجفاف والتصحر وغير ذلك . فاستغلوا تلك الفرصة لمخاطبة الأهالي ودعوتهم للنصرانية . ولذلك كان لهذا الزحف التنصيري الهائل تأثيره السيء على المنطقة وعلى مجتمعاتها في شتى نواحي الحياة ، العقدية ، والفكرية ، والثقافية والاجتماعية .

ولعلي بعد هذا أذكر بعض النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث :

٢ ـ أهم النتائج :

أولاً : إن النصرانية التي دخلت السودان عن طريق أباطرة الرومان وقسسهم واعتنقها ملوك السودان ، ليست هي المسيحية التي أنزلها الله تعالى على عيسى عليه السلام . وإنما هي النصرانية التي حرفت فأصبحت تلائم وثنية الرومان وفلسفتهم ، فاعتنقها ملوك النوبة ولاءً للأباطرة ليحافظوا على سلطانهم من الزوال ، وظلت شعوبهم على الوثنية إذ لم تحس بفارق كبير بين النصرانية التي هي الدين الجديد الوافد وبين ما هي عليه من وثنية .

ثم دخل الإسلام بعدها بحوالي أقل من قرن تقريباً ، وكان دين العامة ، وظل يتغلغل في المجتمع حتى عفى على آثار النصرانية ، فزالت بزوال ملوكها ، وأصبح السلطان للإسلام إذ لا توجد اليوم في السودان أسرة واحدة تعتنق النصرانية ذات جذور تاريخية ضاربة في تاريخ السودان . وإنما هي نصرانية وفدت إليه حديثاً مع الاستعمار .

ثانياً : إن الإدارة الاستعمارية اتبعت سياسة تهدف إلى عرقلة انتشار الإسلام واللغة العربية ، بل والتخطيط لقلع جذورهما وإحلال اللغة الإنجليزية والنصرانية مكانهما في المنطقة خاصة في الفترة من (١٩٢٠ ـ ١٩٤٠ م) ، وقد فشلت تلك السياسة بسبب التناقض بين سياسة الحكومة التعليمية وسياستها الإدارية وعدم التنسيق الكامل بين الإدارة والإرساليات .

ثالثاً : إن محاربة الدين الإسلامي وتعويق مده في تلك المناطق هدف آخر يلتقي عنده المنصرون والمستعمرون . فالمنصرون يقولون : « يجب أن يمحى الإسلام من العالم ... » [١] - على حد تعبير المنصر الأمريكي هنري جسب (H. Jessup) . وأما المستعمر فقد فرض قانون المناطق المقفولة في السودان والذي يحرم دخول العرب والمسلمين مناطق معينة من السودان حتى يحد من انتشار الإسلام فيها ، وكان من بين هذه المناطق جبال النوبا .

رابعاً : وجد التنصير فرصته في فترة الاستعمار البريطاني للبلاد فمنح أحسن المواقع والامتيازات والتسهيلات لإقامة المؤسسات الكنسية الضخمة في المدن الكبرى ، وخاصة العاصمة الخرطوم . كما أتاح له العمل بين المسلمين في أخطر مجالين من مجالات التنصير ، وهما التعليم والصحة . وأطلق يده في جميع المجالات في جنوب السودان وغربه ، وأمده بكل الإمكانات المادية والمعنوية لحرب الإسلام وتعهد بذور الفتنة التي غرسها رواده في الجنوب [٢] ، حتى كانت نهايتها حرباً دامية بعد خروج المستعمر مباشرة ، وما يزال التنصير حتى يومنا هذا يشعل أحقادها ويزيدها اضطراماً .

---

(١) مصطفى الخالدي وفروخ : التبشير والاستعمار ، ص٣٦ .

(٢) يعتبر شارلس غوردون باشا الإنجليزي حاكم إقليم الإستوائية بالجنوب ثم الحاكم العام على السودان بعد ذلك هو الذي وضع حجر الأساس لمشكلة جنوب السودان بإنشائه « ديوان خط الأستواء بالخرطوم » وجعل له ميزانية منفصلة وموظفين مستقلين فكانت هذه بداية المشكلة .

خامساً : تعمل المؤسسات الكنسية في جميع المجالات بجد ونشاط من خلال منظمات وجمعيات فئوية تعتمد في مصادرها المالية ودعمها المعنوي على العالم الغربي ، لتغيير وجهة المنطقة ومحو الإسلام منها ، وذلك بتشييد المؤسسات الكنسية الضخمة من مدارس ، وكنائس ، ومصحات وأندية . كما تعمل فرق التنصير الأثرية منذ عشرين عاماً تقريباً على نبش الآثار الوثنية وتضفي عليها طابعاً كنسياً كما هو ظاهر في كتابات ومؤلفات قسسهم مثل القس جونتاني فانتيني الذي ألف كتاباً سماه « تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث » يريد بذلك أن يجعل من السودان دولة نصرانية في ماضيها وحاضرها . وكما ظهر ذلك مؤخراً في بعض وثائق الكنيسة الإنجليزية الصادرة حديثاً والتي تتحدث عن السودان باعتباره دولة مسيحية استولى عليها المسلمون [١] .

سادساً : لم تكن الحكومات التي تعاقبت على حكم السودان جادة ولا مهتمة بمخاطر التنصير ، لأن قادتها من خريجي مدارس التنصير أو المدارس العلمانية ، والذين شغلتهم أمور السياسة والحكم والصراعات على السلطة عن أمور الدعوة الإسلامية ومواجهة التنصير . وأكبر دليل على ذلك تلك المدارس التنصيرية الشاهقة التي أسست منذ عهد الاستعمار ، وظلت تخرج الأجيال تلو الأجيال ولم تحرك الحكومات الوطنية ساكناً

---

(١) مجلة البيان ، ص٧٢ ، العدد : ٧٣ ، رمضان ١٤١٤ هـ .

أو تتخذ حيالها خطوات عملية كتغيير المناهج وتوحيدها مع بقية المدارس الوطنية . فظلت مدارس كمبوني وشهادة لندن تحظى بنسبة أكبر في القبول للجامعات والمعاهد العليا السودانية وخاصة الكليات العلمية منها .

سابعاً : إن مما أدى إلى تفاقم النظام الكنسي في المنطقة ، أن الدعوة الإسلامية كانت شبه غائبة عن المنطقة تماماً وعن المجتمع السوداني بصفة عامة ، وذلك للأسباب الآتية :

١ ـ الاستعمار وما صنعه من عوائق أمام الدعوة الإسلامية والدعاة ، حيث سجن بعضهم واعتقل البعض الآخر وحرم عليهم الدخول للمنطقة وجعل القيام بالدعوة الإسلامية عملاً إجرامياً يحاكم عليه القانون .

٢ ـ ضعف موارد الدعوة المالية ، إذ أنه بعد خروج الاستعمار لم تكن الحكومات العلمانية التي حكمت البلاد بعده مهتمه بأمر الدعوة ودعمها ، ولم تكن لها ميزانية تذكر .

٣ ـ ضعف المورد البشري إذ يفتقر مجال الدعوة إلى الداعية المؤهل لأن الاستعمار وأذنابه من العلمانيين ، لم يكونوا ليشجعوا التعليم الديني ، مما أدى إلى إنصراف الكثيرين من الشباب عن العمل الإسلامي .

٤ ـ الطائفية وجماعات الصوفية التي صنعها الاستعمار ورباها على عينه لتمتص أي توجه إسلامي جاد .

ثامناً : تأثرت الدعوة الإسلامية في المنطقة سلباً بحرب الخليج الأخيرة إذ قلت مواردها المالية ، وقل الدعم الذي كان يأتيها من الخارج ومن دول الخليج العربية بصفة خاصة . وكثير من المشاريع

الإسلامية التي بدء إنشاؤها في المنطقة لم تكتمل حتى الآن حيث إن العمل بها متوقف نظراً لشح الموارد المالية . ومثال على ذلك ما كانت تقوم به لجنة مسلمي إفريقيا الكويتية من أعمال في مجال الإغاثة والدعوة ، والتي توقف نشاطها الآن تماماً . وقد زرت مكاتبهم في الدلنج بجبال النوبا فلم أجد إلا الحارس .

تاسعاً : إن النشاط الكنسي المكثف في المنطقة بصفة خاصة ، وفي السودان بصفة عامة ، لا ينقطع شره إلا بقيام حكم إسلامي شامل يطهر المجتمع من جميع مؤثرات الحضارة الغربية ذات الصبغة النصرانية ، في مجالات السياسة ، والحكم والتشريع والاقتصاد ، ويعمل على إعداد الدعاة والمعلمين ، ويسعى إلى رفع مستوى المسلمين العلمي والمادي .

ولعلي في خاتمة هذا البحث المتواضع أقدم بعض المقترحات والتوصيات ، لعلها تجد من يضعها موضع التنفيذ ، ويأخذها بعين الاعتبار ، فتسهم وتساعد في حل ضائقة المسلمين الذين عانوا كثيراً ولا يزالون من الجهل والجوع والفقر والمرض .

التوصيات والمقترحات :

١ - إصلاح المناهج ومؤسسات التعليم :

قد بلغ الغزو ذروته بقيام المؤسسات التعليمية الكنسية التي اعترف الاستعمار بدورها الكبير في اخضاع المسلمين واضعاف الإسلام في نفوسهم ، الأمر الذي لم تتمكن من فعله دولهم مجتمعة . وبهذا يعتبر التعليم الكنسي أخطر وسائل التنصير ، وصاحب الأثر الكبير في

إفساد عقائد المسلمين ومجتمعاتهم . وأي محاولة لنهضة المسلمين وحماية مجتمعاتهم من التنصير مع ترك التعليم في بلادهم على ما هو عليه الآن تعتبر ضرباً من العبث ومضيعة للوقت لا طائل منها . ولذلك يجب على المسلمين جميعاً وخاصة الحكومات أن تبسط نفوذها قبل كل شيء علي مرافق التعليم ، وأن تطهر المناهج والمدارس من شوائب الغزو الاستعماري الحديث . ويجب توجيه ناشئة المسلمين إلى كنوز هذه الأمة - القرآن الكريم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم - عن طريق المؤسسات التعليمية ، والمناهج التربوية ، حتى يزول الإزدواج الموجود في المناهج الحالية ، وتزول العزلة التي أحدثها الغرب بواسطة المناهج عن أذهان التلاميذ .

٢ - القدوة الحسنة :

ثم تبقى بعد ذلك القدوة الحسنة التي تحول هذا المنهج إلى حقيقة واقعية متحركة في الواقع المعاش ، حتى لا يبقى حبراً على ورق [١]. فالمعلم المسلم يستطيع أن يقرر حقائق هذا الدين من خلال مادته التي يدرسها للتلاميذ ، لأن كل العلوم كونية أو غيرها لها اتصال مباشر بالدين ، والعمل على تفسير أسرارها وربطها دائماً بخالقها وخالق الكون هي دائماً مهمة المعلمين المسلمين في كل مجال من مجالات العلوم كل في مجال تخصصه . فجميعها تهدف إلى إشاعة روح التدين في التلاميذ حتى يتأثروا بهم فيما يفعلون وما يتركون .

---

(١) محمد قطب إبراهيم : منهج التربية الإسلامية ، ص٢٢١ ، ط٢ ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع . دون ذكر سنة طبع .

٣ ـ إعداد الدعاة :

إن من واجب المسلمين القيام بأمر الدعوة إلى الله تعالى وإعداد الدعاة المتخصصين الأكفاء الذين يحملون لواء التغيير ، ولواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من أوجب الواجبات التي أمر الله بها . ومنطقة جبال النوبا من المناطق التي تحتاج إلى مزيد من الدعاة والعلماء ، وخاصة من أهل المنطقة الخبيرين بها وبشعابها ، إذ أنه بتدريب أبناء المنطقة وتأهيلهم وتسليحهم بالعلم والمعرفة لمواجهة التحديات التي تحيط بهم نكون قد أوجدنا الطريقة المثلى والصحيحة لتوصيل النهج الإسلامي لأهل المنطقة ، وعزلهم عن المؤثرات والتيارات التي تهدم القيم الإسلامية وتشككهم في دينهم وأخلاقهم .

٤ ـ تنشيط مشروعات البر والإحسان الخيرية :

قد أصاب الفقر في الآونة الأخيرة معظم ديار المسلمين وقد زادت حاجتهم إلى أوجه البر المختلفة ، في مجال الإغاثة والتعليم والصحة وغيرها . وكان فقر المسلمين في هذه الجوانب مدخلاً كبيراً إلى النصارى وأصحاب الأفكار الهدامة كي يصلوا إلى قلوب فقراء المسلمين وضعاف الإيمان فيغرونهم بالمال والمساعدات والتعليم المجاني وغير ذلك .

فعلى الميسورين من المسلمين في كل مكان أن يبادروا بدفع شبح الصليب عن إخوانهم بمساعدتهم في هذه المجالات ، بإنشاء المنظمات والهيئات الإسلامية التي تتولى رعاية فقراء المسلمين في منطقة جبال النوبا وغيرها من الأماكن . فتوفر لهم الدواء والكساء والطعام والتعليم وما يحتاجونه من أمور حياتهم ، حتى لا يضطروهم إلى الذهاب للمؤسسات الكنسية سواء كانت علاجية أو تعليمية ، والتي تترصدهم وتطمع في ردتهم بما تقدمه لهم من الفتات ، وصدق رسول الله صلى

الله عليه وسلم إذ يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر . فقال رجل : أويتعادلان ؟ قال : نعم »[١].

٥ ـ إدخال وسائل الإعلام وتوجيهها توجيهاً إسلامياً :

إن المنطقة ما زالت تعاني من العزلة والفوارق الثقافية والاجتماعية التي فرضها عليها المستعمر أثناء احتلاله للبلاد ، وانفردت بها المؤسسات الكنسية التي كان همها الأول نشر الإنجيل دون أخذها لحاجيات المنطقة الأخرى في الاعتبار كنشر التعليم والثقافة والصحة والرقي الاجتماعي بالمنطقة مما أدى إلى تخلفها وعزلتها عن باقي أجزاء القطر . وجو العزلة هذا ساعد الكنائس كثيراً على نشر مبادئها ، وعليه فإن المنطقة إذا دخلتها وسائل الإعلام الحديثة مع شيء من التوجيه ، فإن ذلك سيؤدي إلى نشر الإسلام فيها وإبعاد النصارى كما سيؤدي إلى ربطها بالقطر ثقافياً واجتماعياً وفك جو العزلة المفروضة عليها .

وفي ختام هذا العمل أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه ، وأن ينفعنا بما علمنا إنه سميع مجيب وأصلي وأسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) رواه النسائي : جـ٨ ، ص٢٦٧ ، كتاب الاستعاذة ، باب الاستعاذة من شر الكفر حديث رقم ٥٤٨٥ . ط١ . دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦ م .

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

أولا : القرآن الكريم .

ثانياً : الكتب العربية :

١ - إبراهيم عكاشة علي : التبشير النصراني في جنوب سودان وادي النيل ، دار العلوم ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م .

٢ - إبراهيم عكاشة علي : ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٣ - أحمد بن شعيب النسائي : سنن النسائي . الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٤ - أحمد بن علي المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . المشهور بالخطط المقريزية ، طبع دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

٥ - أحمد بن علي المقريزي : البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، تحقيق الدكتور عبد المجيد عابدين ، الطبعة الأولى ١٩٦١ م ، عالم الكتب ، القاهرة .

٦ - أحمد شوقي : ديوان أحمد شوقي المعروف بالشوقيات ، طبع دار العودة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٣ م .

٧ - أحمد عبد الرحيم نصر : الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان ، الخرطوم ١٩٧١ م ، وزارة الشئون الدينية والأوقاف .

٨ - أحمد عبد الوهاب : حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر ، ط١ مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٩ - أحمد علي سبيل : الهجرة من جبال النوبا إلى العاصمة القومية من إصدارات المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م .

١٠ - أ . ل . شاتلية : الغارة على العالم الإسلامي ، ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

١١ - البلاذري . « أبو العباس » : فتوح البلدان ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٨ هـ ، تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان .

١٢ - تعليم اللغة العربية في جبال النوبا : بحث مطبوع على الآلة الكاتبة ، إعداد الدارسون بمعهد الخرطوم الدولي للغة العربية ١٩٨١ م .

١٣ - « السير » توماس . و . أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ، بحث في تاريخ انتشار العقيدة الإسلامية ، ترجمة د . حسن إبراهيم حسن و د . عبد المجيد عابدين وإسماعيل النحراوي ، ط٣ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

١٤ - جعفر أحمد صديق : انتشار الإسلام في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة ، بحث غير منشور ، جامعة أم القرى ، قسم التاريخ والحضارة ، ١٤٠٨ هـ .

١٥ - جماعة الفكر والثقافة الإسلامية : الإسلام في السودان ، الخرطوم ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م .

١٦ - جونتاني فانتيني : تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ، الخرطوم ، ١٩٧٨ م .

١٧ - حسب الله محمد أحمد : قصة الحضارة في السودان ، ط . دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر ، ١٩٨٧ م .

١٨ - حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان ، من منشورات دار البحوث والنشر بالمركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

١٩ - رابطة العالم الإسلامي : رابطة العالم الإسلامي في ٢٥ عاماً - إنجازات وتطلعات - من مطبوعات الرابطة ، ذي الحجة ١٣٨٢ هـ - ١٤٠٧ هـ .

٢٠ - ربيع محمد القمر : معاهدة البقط وآثارها على بلاد النوبة بحث غير منشور ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلية العلوم الاجتماعية ، قسم التاريخ ، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٢١ - سهيري إلياس نور الدين : التنصير ووسائل الإعلام في إندونيسيا ، بحث غير منشور ، المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤٠٥ هـ .

٢٢ - سيد أحمد يحيى : التنصير في القرن الإفريقي ومقاومته ، ط . دار العمير للثقافة والنشر ، جدة ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٢٣ - الشاطر بصيلي عبد الجليل : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، من منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢ م .

٢٤ - صديق عطا المنان التوم : التعليم الديني في منطقة جبال النوبا بحث غير منشور ، مكتبة المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم .

٢٥ - صلاح الدين الشامي : السودان دراسة جغرافية ، نشر منشأة المعارف بالإسكندرية ، ط٣ ، ١٩٧٣ م .

٢٦ - طلعت همام : سين وجيم عن البحث العلمي ، طبع دار عمان بالأردن ، ط١ ، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

٢٧ - عبد الباسط محمد حسن : أصول البحث الاجتماعي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط١٠ ، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م .

٢٨ - عبد الرحمن ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ط . دار الكتاب اللبناني ١٩٦٨ م .

٢٩ - عبد الرحمن الشهري : التبشير في بلاد الشام ، بحث غير منشور ، كلية الدعوة والإعلام ، ١٤٠٤ هـ .

٣٠ - عبد الرحمن الضحيان : المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي - دراسة مقارنة - طبع في أبها ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

٣١ - « أبو القاسم » عبد الرحمن بن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٢٠ م .

٣٢ - عبد الرزاق علي ديار بكرلي : تنصير المسلمين ، بحث في أخطر خطة وضعها مؤتمر كلورادو التنصيري ، دار النفائس - الرياض ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .

٣٣ - عبد العزيز بن عبد الله بن باز : مجموعة فتاوي ومقالات متنوعة نشر مؤسسة البشائر العالمية للتجارة والتوزيع - الرياض ١٤١٣ هـ .

٣٤ - عبد الفتاح الغنيمي : الإسلام والعروبة في السودان ، دار العربي للنشر والتوزيع ، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م .

٣٥ - عبد المالك خلف التميمي : التبشير في منطقة الخليج العربي طبع بالكويت ، ١٩٨٢ م .

٣٦ - عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ط٢ . الدار السودانية للكتب ، ١٩٦٧ م .

٣٧ - علي حسن عبد الله : الحكم والإدارة في السودان ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، ١٩٨٦ م .

٣٨ - علي بن الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، دار الفكر ، لبنان ، الطبعة الخامسة ، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد المجيد .

٣٩ - المجلس العلمي لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية : الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

٤٠ - محمد أبي طالب الأنصاري الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، مكتبة المثنى ، بغداد ، بدون تاريخ .

٤١ - « أبو القاسم » محمد بن علي بن حوقل : صورة الأرض ، من منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت .

٤٢ - محمد عثمان صالح : النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير ، دراسة مقارنة حول الاصطلاحات والدلالات ، نشر مكتبة ابن القيم .١٤١٠ هـ - ١٩٨١ م .

٤٣ - محمد عمر بشير : تطور التعليم في السودان (١٨٩٨ - ١٩٥٦ م) ترجمة هنري رياض وآخرون ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

٤٤ - محمد عوض محمد : السودان الشمالي سكانه وقبائله ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط١ . القاهرة ، ١٩٥١ م .

٤٥ - محمد قطب إبراهيم : منهج التربية الإسلامية ، ط٢ ، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون ذكر سنة الطبع .

٤٦ - المركز الإسلامي الإفريقي : دليل المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ، رمضان ١٤٠٣ هـ .

٤٧ - د . مصطفى الخالدي وعمر فروخ : التبشير والاستعمار في البلاد العربية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٣ م .

٤٨ - مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٠ م .

٤٩ - مكي شبيكة : السودان عبد القرون ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩١ م .

٥٠ - منظمة الدعوة الإسلامية : دليل منظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم الطبعة الرابعة ، صفر ١٤٠٩ هـ .

٥١ - نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ، ط٢ ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٧٢ م .

٥٢ - يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٣٩١ هـ - ١٩٧٢ م .

ثالثاً : المخطوطات :

٥٣ - مخطوطة عن حياة الشيخ محمد بن عبد الله البرناوي ، كتبها ابنه عبد الباقي البرناوي ، مودع بدار الشيخ البرناوي بالليري شرق .

رابعاً : التقارير والوثائق :

٥٤ - تقرير عن العمل الكنسي بجنوب كردفان بتاريخ ٢٣ / ٩ / ١٤١٣ هـ مكتبة معهد البحوث وتدريب الدعاة - الخرطوم - منظمة الدعوة الإسلامية .

٥٥ - تقرير عن العمل الكنسي بجنوب كردفان ، إعداد حسن دنيق مجوك مستشار مؤسسة موفق الخيرية .

٥٦ - تقرير لجنة مشروع المركز الإسلامي ببانوسة ، جنوب كردفان رمضان ١٤٠٩ هـ .

٥٧ - تقرير معسكر العباسية تقلي (جبال النوبا) ، ١٥ رمضان ١٤٠٨ - ١ / ٥ / ١٩٨٨ م ، مكتبة المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ، إعداد الأستاذ : الصديق بركات آدم .

٥٨ - تقرير معسكر كوتالا (جبال النوبا) ٢٥ شعبان ١٤٠٨ هـ ، إعداد الأستاذ / حنفي محمد خير ، مكتبة المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم .

٥٩ - تقرير معسكر طروجي (جبال النوبا) آدم كوكو كودي - ١٤٠٨ هـ مكتبة المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم .

٦٠ - خطابات جيلان حاكم جبال النوبا إلى السكرتير الإداري ، دار الوثائق المركزية بالخرطوم ، المجموعة كردفان ، ورد السكرتير عليها .

٦١ - المراسلات بين نيوبولد حاكم كردفان والسكرتير الإداري ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم ، المجموعة كردفان .

٦٢ - المراسلات التي تمت بين حاكم كردفان ومشرف إرسالية السودان المتحد ومدير المعارف ، دار الوثائق المركزية ، المجموعة كردفان .

٦٣ ـ مذكرة تعليم اللغات في المدارس النوباوية ، إعداد هيلسون بتاريخ ٨ / ٢ / ١٩٣٢ م ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم .

٦٤ ـ مذكرة عن السياسة التعليمية في مناطق النوبا الوثنية ، بتاريخ فبراير / ١٩٣١ م ، دار الوثائق المركزية ، الخرطوم ، المجموعة كردفان (١ / ١٥ / ٧٤ / ١٦) .

٦٥ ـ ورقة دور المنظمات الإسلامية في نشر الدعوة ، إعداد الأستاذ : سيف النصر حسن محمد ، مدير مكتب منظمة البر الدولية بكادوقلي .

خامساً : الدوريات والمجلات :

٦٦ ـ صحيفة عكاظ السعودية ، بتاريخ ٢٥ ربيع الأول ١٤١٢ هـ ـ ٣ أكتوبر ١٩٩١ م .

٦٧ ـ صحيفة الشرق الأوسط : العدد ٥٣٩٤ ، بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٩٣ م ١٨ ربيع الأول ١٤١٤ هـ .

٦٨ ـ صحيفة الحياة اللندنية : العدد ١١٢٩ ، ٢ شعبان ١٤١٤ هـ .

٦٩ ـ مجلة الأمة : صادرة عن إدارة المحاكم الشرعية بدولة قطر ، بتاريخ ٤ ربيع الثاني ١٤٠١ هـ ـ فبراير ١٩٨١ م ، والعدد ٢ ربيع الثاني ١٤٠٢ هـ .

٧٠ ـ مجلة البيان : صادرة عن المنتدى الإسلامي بلندن ، العدد (٧٣) رمضان ١٤١٤ هـ ـ فبراير / مارس ١٩٩٤ م .

٧١ ـ مجلة الدارة : صادرة عن دارة الملك عبد العزيز بالرياض ، العدد الأول ، السنة السادسة عشرة ، ١٤١٠ هـ .

٧٢ ـ مجلة الدعوة السعودية ، العدد ١٣٢٤ هـ ، بتاريخ ٥ / ٧ / ١٤١٢ هـ والعدد ٧٨٢ بتاريخ ٢ / ٣ / ١٤٠١ هـ ، والعدد ١٣٣١ بتاريخ ٢٤ / ٨ / ١٤١٣ هـ .

٧٣ ـ مجلة الإصلاح : الصادرة عن جمعية الإصلاح والمواساة ، دبي العدد (٨) ، السنة الأولى ، ذي الحجة ١٣٩٨ هـ .

٧٤ ـ مجلة المجتمع الكويتية ، العدد ١٠٨٣ بتاريخ ٢٩ رجب ١٤١٤ هـ .

٧٥ ـ مجلة دراسات إفريقية ، صادرة عن المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم ، العدد الأول ، رجب ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م ، والعدد السادس ، رجب ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م .

٧٦ ـ مجلة الوسط : العدد « ١٠٢ » ، بتاريخ ١٠ / ١ / ١٩٩٤ م .

سادساً : المراجع الأجنبية :

77 - Collins, R.O : The Establishment of Christian Missions and their revalry in Southern Sudan. Tarikh vol. 3 , No. 11, 1969.

78 - Henderson, K.D.D. : The Making of the Modern Sudan, The Life and Letters of sir. Douglos Newbold. (London 1953) .

79 - Macmachael, H.A : The tribes of northern and central Kordfan . (Cambridge, 1912).

80 - Trimingham .J.S : Islam in the Sudan, Oxford University Press, London, 1965.

فهرس أسماء الأعلام

(أ)

(ب)

(ت)

(ث)

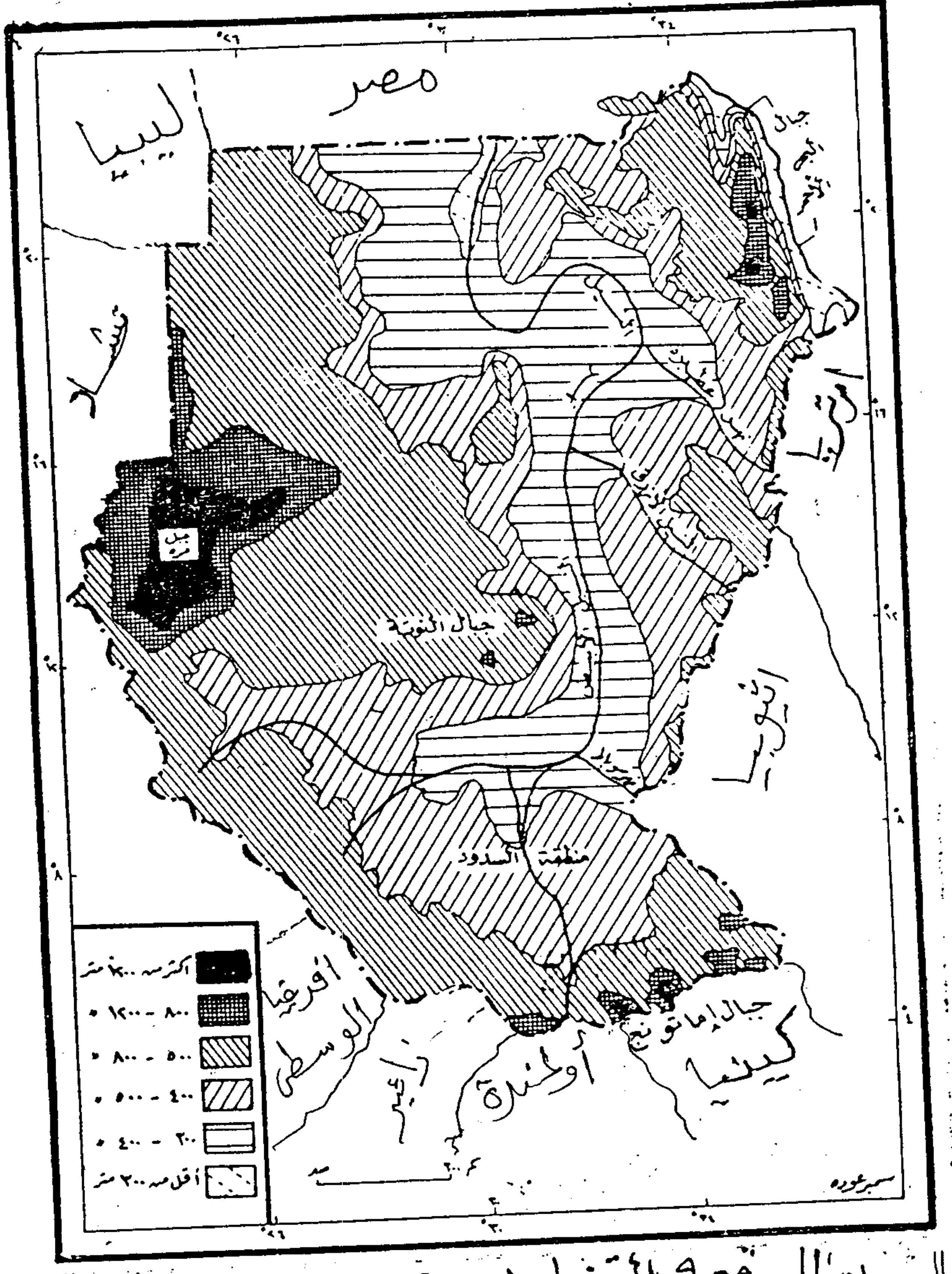
(ج)

(ي)

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الموضوعات

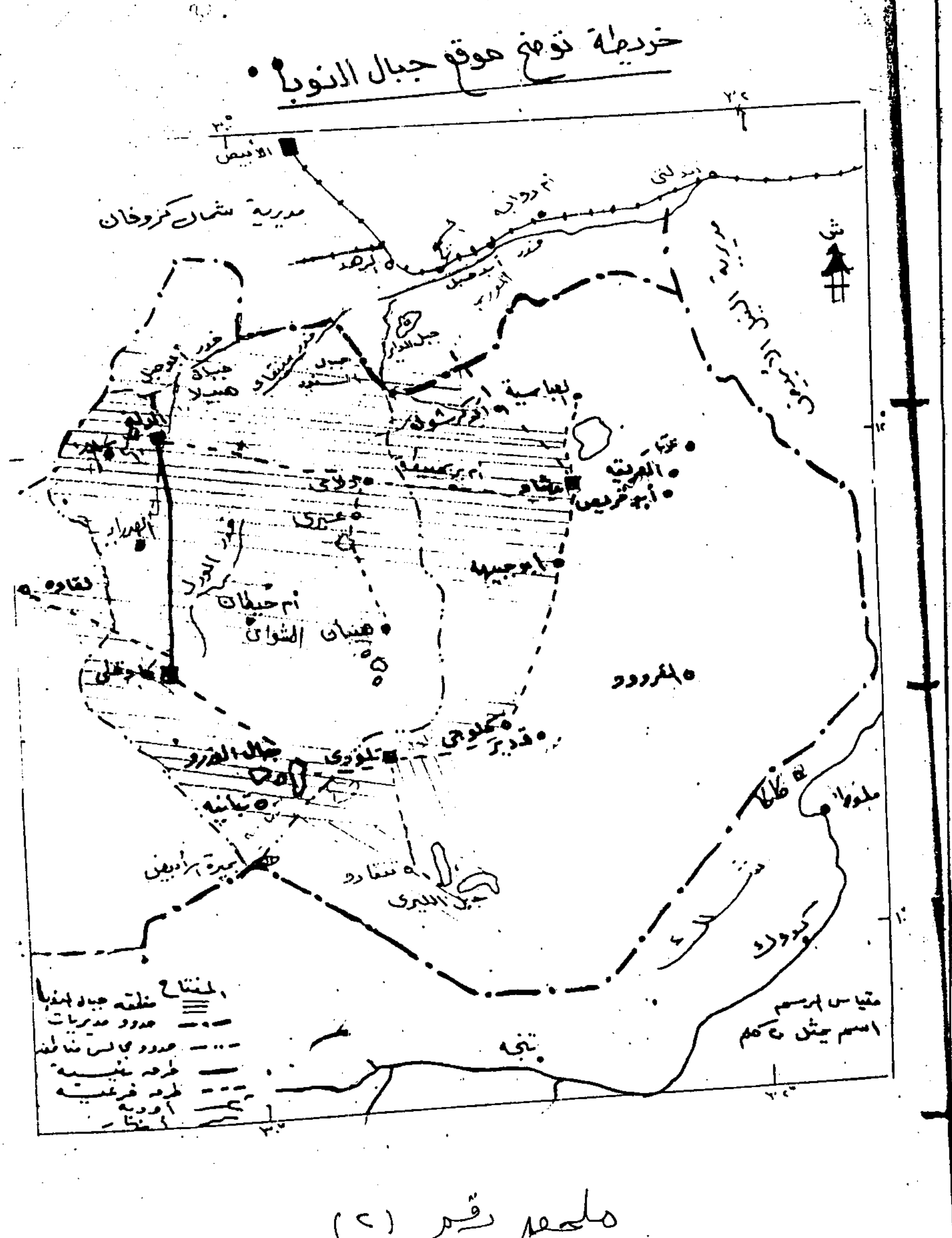
الملاحق



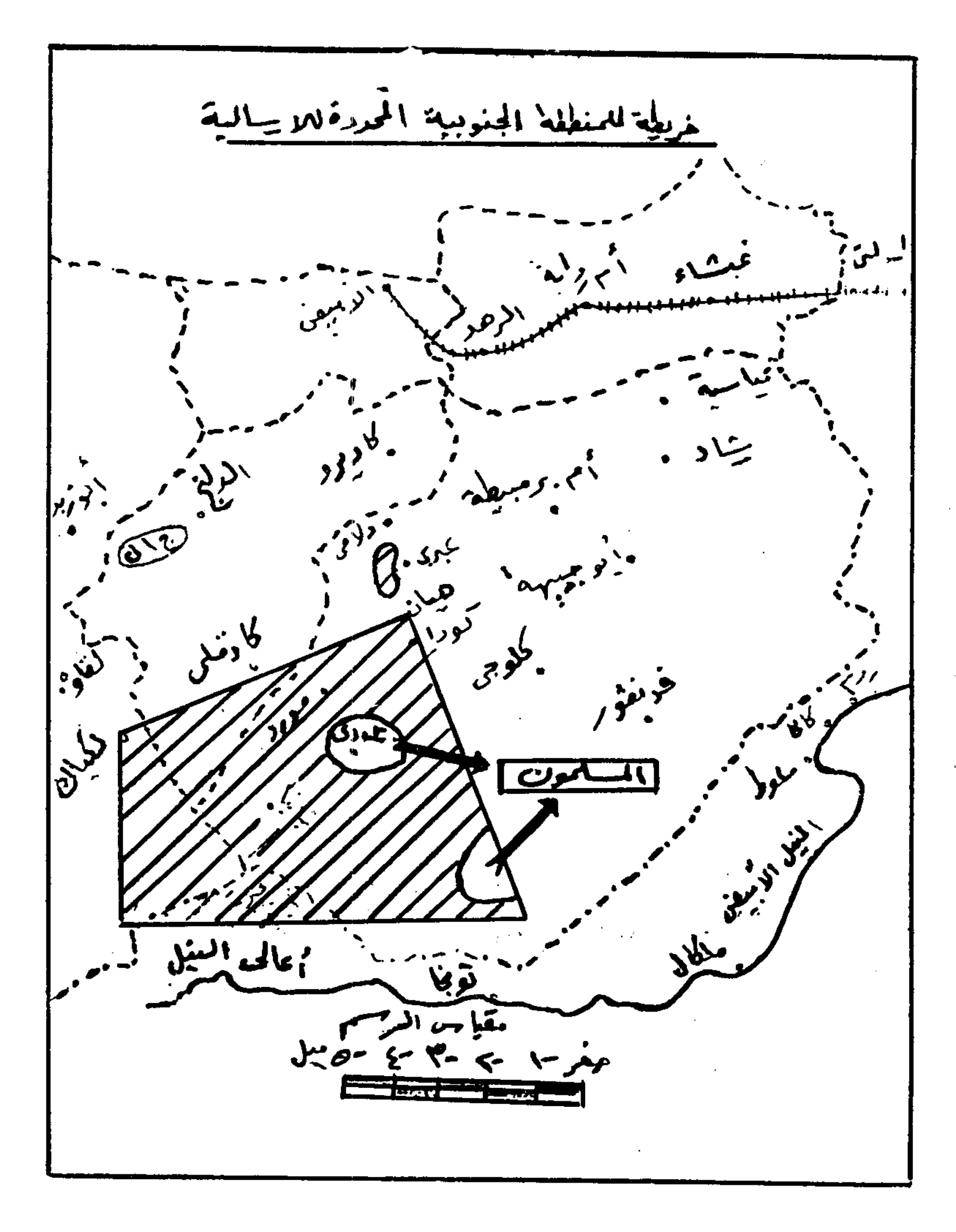
السودان الموقع والتضاريس

ملحق رقم (١)

خريطة توضح موقع جبال النوبا



ملحق رقم (٢)



خريطة توضح منطقة عمل إرسالية السودان المتحدة في جبال النوبة
نقلاً عن كتاب الإسلام في السودان ص ٢٦٢

ملحق رقم (٣)

الأبيض
محافظة شيكان
أم روابة
الرهد
السميح
تندلتي
الحمادي
الدبيبات
بابنوسة
العباسية
الدلنج
سلارا
دلامي
الفولة
رشاد
أبو زبد
أبو جبيهة
لقاوة
هيبان
كاودا
تيرا
كادوقلي
المورو
تلودي
الليري
المفتاح
ولاية بحر الغزال
ولاية أعالي النيل
ولاية جنوب دارفور
محافظة كوستي
ش

+ مناطق الاستشاريين
▨ مراكز الإرساليات التبشيرية
⊕ مؤسسات الإرسالية التبشيرية

مقياس الرسم

خريطة توضح مراكز ومؤسسات الإرسالية السودان المتمركزة
وما يعرف بمنطقة الحزام المسيحي ، [التمركز المسيحي]
إعداد النور كبسور: مكتب الحركة الشعبية للإنقاذ الوطني بولاية كردفان
(ملحق رقم ٤)

APPENDIX B

THE CLOSED DISTRICTS ORDER AS AMENDED IN 1953

The following official bulletin relating to the Closed Districts Order was issued on 24 March 1953:

In exercise of the powers conferred on him by section 22 of the Passports and Permits Ordinance 1922 the Governor-General of the Sudan hereby orders as follows:

(1) The districts set forth in the Schedule hereto shall be closed districts:

(a) In the case of the districts named in the first part of the Schedule, no person other than a native of the Sudan shall enter or remain therein unless he is the holder of a permit to be obtained from the Civil Secretary or from the Governor of the Province in which the closed district is situated and any native of the Sudan may be forbidden to enter or remain in the said districts by the Civil Secretary or the Governor of such Province.

(b) In the case of the district named in the second part of the Schedule, no person shall enter or remain therein unless he is the holder of a permit in this behalf to be obtained from the Civil Secretary or from the Governor of Upper Nile Province.

(2) This order shall not apply to officials of the Sudan Government and officers of the Sudan Defence Force entering or remaining in the districts closed hereunder in the performance of their official duties nor to any person holding a permit to trade in such districts under the Passports and Permits Ordinance 1922, nor save as regards persons travelling by steamer in transit on the Sobat river in the district numbered 2 in the Schedule hereto to any person travelling by train or steamer in transit through any such district.

THE SCHEDULE

PART I

1. Bahr el Ghazal and Equatoria Provinces.
2. Upper Nile Province.

ملحق رقم (٥)

3. The Zalingei and Dar Masalit Districts of Darfur Province.
4. Cancelled.
5. The Jebels and Tegale Districts of Kordofan Province.

PART II

Gambeila

NB The Passports and Permits Ordinance, 1922, Section 22, reads as follows:

The Governor-General may by order published in the Sudan Government Gazette declare any part of the Sudan to be a closed district. He may in such order declare that any district shall be absolutely closed or that ingress shall be permitted subject to such conditions and for such purposes as may be set forth in the said order and he may limit the application of such order or conditions to such persons or classes of persons as he may deem fit. In like manner he may cancel, amend or alter any such order. And no person to whom such order applies shall enter a closed district or, being at the time of the promulgation of such order in a district which shall be closed thereby, shall remain there after notification to him of the said order.

Section 30, reads as follows:

Any person who contravenes the provisions of this ordinance or of any order or regulation made or permit granted thereunder shall be punished with imprisonment which may extend to six months or with fine not exceeding £E100 or with both.

ترجمة ملحق رقم (٥)

قانون المناطق المقفلة المعدل في سنة ١٩٥٢م

تطبيقا للصلاحيات المكفولة بنص الفقرة ٢٢ من قانون الجوازات والإقامة لعام ١٩٢٢م ، فإن الحاكم العام يأمر بالاتى :

أ/ لا يسمح لأى شخص من غير السودانيين بدخول المناطق المذكورة فى الجزء الأول من الجدول ما لم يحصل على تصريح بذلك من السكرتير الإدارى أو مدير المديرية التى تقع فيها المنطقة المقفلة ،كما يحق للسكرتير الإدارى أو مدير المديرية منع أى مواطن سودانى من الدخول أو الاقامة فى المناطق المذكورة .

ب/ فى حالة المناطق المذكورة فى الجزء الثانى من الجدول لا يسمح لأى شخص بالدخول أو الاقامة بها ما لم يحصل على إذن من السكرتير الإدارى أو من مدير مديرية أعالى النيل .

جـ/ يستثنى القانون موظفى الحكومة وقوة دفاع السودان الذين يدخلون هذه المناطق أو يقيمون بها لإداء واجباتهم الرسمية كما يستثنى كل من يحمل تصريحا بالاتجار بها بموجب قانون الجوازات والإقامة لسنة ١٩٢٢م ،كما لا يسرى القانون على المسافرين بالبواخر على نهر سوباط فى المنطقة التى تحمل رقم (٢) فى الجدول أو أى منطقة مماثلة ولا على المسافرين بالقطار.

الجدول :

الجزء الأول : ١- مديريتا بحر الغزال والاستوائية .
٢- مديرية أعالى النيل .
٣- مركز زالنجى ودار مساليت .
٤- ألغى هذا الاقليم.
٥- مركزالجبال (جبال النوبة) وتقلى بمديرية كردفان

الجزء الثانى : قسيلا .

ملحوظة : الفقرة ٢٢ من قانون الجوازات والإقامة لسنة ١٩٢٢ تقرأ كالاتى :

يجوز للحاكم العام طبقا للامر الذى نشر بغازيته "حكومة السودان" أن يعلن أى جزء من السودان منطقة مقفلة ويجوز له أيضاتبعا لهذا الأمر أن يعلن أى جزء منطقة مقفلة تماما أو أن يمنع حق الدخول فى إطار الشروط أو للأغراض التى يمكن أن توضع فى الأمر ويجوز له أن يحدد تطبيق الأمر أو الشروط للأشخاص المذكورين .

ولا يجوز لأى شخص ينطبق عليه هذا القانون أن يدخل منطقة مقفلة أوأن يكون موجوداً بها وقت اعلان هذا القانون

الفقرة ٣٠ :
أى شخص يخالف هذا القانون أو أى قانون أولوائح توضع وتصاريح مجازه يعرض نفسه للعقوبة التى قد تصل إلى السجن ستة أشهر أوالغرامة أوالعقوبتين معا .

- ٥١ -

بيـان المجلس المركزي السوداني حول ابعاد القسس والمبشرين الاجانب من مديريات السودان الجنوبية

الخرطوم ٤/٢/١٩٦٤ (الثورة ٥/٢/١٩٦٤)

يطيب لي يا سيدي الرئيس ان اتحدث في هذا المقام من القرارات الاخيرة التي اتخذتها الحكومة في الايام القليلة الماضية والتي بموجبها تعمل الان السلطات المختصة على ابعاد المبشرين الاجانب من المديريات الجنوبية الى خارج البلاد وعلى ضوئها ستسمح للاجانب بمزاولة الاعمال التجارية في مواسم المديريات والمراكز وحدها مما سيمنعهم مستقبلا من التسرب الى الادغال او التجول في القرى بتلك المديريات واني لواثق يا سيدي الرئيس بان السادة اعضاء هذا المجلس الموقر ملمون بالظروف التي دعت الحكومة لإتخاذ هذه القرارات .

واني لواثق كذلك بانهم يوافقونني كل الموافقة بان صيانة ... البلاد من عبث العابثين والمحافظة على حماية القانون من عبث المخربين واستتباب الامن واستقرار النظام لواجبات اولية يتحتم على الحكومة اعطاؤها الاعتبار الاول وهي امور في غاية الاهمية ينبغي على الحكومة الا تفرط او تتهاون فيها.

واننا اخذنا نراقب منذ زمن بعيد النشاط المعادي الذي ظل يقوم به هذا النفر من الاجانب بتلك المناطق والبقاع واخذنا نرصد تحركاتهم واعمالهم في صبر شديد وسعة صدر ملحوظة متسامحين تارة ومحذرين في كثير من الرفق واللين تارة اخرى ولكنهم حسبوا التسامح ضعفا وظنوا التساهل ترددا واعتقدوا ان الحلم خوفا ووجلا فلم يثوبوا الى رشدهم ولم يحتكموا الى عقلهم حتى كادت اعمالهم التخريبية تودي بوحدة البلاد وحتى كاد نشاطهم المعادي يقضي على مقومات النظام ويهدم اركان الاستقرار في هذا البلد .. هذا البلد الذي اكرمهم واعزهم وافسح لهم المجال من غير قيد او شرط واتاح لهم من الامكانيات والتسهيلات ما لا يخطر على بال او يرقى اليه تفكير احد ان اعمالهم المتسمة بالخروج الواضح على القانون واصرارهم على التحدي والتخريب لهي السبب الذي اضطر الحكومة لمعالجة الامور بما تستحق من حزم وشدة بعد ان عجز التساهل واللين .

لقد ثبت بالادلة القاطعة ان هؤلاء الاجانب ظلوا يقومون باعمال مناهضة للدولة ومخالفات لقوانينها ولوائحها هدفهم من ذلك حض المواطنين على الفوضى والتخريب ودافعهم الى ذلك تقويض اسباب الاستقرار والنظام في البلاد ، وبودي يا سيدي الرئيس لو سمح المجال بسرد تفصيلي للحوادث الكثيرة والجرائم العديدة التي ثبت ارتكابها في هذا الصدد بالادلة الدامغة والبراهين الساطعة ولكن المجال بكل اسف لا يسمح والوقت يضيق واكتفي بالاشارة العابرة لحوادث قليلة وقليلة جدا على سبيل المثال فقط .. فقد ثبت ان الاب جون تريفلا حرض بعض المواطنين وساعدهم على الهروب خارج حدود السودان بعد ان ادخل في روعهم كذبا وافكا ان البلاد مقبلة على اضطرابات واعمال عنف شديدة تؤدي بحياتهم وممتلكاتهم ، وكذلك ثبت ان الكنيسة بمنطقة درمو تقوم بمساعدة الخارجين على القانون لاجتياز الحدود ، وقد حدث ان انقلبت عربة من العربات التابعة للكنيسة واصيب بعض ركابها بجروح وتوفي البعض الاخر وكان احد رجال الامن ضمن ركاب تلك العربة وقد كشف التحري والتحقيق في الحادث ان العربة كانت متجهة بركابها من المواطنين الى خارج الحدود وكذلك ثبت ان القس اندريه لوركي الكاثوليكي وسكرتير اعمال الكنيسة الكاثوليكية بواو يقوم بترحيل الاشخاص الذين يرغبون في التسلل خارج الحدود بعربات الكنيسة من واو الى يورو ومن هناك الى ديم زبير حيث يقضي المتسللون ليلتهم داخل الكنيسة ليواصلون الرحلة في اليوم التالي سيرا على الاقدام . كما انه ثبت بما لا يدع مجالا للشك بان الكنيسة وعمالها يقومون بدور بارز كحلقة للاتصال بين رئاسة الخارجين عن القانون خارج البلاد والمواطنين في الداخل لينقلون الاخبار والكتابات .

واما في منطقة طمبرة فقد ثبت ان القس بيتر قد حرض طالبات المدرسة على الاضراب من الدراسة والقيام باعمال العنف ، وقد ساعدته في ذلك ثلاث من المبشرات الايطاليات والمربيات الطالبات بالفعل والحقن الاذى باحد المدرسين وكذلك قام القس انجلو كونفاليري من كنيسة يري بتحريض طلبة مدرسة واو الصناعية بعد ان تسلل اليها ليلا واجتمع بطلبتها الذين استجابوا له فاضربوا عن الدراسة في اليوم

ملحق رقم (٦)

التالي مباشرة .

ولم يكتف هؤلاء الاجانب بنشاطهم المعادي واعمالهم التخريبية المغرضة في داخل البلاد بل راحوا ينشرون الاكاذيب والاراجيف في الصحف المؤيدة لهم والواقعة تحت سيطرة الكنائس ونفوذها في بعض دول العالم ، ولعمري انه يكفيني ان اعرض عليكم يا سيدي الرئيس هذه الكتيبات لتجدوا فيها ما يدمغهم ويدينهم ولا حاجة بي بعد ذلك للاسترسال في سرد الامثلة الاخرى من النشاط الهدام الذي يقومون به خارج الحدود كاعمال القس شارلي جوردون وزميله ستيوارت اللذين ابعدا مؤخرا بعد ادانتهما ، فاتخذا يقيمان عبر الحدود المتاخمة في بلادنا ويعملان على اغراء بعض المواطنين من النوير للهروب الى البر الاخر . او كنشاط القس هملتون الذي يقيم بتلك الحدود ايضا ويتعاون مع القس ماكلور في حفظ اموال الخارجين على القانون وتنظيمها .

هذا جانب يسير من الاعمال المعادية المغرضة التي سكتنا عليها كثيرا وصبرنا عليها طويلا حتى كاد ان يفلت الزمام ويداهمنا الخطر وعلى ذلك كان لا بد من اتخاذ تلك القرارات وفي كثير من السرعة التي يتطلبها الموقف وا.. تحتمها الظروف وكان بودي ان لو كان هذا المجلس منعقدا في تلك الايام لاضع امامه تلك القرارات للالمام بها والاطلاع عليها في حينها وقبل اعلانها ونشرها على الجمهور الكريم .

واود يا سيدي الرئيس ، ان اؤكد في هذا المكان ايضا كما اكدت ذلك في غيره من قبل بان الحكومة حريصة كل الحرص على كفالة حرية العقيدة في طول البلاد وعرضها ، وعلى رعاية حق كل مواطن من المواطنين في ممارسة شعائره المقدسة وصلواته الدينية من غير تدخل او ارهاب لذلك حق طبيعي مشاع نحترمه في تقدير ونجله في اخلاص ولصونه في غير تردد لاننا نعلم علم اليقين ان الدين يمثل ضرورة اجتماعية لا غنى للناس عنها في مجتمعهم الانساني باسره يستلهمون مبادئه ويستنيرون بهديه وبتعاليمه ولكنا حريصون الحرص كله ان يظل الدين كما اراد له ربه ان يكون مصدر قوة واخاء ومحبة لا مظهر عدوان وكراهية وبغضاء ، وان يكون مصدرا قويا ومتينا في اصلاح الفرد وبناء الامة لا سببا في تكسيرها وهدمها او عاملا على تأخيرها وتخلفها .

ان حرية العقيدة ايها السادة المحترمون — التي تكفلها قوانين البلاد وتقاليدها العظيمة والتي تعمل الحكومة على توفيرها وصيانتها لا تعني استغلال السذج والبسطاء من المواطنين في الارجاء المتخلفة من البلاد لتبذر في نفوسهم بذور التفرقة والفتنة ولتحضهم على الكراهية وارتكاب الجريمة بصورها المختلفة وانها لا تعني الفوضى والتخريب او العبث بالقانون والتهاون بشأنه وحرمته الشيء الذي يعرض امن البلاد الى الخطر وسلامتها الى الضرر وانها حتما لا تعني التفريط في الواجبات الاساسية للحكومة او الاهمال في المسئوليات الاولية للدولة .

واود يا سيدي الرئيس ، ان اؤكد من هذا المنبر ايضا ان الحكومة ستعمل على توفير كل التسهيلات التي تساعد المواطنين في المديريات الجنوبية على تأهيل نفر من بينهم ليطلعوا بالمهام التي كان مفروضا ان يقوم بها الاجانب المبعدين في مجالات العبادات والطقوس المقدسة حتى لا يحدث فراغ تتأثر به عقيدة المخلصين او تضار منه صلوات العابدين ، وليطمئن مواطني الجنوب ولينصرفوا الى شئونهم الخاصة والعامة في ثقة واستقرار غير عابئين بافتراءات الحاقدين او تضليل المغرضين وليكرسوا وقتهم الى ما فيه خيرهم وخير امتهم وليبذلوا جهودهم الى ما فيه المصلحة الحقيقية لبلادهم ووطنهم .

واما الاجانب الباقون بالجنوب وغير الجنوب من مناطق السودان فليثقوا وليطمئنوا الى ان هذه البلاد ستظل كعهدهم بها كريمة مضيافة لا تعتدي عليهم ولا تؤذيهم في شيء طالما هم لقوانينها حافظون وعلى مصلحتها حريصون وطالما هم مبتعدون عن كل ما يضر بهذا البلد او يمس سمعته وسيادته واستقلاله .

والله اسأل يا سيدي الرئيس ان يهب هذه الامة من امرها رشدا ويرعى شئونها ، ويحقق امالها ويسدد خطانا اجمعين واشكركم جميعا فائق الشكر واجزله .

الشرق الأوسط، العدد ٥٣٩٤ - بتاريخ ١٨ ربيع الأول ١٤١٤هـ
٤/٩/١٩٩٣م

مسؤول في لندن: لم نتلق تقارير عن الموضوع

السودان يطالب بريطانيا وأمريكا بتعويضات تفوق 100 مليار دولار

لندن: من عثمان ميرغني

قال مسؤول في وزارة الخارجية البريطانية لـ«الشرق الأوسط» ان حكومة بلاده لم تتلق اي معلومات بشان ما أعلن عن مطالبة السودان بريطانيا بدفع تعويضات قدرها 60 مليار جنيه استرليني للخسائر التي لحقت بمنطقة جبال النوبة (جنوب غربي السودان) خلال فترة الاستعمار البريطاني.

وكانت صحيفة «السودان الحديث» الرسمية في الخرطوم قد ابرزت في صفحتها الاولى امس الاول تصريحات للسيد عبد الباقي علي قرغي عضو المجلس الوطني الانتقالي و«رئيس المجلس الاعلى لابناء النوبة» والامين العام لهيئة السلام والتنمية، يقول فيها انهم سينظمون مسيرة خلال الاسبوع الحالي الى السفارتين البريطانية والامريكية في الخرطوم لتسليم مذكرتين تطالبان بتعويضات من البلدين.

واشار قرغي الى انهم يطالبون بريطانيا بتعويضات قدرها 60 مليار جنيه لانها عاملت منطقة جبال النوبة «كمنطقة مقفولة» خلال فترة الاستعمار مما ادى الى تخلف هذه المنطقة. وقال انهم يطالبون بريطانيا - الى جانب التعويض المالي - بالتكفل ببناء طرق ومستشفيات.

وبالنسبة للتعويضات المطلوبة من الولايات المتحدة وقدرها 60 مليار دولار فقد فسرها قرغي من منطلق ان امريكا نقلت العبيد من افريقيا وان ابناء جبال النوبة لعبوا دورا في تنمية الولايات المتحدة!

ونقلت صحيفة «السودان الحديث» عن قرغي قوله ان تنظيمهم سيرسل نسخة من المذكرتين الى منظمة الوحدة الافريقية والمنظمات المعنية بحقوق الانسان «مدعمة بالوثائق التي تثبت حق ابناء جبال النوبة في هذه التعويضات».

ولم يشا مسؤول وزارة الخارجية البريطانية الذي اتصلت به «الشرق الأوسط» الخوض في الموضوع وإن بدت عليه الدهشة لهذا التقرير.

وقال المسؤول البريطاني «اننا لم نتلق تقارير عن هذا الموضوع. لكن ما يهمنا قوله هو اننا نتابع بقلق ما يحدث لأبناء جبال النوبة اليوم، خصوصا في ظل التقارير الواردة عن ممارسات فظيعة ترتكب في هذه المنطقة». واضاف المسؤول: اننا نطالب الحكومة السودانية بالسماح بدخول مراقبين محايدين مثل الدكتور كاسبار بيرو الى منطقة جبال النوبة للتحقق من الاوضاع الراهنة في جبال النوبة.

ملحق رقم (٧١)